

منتدى مكتبة الاسكندرية

# الكونت دي مونت كريستو

القصص العالمية للجميع

اسكتة توماس



الكونت دي مونت كريستو

٩٥٥١

المركز العالمية للجميع

٢٠٤٤

٢٠٤٤

٢٠٤٤

١٨٠٠

# الكوت دي مونت كريستو

اسكندر توماس



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

د. فؤاد فريد

٨٧٥

القصة العربية

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف: ٨٤٣	منشورات
٢٠٤٤ (٥)	
رقم التسجيل: ٢٩٤٨٣	المكتبة الحديثة ببيروت

دار الشرف العربي - بيروت

لقبوه «  
ابنه الذي يه  
دوماس »  
قرية فرنس  
كوتريه »  
خاملا ، ثم  
في مكتبة د  
بالبارون «  
وكيل نيابة  
الثورة الفر  
الصحف ،

ويعد اس  
رواياته الى  
كريستو «

واشتهر  
متاعه أكثر  
كان دائم ال  
ويتلقاها بال

وقد روى  
النافذة »  
له عاتبه على  
معى سوى ق

وطلب الي  
فتبرع بضعة  
بدلا من واحا

وذهب ذا  
لصديقه «  
نظر المؤلف ،  
تمثيلية له ه  
قائلا : « هذ



## مؤلف الرواية



لقبوه « بالكبير » تمييزاً له من ابنه الذي يحمل اسمه نفسه « اسكندر دوماس » . وقد ولد سنة ١٨٠٢ في قرية فرنسية تدعى « فيلير - كوتره » وقضى بها أعوامه الأولى خاملاً ، ثم انتقل الى باريس وعمل في مكتبة دوق أورليتز ، ثم اتصل بالبارون « تايلور » ومن طريقه عرف وكيل نيابة اسمه « فيلناف » كان قبل الثورة الفرنسية يكتب في كثير من الصحف ، فاتخذهُ أستاذاً ومرشداً

ويعد اسكندر دوماس الكبير أكثر الكتاب الروائيين إنتاجاً ، وقد ترجمت رواياته الى أكثر اللغات الحية ، ومن أشهرها رواية « الكونت دي مونت كريستو »

واشتهر طول حياته بالاسراف الشديد ، حتى لقد حجز الدائنون على متاعه أكثر من مرة برغم كثرة ما كان يربحه من مؤلفاته . على أنه مع ذلك كان دائم الفكاهة والابتسام ، لا يبالي ما يقع فيه من الأزمات المالية ، ويتلقاها بالسخرية التي كانت من لوازمه

وقد روى ابنه أنه قال له يوماً : « انك يا أبى كأنما ترمى أموالك من النافذة » . فأجابه : « لا بأس ! . فهناك من يلتقطونها ! » . وقال لصديق له عاتبه على اسرافه : « كيف أكون مسرفاً مع أنتى جئت الى باريس وليس معى سوى قطعة ذهبية واحدة ما زلت محتفظاً بها حتى الآن ؟ ! »

وطلب اليه يوماً أن يساهم فى التبرع بنفقات جنازة أحد المحضرين ، فتبرع بضعف المبلغ المطلوب قائلاً : « هذا لكى تدفنوا اثنين من المحضرين بدلاً من واحد ! »

وذهب ذات ليلة الى مسرح الكوميدي فرانسيز لمشاهدة تمثيلية شعرية لصديقه « اسكندر سوميه » . وهناك رأى أحد النظارة نائماً فلفت اليه نظر المؤلف مداعباً . ثم حدث فى الليلة التالية أن كانا فى المسرح يشاهدان تمثيلية له هو ، فلفت سوميه نظره الى متفرج نائم فى المكان نفسه فأجابه قائلاً : « هذا الشخص هو نفسه الذى رأيناه أمس لم يستيقظ بعد ! »



## الريان الشاب

فى يوم ٢٤ فبراير سنة ١٨١٥ سجل فنار « نوتردام دى لاجارد » اقتراب السفينة « فرعون » من الميناء قادمة من ازمير ، فتريستنا ، فنبولى . . . وحين دارت السفينة حول جزيرة « قصر ايف » خرج قائدها الى ظهرها ، وسرعان ما امتلأت أرصفة « سان جرمان » بالمتفرجين . ولم ينتظر أحدهم وصول السفينة الى الميناء ، فقفز الى زورق صغير وانطلق به الى عرض البحر للقائها هناك

وكان على ظهر « فرعون » شاب يقف الى جوار قائدها فلم يكده يلمح راكب الزورق حتى ترك موقفه ومضى مسرعا الى حاجز السفينة حيث أطل منه ملوحا بقبعته فى صمت

كان شابا وسيما ، طويل القامة نحيفها ، تتراوح سنه بين الثامنة عشرة والعشرين ، ذا عينين سوداوين وشعر فاحم فى لون جناحى الغراب . . . وفى هيئته العامة ما يدل بوضوح على الهدوء والعزم المألوفين فى الرجال الذين تمرسوا بالاخطار منذ نعومة أظفارهم

وصاح به الرجل الذى فى الزورق وهو يدنو من السفينة :

— أهذا أنت يا ادمون ؟ ماذا جرى ؟ ما سبب هذه الكتابة التى تبدو عليك ؟!

فأجاب الشاب : « لقد أصبنا بخطب جلل يا مسيو موريل . فقد فقدنا عند ( سيفيتا فيشيا ) قائدنا الشجاع الكابتن ليكلير . مات متأثرا بالحمى المخية ، وكان منظر احتضاره رهيبا يفتت الالكباد . . . والآن حين تصعد الى السطح سوف تجد فى خدمتك مسيو دانجلر العامل المنوط به شحن السفينة ، وسوف يتكفل بكل ما تريد ! »

وأمسك المسيو موريل ، وهو صاحب السفينة ، بالحبل الذى دلى اليه ، ثم تسلقه الى ظهرها

وكان دانجلر شابا فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، ذا وجه منفر . . . وكان مكروها من البحارة بقدر ما كان ادمون دانتيس محبوبا منهم . . . فلما رأى صاحب السفينة ابتدره قائلا :

— هل سمعت يا مسيو موريل بالخطب الذى وقع ؟ لقد كان القبطان ليكلير التمس بحارا من الطراز الاول ، وهذا ما أهله لان يضطلع بقيادة سفينة تابعة لمؤسسة لها مكانتها مثل مؤسسة « موريل وولده » !

فقال له المسيو موريل وهو يرمق ادمون دانتيس بنظرة ذات معنى :  
- هذا صحيح ، ويلوح لى أيضا أن صديقنا ادمون - نائب القبطان -  
يفهم تلك التبعة جيدا !

فقال دانجلر وهو يحدج زميله ادمون بنظرة تفيض بالكراهية :  
- نعم يا سيدي ، ولهذا لم يكذ القبطان يلفظ نفسه الاخير حتى تولى  
هو القيادة دون أن يستشير أحدا ، ثم مكث بالسفينة يوما ونصف يوم فى  
جزيرة ( البيا ) بدلا من القدوم الى مارسيليا مباشرة !

وهنا قال دانتيس مبررا موقفه : « ألتمس المذرة يا مسيو موريل ..  
وعلى أية حال فالسفينة الآن تلقى مراسيها ، وأنا فى انتظار ما تأمر به ! »  
فقال موريل : « أت أريد الا أن أعرف لماذا توقفت فى جزيرة البيا ؟ »  
فأجاب دانتيس : « كان ذلك استجابة لآخر تعليمات القبطان ليكلير ،  
فقد أعطانى وهو يحتضر طردا صغيرا كى أوصله الى المارشال برتران ! »

- لقد فعلت الصواب يا دانتيس بتنفيذك وصية القبطان ليكلير والتوقف  
فى البيا ، ولو أن ذلك قد يجلب عليك المتاعب فيما لو علمت السلطات انك  
قد حملت طردا الى المارشال !

- وكيف يجلب ذلك على المتاعب يا سيدي ، وأنا لم أعرف شيئا عن  
محتويات الطرد الذى حملته ؟

- هل لك أن تأتى لتناول العشاء معنا ؟

- شكرا لك يا سيدي على هذا الشرف الذى تسبغه على ، لكننى أرجو  
التفضل بأعفائى من هذه الدعوة .. ان زيارتى الاولى ينبغى أن تكون لأبى  
- اذن فسوف ننتظرك بعد أن تفرغ من زيارة أبيك

واحمر وجه الضابط الشاب ، ثم قال وهو يغالب حيائه :

- مرة أخرى أرى نفسى مجبرا على الاعتذار يا مسيو موريل ، فبعد  
الفراغ من هذه الزيارة تبقى أمامى زيارة أخرى أنا فى أشد الشوق الى  
القيام بها !

فابتسم صاحب السفينة وقال : « أنت على حق يا دانتيس .. ان هناك  
من تترقب وصولك بلهفة لا تقل عن لهفة أبيك .. وأعنى بها «مرسيديس»  
الحسنة ! »

وهنا ازداد احمرار وجه دانتيس وقال فى تلثم : « أشكرك يا سيدي ،  
ولهذه المناسبة أرجو أن تسمح لى بإجازة لبضعة أسابيع »

فقال له المسيو موريل : « اذن أنت تعتزم اتمام زواجكما ؟ »

فاوأم موافقا وقال : « وسنسافر بعد ذلك الى باريس »

فقال المسيو موريل : « حسنا ! لك الاجازة التى تريدها يا دانتيس  
على أن تعود بعد ثلاثة أشهر »



ثم ربت كتف الشاب واستطرد قائلا :

- ان « فرعون » لا تستطيع أن تبحر بغير قبطانها !

فضغط الشاب يد صاحب السفينة وقال وقد اغرورقت عيناه بالدموع لفرط تأثره : « آه مسيو موريل ! اننى أشكرك باسم أبى .. واسم مرسيديس ! »

وشد المسيو موريل على يد الشاب مهنئا ومودعا ، وقال له :

- انك شاب كفؤ طيب القلب ولن أعوقك عن الذهاب الآن ، ولتصحبك السلامة !

وعلى أثر ذلك مضى دانتيس الى شارع ( دى نواى ) فى حى (لاكابيير) .. وهناك دخل منزلا صغيرا الى يسار ممر ( دى ميان ) . وصعد سلمه المعتم عبدا الى الطابق الرابع ، حيث تمهل أمام باب نصف مفتوح ، يرى الناظر خلاله جميع محتويات الحجرة التى يفضى اليها

وهناك فى تلك الحجرة كان يجلس والد دانتيس ، فما كاد يلمح ابنه حتى أطلق صيحة فرح ، ثم خف الى استقباله واحتضنه مرتجفا من شدة الانفعال . ولحظ الشاب شحوب وجه أبيه فسأله فى انزعاج : « ماذا بك يا أبى العزيز ؟ هل أنت مريض ؟ أين تحتفظ بنبيذك ؟ »

فأجاب الشيخ المسن : « لا فائدة من الإنكار يا بنى .. لم يعد عندى نبيذ ! »

فتساءل دانتيس وقد شحب وجهه : « ماذا ؟ ليس عندك نبيذ ؟ هل كنت فى حاجة الى نقود يا أبى .. ؟ لقد أعطيتك مائتى فرنك حين رحلت منذ ثلاثة أشهر ! »

- نعم ، هذا صحيح يا ادمون ، لكنك نسيت الدين الصغير الذى كان علينا لجارنا « كادروس » الخياط .. لقد ذكرنى به وأنذرنى ان لم أدفعه بأن يطالب به المسيو موريل .. وهكذا خشيت أن يصيبك الرجل بأذى فدفعته له دينه .. !

فقال دانتيس متعجبا : « دفعت كل الدين الذى فى ذمتى لكادروس ، دفعت مائة وأربعين فرنكا ؟ ! »

فتمتم الأب المسن موافقا ، بينما واصل دانتيس كلامه قائلا :

- اذن فقد عشت ثلاثة أشهر بستين فرنكا ؟ ! ان هذا ليحزننى كثيرا يا أبى !

وسكت الشاب فجأة اذ سمع وقع خطي شخص قادم ، ثم ظهر « كادروس » عند الباب ، وكان شابا فى نحو الخامسة والعشرين من عمره تحيط بوجهه لحية سوداء ، وفى يده قطعة من القماش ينتهيا لحياكتها . ولم يكده يلمح دانتيس حتى ابتدره قائلا : « أهذا أنت يا ادمون ؟ .. انك فيما سمعت مستمتع بالحظوة عند المسيو موريل فى هذه الايام . لكنك أخطأت برفض

دعوته الى العشاء ، فلكى يصير المرء قبطانا ينبغي أن يتقرب بالزلفى الى رؤسائه .

فأجابه دانتيس : « أرجو أن أصير قبطانا بغير هذه الوسيلة ! »  
فقال كادروس : « ان أصدقاءك القدامى جميعا على أية حال سستسهم هذه الترقية وأنا أعرف يقينا من سيكون أشدهم سرورا ! »

فالتفت الأب الشيخ الى الحياض متسائلا : « آتعى مرسيدس ؟ »  
وسارع ابنه الى الإجابة قائلا : « نعم يا أبى العزيز ، ولهذا أرجو أن تأذن لى فى أن أذهب لزيارة أسرتها الآن »

فقال أبوه على الفور : « هذا واجب يسرنى أن تؤديه يا بنى العزيز ، فلتبارك السماء لك فى زوجتك كما باركت لى فيك ! »

ثم عاتق الفتى أباه وأوما الى كادروس برأسه . . وغادر المسكن . . بينما مضى كادروس بعد لحظة ليلحق بصديقه البحار « دانجلر » ، الذى كان فى انتظاره ، فابتدعه هذا قائلا : « هيه ؟ هل أشار الى أمه فى أن يعين قبطانا ؟ »

فأجاب كادروس : « لقد تكلم عن هذا الأمر كما لو كان شيئا مقروا ! »  
فغمغم دانجلر : « لو كان للانسان أن يختار ، لآثر الغنى أن يظل حيث هو ، بل لآثر أن يهبط درجة عن مرتبته الحالية ! »  
ولما سأله كادروس عما يعنيه ، أجاب قائلا :  
« لا شىء ! كنت أحدث نفسي ! »

ثم تنهد واستطرد قائلا : « هل ما يزال يحب تلك الفتاة التى تنتمى الى عشيرة كاتالان ؟ »

فقال كادروس : « نعم ، انه ما زال يحبها بكل مشاعره . . ولكن اذا لم أكن مخطئا فسوف تثور عاصفة فى ذلك الحى . . فما من مرة رأيت فيها مرسيدس تأتى الى المدينة الا كان معها شاب أسمر طويل القامة ، مفتول العضلات ، فاحم العينين ، تبدو عليه الشراسة . . وهى تدعوه بأبن العم ! »  
فسأله دانجلر : « متى يذهب دانتيس لزيارة فتاته ؟ »

فأجاب . « لقد انطلق لأداء هذه المهمة قبل أن أحضر اليك مباشرة ! »  
فقال له : « اذن . . يحسن أن نمضى الآن الى هناك لنجلس فى حانة (لاريزرف) حيث نشرب قدحا من نبيذ (مالقا) وننتظر ما يجد من الانباء ! »

## اتهام خطير

كانت القرية التي تقطنها عشيرة « كاتالان » تقع على بعد مائة خطوة من الحانة التي جلس فيها دانجلر وصديقه كادروس يحتسيان النبيذ . وكانت هذه العشيرة الغامضة قد هاجرت منذ زمن بعيد من وطنها الاصلى « اسبانيا » واستقرت في تلك البقعة من الارض الشبيهة باللسان الممتد في البحر . وقد لبث القوم حوالى ثلاثة قرون أو أربعة لا يختلطون بأهل مرسيليا ، وانما يتزاجون فيما بينهم ويحافظون على تقاليد بلادهم الاصلية ولغتها وزبها

وفي بيت من بيوت تلك القرية ، كانت تجلس شابة حسناء ذات شعر فاحم كالكهرمان الاسود ، وعينين مثل عيني الغزال . وقد أسندت ظهرها الى الجدار . وعلى قيد ثلاث خطوات منها جلس على مقعد هناك شاب طويل فى العشرين أو الثانية والعشرين من عمره ، وأخذ يحدها بنظرات ملؤها القلق والحيرة . ثم قال لها :

— ها هو ذا عيد الفصح قد اقترب مرة أخرى يا مرسيدس ، فماذا ترين فى مسألة زواجنا ؟

فقالت له الفتاة : « لقد أجبت عن هذا السؤال مائة مرة يا فرناند ، وما زلت أؤكد لك انى أحبك كاخ ، وأرجو ألا تسألنى أكثر من هذا الحب الاخوى ، لان قلبى ملك لآخر أنت تعرفه وهو « ادمون دانتيس ! »

وهنا حدق فرناند فى وجه الفتاة ثم سألها وهو يصبر بأسنانه : « واذا فرضنا أنه مات فماذا يكون رأيك ؟ »

فقالت : « اذا مات ادمون فانى أموت أيضا ! »

وفى تلك اللحظة هتف صوت طروب من الخارج :

« مرسيدس ! مرسيدس ! »

فصاحت الفتاة وقد تورد وجهها غبطة وكاد الحب يجعلها تقفز من مكانها : « آه ، هذا هو ! »

وعندئذ اندفع فرناند الى الخارج وقد شحب وجهه وارتجفت أوصاله ! -  
وهتف يحدث نفسه وهو يعدو ويشد شعر رأسه كالمجنون « أوه ، من يخلصنى من هذا الرجل ؟ يا لى من تعس ! »

وفيما هو كذلك سمع صوتا ينسأديه : « فرناند ! فرناند ! » الى أين تعدو هكذا ؟ »

فتوقف الشاب فجأة ونظر حوالبه ، فرأى كادروس جالسا مع دانجلر الى منصبة تحت تكعيبية خشبية خارج الحانة المجاورة للمنزل

وقال كادروس وهو يوميء الى صديقه : « أترى يا دانجلر ؟ » ان فرناند شاب شجاع طيب من عشيرة كاتالان ، وهو يحب فتاة تدعى مرسيدس .. ولكن يبدو أن هذه الفتاة تحب نائب قبطان السفينة فرعون ! »

فقال فرناند : « ان الأمر يكاد يدفعني الى هاوية اليأس »

فقال له كادروس : « لماذا تستسلم لليأس بدلا من أن تفكر في حل لمشكلتك . لم أكن أعتقد أن هذا دأب عشيرتك ! »

فزفر فرناند زفرة حرى وقال :

— انى على استعداد لان أطعن خطيبها ذاك بسكين ، لكنها أكدت لى أنها لو وقع له أى مكروه فستقتل نفسها !

وهنا قال دانجلر : « هناك حل ناجح لا يقل أنره عن أثر موت ذلك الخطيب .. لو أن جدران السجن مثلا حالت بين ادمون ومرسيدس ، لآدى هذا الى انفصالهما ومنع زواجهما .. وهكذا ترى أن لا حاجة بك الى قتله ! »

فتنهذ فرناند مرة أخرى وقال : « ومن لى بالوسيلة التى تكفل لقاء دانتييس فى غياهب السجن ؟ » هل لديك هذه الوسيلة ؟ »

فقال : « يخيلى الى أنه بعد رحلة كالتى قام بها أخيرا ، وخرج فيها على جزيرة ( البيا ) يمكن بسهولة أن تزج به السلطات الملكية فى السجن بتهمة أنه من أتباع بونابرت ! »

فهتف فرناند متحمسا : « حسنا ! .. سأشى أنا به الى السلطات الملكية »

فقال دانجلر مقاطعا : « كلاً ! .. لو قررنا اتخاذ هذه الخطوة لكان الافضل أن نأخذ هذه الريشة — كما أفعل الآن — ونغمسها فى هذا الحبر ، ثم نكتب الاتهام الذى نتفق عليه باليد اليسرى ، كيلا يعلم أحد بان لنا يدا فى الأمر ! »

ثم كتب دانجلر بيسراه السطور التالية ، وقرأها بعده فرناند بصوت هامس :

« من صديق للعرش والدين الى فخامة النائب العام لصاحب الجلالة الملك .. ان من يدعى ادمون دانتييس ، نائب قبطان السفينة ( فرعون ) وصل هذا الصباح قادما من أزمير بعد أن مر بنابولى وبورتو فيراجو . وقد عهد اليه ( مورا ) فى مهمة حمل خطاب الى الغاصب ( نابوليون بونابرت ) .. كما عهد اليه هذا الغاصب حين اجتمع به فى حمل رسالة منه الى جماعة من أنصاره ذوى الخطر فى باريس .. وسوف تجدون الدليل الذى يثبت هذه الجريمة عند القبض عليه ، لان خطاب الغاصب ما زال عنده ، أو عند أبيه ، ان لم يكن فى غرفته الخاصة بالسفينة ! »



ثم قال دانييل معقبا : « هذا عظيم ! » والآن يبدو انتقامك معقولا ، فهو لا يمكن أن يرتد اليك . وما علينا الآن الا أن نلغ هذا الخطاب ، ثم نكتب على المظروف ( الى النائب العام لصاحب الجلالة ) وبذلك ينتهى كل شيء ! »

وما أتم دانييل عبارته حتى كان قد انتهى فى الوقت نفسه من كتابة العنوان . . . بينما قال كادروس مؤكدا : « نعم ، وبذلك ينتهى كل شيء ! »

وكان هذا قد استطاع باجتهاد قواه الذهنية الى آخر ما تحتمل أن يتابع عبارات الخطاب أثناء تلاوة فرناند اياه ويفهم مدى فظاعة النتائج التى قد يفرض اليها الاتهام . فعاد يكرر قول صديقه دانييل : « نعم ، بذلك ينتهى كل شيء ! لكنها تكون فعلة دنيئة تجلب العار ! »

ثم مد الرجل يده محاولا انتزاع الخطاب من يد دانييل ، فلم يمكنه هذا من الوصول اليه وقال له وهو يبعد الخطاب من متناول يده : « ان الامر مزاح ، وانى لأول من يحزن اذا وقع أى مكروه لصديقنا الهام دانتيس ! وعلى هذا فما أنذا أمزقه وأقذف به الى الارض بين المهملات والقاذورات ! »

ثم نهض دانييل بعد أن ألقى الخطاب فى ركن من أركان الحانة ، وأخذ طريقه ومعه صديقه كادروس عاكدين من حيث جاءا . وبعد أن مشيا خطوات التفت دانييل الى الخلف فرأى فرناند يلتقط الخطاب ويضعه فى جيبه ثم يعضى نحو المدينة !



## زفاف الى السجن

أعدت العدة في اليوم التالي لزفاف مرسيدس الى دانتيس ، وهناك في الطابق الثاني من حانة القرية التي اجتمع فيها المتآمرون في اليوم السابق، امتلأت الشرفة بالمدعوين الى المأدبة قبل أن يحين الموعد المحدد لها بساعة كاملة . وكانوا خليطاً من بحارة السفينة « فرعون » زملاء دانتيس ، ولفيف من خاصة أصدقائه ، وقد ارتدى الجميع أحسن ثيابهم

وحينما لاح موكب العروسين هبط المسيو موريل ليستقبله ، إمعانا في تكريم القبطان الجديد ، في أسعد مناسبات حياته ، وتبعه جمع من الجنود والبحارة ، وكانوا قد علموا منه نبأ اختيار « دانتيس » قبطانا للسفينة فرعون خلفا للقبطان ليكلير ، فتضاعفت فرحتهم بهذا الاختيار



وحين بلغت العروس منتصف المائدة الكبرى وقفت والتفتت الى أبيها قائلة : « أرجو أن تتكرم يا أبي بالجلوس الى يميني » ، ثم أومات الى فرناند بابتسامة لطيفة وقالت : « أما عن يساري فسنأجل ذلك الذي طالما كان بمثابة أخ لي ! »

وكانما أثارت عبارتها وابتسامتها اللواعج الكامنة في صدر الفتى فشجب وجهه على أثر ذلك شعوباً مخيفاً وتقلصت شفته ، وبدأ في منتهى الاضطراب !

وهناك في الجانب الآخر من المائدة كان دانتيس بدوره يتولى معاونة ضيوفه الممتازين على الجلوس ، فأجلس المسيو موريل الى يمينه ، ودانجلر الى يساره . ثم أوما الى بقية المدعوين فجلسوا حيثما راق لهم أن يجلسوا وفيما هم يأكلون قال دانتيس مخاطبهم :

— أي أصدقائي الأعزاء . . يسرني أن أخبركم أننا بفضل نفوذ المسيو موريل حصلنا على إذن بالتجاوز عن المهلة القانونية المشروطة لعقد القران ، وعلى هذا سوف ينتظرنا عمدة مارسيليا في الساعة الثانية والنصف في قاعة البلدية . أي بعد حوالي ساعة ، ولن تضي ساعة أخرى حتى يتم الزواج . وفي صباح غد أسافر الى باريس لانجاز المهمة الموكولة الى ، وسوف أعود الى هنا في أول مارس ، وفي اليوم التالي أقيم المأدبة الحقيقية



وصاح وكيل النيابة : « ادمون دانتيس .. الى أقبح عليك باسم القانون »

للزواج ، حيث يسعدني أن أدعوكم جميعا اليها منذ الآن !  
وبعد حين سمع صوت مرسيدس العذب وهي تقول :  
- هلا تحركنا ؟ لقد دقت الساعة الثانية ، ولم يبق الا ربع ساعة على  
موعد الذهاب الى البلدية !  
وفي تلك اللحظة سمعت على الباب ثلاث طرقات ٠٠ وصاح صوت عال  
من الخارج : « افتحوا باسم القانون ! »  
ثم فتح الباب ، ودخل منه محقق من وكلاء النائب العام ، يتبعه عدد من  
الجنود ، وصاح المحقق على الفور :  
- ادمون دانتيس ، اني أقبض عليك باسم القانون ! ٠٠ وسوف تملن  
بالاسباب التي دعت الى ذلك في بداية التحقيق !  
وساد القاعة على أثر ذلك سكوت رهيب ، ثم هبط دانتيس السلم خلف  
المحقق يتبعهما الجنود ٠٠ وكانت أمام الباب عربية استقلها برفقة المحقق  
واثنين من الحراس ٠٠ ثم درجت بهم العربية عائدة الى مارسيليا  
وصاح المسيو موريل ببقية المدعويين قائلا :  
- انتظروني هنا جميعا ، سأهرع الى مارسيليا ثم أعود لأنبئكم بالخبر  
اليقين عن تطور الامور  
وفي الوقت نفسه كان القاء القبض على دانتيس موضع تعليقات مختلفة  
اللهجة من جانب بعض المدعويين ، فقال أحدهم يسأل دانتجلر : « وما رأيك  
في هذا الحادث ؟ »  
فأجاب دانتجلر : « أعتقد أن دانتيس لابد قد اتهم بتهريب مادة تافهة  
من المواد المنوع دخولها الى هذه البلاد »  
وهنا قال والد الشاب في صوت متهدج : « الآن تذكرت ٠٠ لقد ذكر  
لي ابني المسكين أمس أنه أحضر لي صندوقاً صغيراً من البين وآخر من التبغ »  
وأخيرا هتف واحد من المدعويين كان مطلاً من الشرفة :  
- أخبار طيبة ! أخبار طيبة ٠٠ هذا هو المسيو موريل قد عاد .  
لا شك الآن أننا سنسمع منه نبأ الافراج عن صديقنا دانتيس !  
وهرعت مرسيدس والوالد الشيخ ليستقبلا صاحب السفينة عند الباب  
ويستطلعا منه الانباء ٠٠ لكن هذا خاطب الحاضرين بقوله في لهجة جادة :  
« ان الامر قد اتخذ اتجاهاً أخطر مما كنت اظن ايها الاصدقاء ٠٠ ان دانتيس  
متهم بانتماؤه الى حزب بوناپرت ! »



في الوقت الذي جرت فيه تلك الأحداث الملاحقة في مادبة زفاف  
مرسيدس الى دانتيس ، كانت هناك في أحد القصور الارستقراطية الواقعة



فى شارع «جران كور» تجاه نافورة «ميدوزا» حفلة زفاف أخرى ، يشهدها جمع من صفوف المجتمع الرفيع فى مرسيليا

وفى هذه الحفلة نهض رجل مسن يحلى صدره بصليب « سان لويس » ، مقترحا شرب نخب صحة الملك لويس الثامن عشر . ولم يكن ذلك الشيخ سوى المركيز دى سانت ميران . وكانت المركيزة زوجته امرأة ذات وجه عبوس ومظهر مترف جليل ، برغم الخمسين سنة التى انصرمت من عمرها . . . ف قالت معلقة :

— آه ، لو كان أولئك الثوريون هنا الآن لما استطاعوا الا أن يعترفوا بأن الملك هو حقا راعينا « لويس المحبوب » بينما غاصبهم التعس كان دائما وسوف يكون فى كل حين عبقرتهم الشرير « نابليون العين » . . . ألسنت على حق يا مسيو فيلفور ؟

والتفت هذا الى المركيزة حين سمعها تذكر اسمه وقال فى هدوء :

— أسألك المذرة يا سيدتى ، اننى فى الواقع ، وأعتذر مرة أخرى عن ذلك ، لم أكن أتتبع النقاش !

وهنا قالت « رينيه دى سانت ميران » وهى شابة حسنة يكلل هامتها تاج من الشعر الكستنائى الجميل وتزين وجهها عينا كأنهما تسبحان فى بللور سائل :

— لا بأس يا أمى العزيزة . . . لقد كنت أنا المسئولة عن شغل انتباه المسيو دى فيلفور بحيث لم أدعه يصغى الى حديثك . . . والآن يا مسيو دى فيلفور ، دعنى أذكرك بأن أمى تخاطبك !

وعلى أثر ذلك عادت الأم تكرر رأيها فقالت : « كنت أقول يا فيلفور ان أنصار بونابرت ليس لهم حماستنا وتفانيانا فى الاخلاص »

فقال الشاب : « ان لهم مع ذلك ما يعتبر عوضا عن هذه الصفات الرائعة . وأعنى بذلك تعصبهم لسيدهم الى أقصى حد . . . ان نابليون يكاد يكون معبود أتباعه ، وليس هذا لأنه زعيم ومشعر للقوانين فقط ، بل لأنه نموذج مجسم للمساواة ! »

— هل تعلم يا فيلفور أنك تتكلم بلهجة ثورية مخيفة ؟ لكنى اعذرک ! . فمن المستحيل أن ننتظر من ابن الجيروندى أن يكون معصوما من آثار الحمرة القديمة ! »

وعندئذ اصطبغ وجه فيلفور بحمرة القرمز ، ثم أجاب محدثته قائلا « صحيح يا سيدتى أن أبى كان من أنصار الجيرونديين ، لكنه لم يكن بين أولئك الذين صوتوا طالبيين اعدام الملك . أما عن نفسى فقد وضعت جانبا كل اعتبار ، حتى اسم أبى ، وتوصلت من مبادئه السياسية . . . لقد كان — بل يحتمل أنه ما زال حتى الآن من أتباع بونابرت ، وهو يسمى نفسه ( نوارتييه ) . . . أما أنا فعلى العكس منه ملكى متحمس ، وقد خلعت على

نفسى لقب دى فيلفور ٠٠ وعلى كل حال فلندع مخلفات الوباء الثورى حتى تذهب وتزول من تلقاء نفسها !

فأجابه المركيزة : « من صميم قلبي أرجو أن ينسى الماضى الى الأبد . وكل ما أطلبه أن يكون دى فيلفور فى المستقبل حازما لا يلين فى مبادئه السياسية . ولنتفق بأنه لو وقع فى يدك أى شخص متآمر على الحكومة فإن واجبك يقضى بأن تعاقبه عقابا صارما ، ولاسيما أنك معروف بالانتماء الى أسرة كانت من أنصار الجيرونديين ! »

فقال فيلفور : « اننى يا سيديتى ، بحكم مهنتى والزمن الذى نعيش فيه ، مضطر الى أن أكون صارما . لقد توليت توجيه محاكمات علنية عدة بنجاح تام ، وأوقعت بالمعتدين العقاب الذى يستحقونه ، لكننا لم نقض على الخطر بعد ! »

وهنا هتفت حسناء شابة ، هى ابنة الكونت سالفيو والصديقة الحميمة للآنسة دى سانت ميران :

— أواه ! بربك يا مسيو دى فيلفور حاول عقد بعض المحاكمات الكبيرة أثناء وجودنا فى مارسيليا ، فانى لم أدخل محكمة فى حياتى ، ويقال انها متعة مسلية !

فأجاب الشاب : « نعم انها تكون مسلية بلا شك ، اذا اعتبرنا مشاهدة مآسى الحياة تسلية ! وعلى كل حال كونى على ثقة من أنه لو سنحت أية فرصة قريبة فلن أتردد فى دعوتك لكى تحضرى إحدى المحاكمات ! »

وفى هذه اللحظة دخل خادم وهمس فى أذن فيلفور ، فنهض هذا معتذرا من مغادرة القاعة قليلا ، لعمل طارئ ، ثم عاد بعد لحظات متهلل الوجه ، وقال ردا على استفسار من الآنسة دى سانت ميران :

— لقد دعيت لشولى التحقيق فى مسألة خطيرة قد تنتهى على يد الجلاء ، وإذا صحت المعلومات النى تلقيتها فإن هناك مؤامرة «بونابرتية» ، وسأقرأ لكم الخطاب الذى حوى الاتهام

ثم تلا عليهم الرسالة التى أعدها دانجلر وكادروس وفرناند فى حانة القرية ، متهمين فيها ادمون دانتيس بالمرور على جزيرة ( البا ) حيث يقيم نابليون منفيا ، وتوصيل رسالة اليه ! ولم يكذ فيلفور يفرغ من القراءة حتى هتفت الفتاة «رينيه» مصفقة وهى ترنو لخطيبها فى لهفة واشفاق :

— أوه يا فيلفور ، كن رحيما فى يوم خطبتنا هذا !

فأجابه هبتسما : « ارضاء لك يا عزيزتى رينيه ، أعذك بأن أظهر كل التسامح الذى فى طاقتى ، ولكن اذا كانت التهمة ثابتة على هذا المتآمر البونابرتى فينبغى أن تأذنى لى فى أن أقدم رأسه للمقصلة ! »

وغادر فيلفور المكان على الفور قاصدا الى بيته ، الملحق بقصر العدالة ،

وهناك جلس الى مكتبه مكتئبا . . وبعد لحظة أدخل عليه دانتيس ، وقال  
في هدوء ردا على سؤال المحقق : « اسمى ادمون دانتيس »

- هل خدمت في عهد الغاصب ؟

- كنت على وشك الانخراط فى سلك البحرية الملكية حين سقط بونابرت  
وعندئذ خاطبه فيللفور وهو يخرج الخطاب من جيبه ويعرضه عليه :  
« سيدى ، هل تعرف لك أعداء ؟ »

فأجابه هذا بعد أن قرأ الخطاب ، وقد غامت على وجهه سحابة قاتمة :  
« كلا يا سيدى ! لست أعرف هذا الخط »

ثم أضاف وهو ينظر الى المحقق نظرة امتنان :

- انه لمن حسن حظى أن يحقق معى رجل مثلك ، فهذا الخطاب لا يصدر  
الا من عدو حاسد !

فقال له فيللفور : « الآن حدثنى بصراحة ، حديث الرجل الى رجل يهتم  
بأمره : أى نصيب من الحقيقة فى الاتهام الوارد فى هذا الخطاب المجهول  
المصدر ؟ »

فأجاب دانتيس : « لا شئ البتة ! ساروى لك الوقائع على حقيقتها . .  
عندما غادرنا نابولي أصيب القبطان ليكلير بحمى مخية . وفى نهاية اليوم  
الثالث اذ أحس بدهر أجله استدعانى وقال لى : ( يا عزيزى دانتيس ، أقسم  
أمامى لتؤدين المهمة التى سأكلفك بها . . ان قيادة السفينة سوف تؤول  
اليك بعد موتى ، بوسفك نايبى ، وأنا أريد منك أن تعرج بالسفينة على  
جزيرة البا ، وأن تهبط الى البر فى ميناء ( بورتو فيراجو ) ثم تسأل عن  
مكان الماريشال الاكبر وتسلمه هذا الخطاب ، واذا أعطاك ردا غلبه خطابا  
آخر فلتحمله الى حيث يطلب منك . . ولتذكر دائما أن رغبات الانسان  
المحتضر مقدسة ، علاوة على أن الرغبات الاخيرة الصادرة الى بحار من رئيسه  
تعتبر بمثابة الامر ! ) . . وهكذا أبحرت الى جزيرة البا ، وهناك أمرت جميع  
البحارة بالبقاء على ظهر السفينة ونزلت وحدى الى البر ، وسلمت الرسالة  
للماريشال الاكبر ، فزودنى برسالة لأحملها الى شخص فى باريس ! »

فقال فيللفور على الفور : « اذا كنت قد ارتكبت ذنبا فهو ذنب عدم  
الحيلة ، الذى جعلك تطيع أوامر رئيسك . . فلتهمل أمر الخطاب الذى  
أحضرتة من البا ، وعدنى بشرفك أن تحضر متى استدعيناك ، والان اذهب  
الى أصدقائك ! »

فتساءل دانتيس فرحا : « اذن فانا مطلق السراح يا سيدى ؟ »

فقال فيللفور : « نعم ، ولكن أعطني ذلك الخطاب أولا ! »

فأجاب : « لقد أخذوه منى حين فتشونى ، وها أنذا أراه ضمن الاوراق  
التي أمامك ! »

ثم تناول دانتيس قبعته وقفازيه وهم بالخروج ، لكن المحقق استوقفه قائلا : « انتظر دقيقة ٠٠ الى من كتب الخطاب ؟ »

فقال : « الى مسيو نوارتييه ، بشارع كوك هيرون ببواريس ! »  
ولو أن صاعقة سقطت في الحجرة ، لما كان ذهول فيللفور أشد منه لدى سماعه هذا الاسم ٠٠ فقد شحب وجهه شحوبا مخيفًا ، ثم سأل محدثه :  
« هل أطلعت أحدًا على هذا الخطاب ؟ »

فأجاب : « كلا يا سيدي ٠٠ وأقسم بشرفي !

— أليس لك علم بشيء مما فيه ؟

— كلا ٠٠ وأقسم بشرفي يا سيدي !

وغمغم فيللفور محدثًا نفسه : « آه لو علم محتويات هذا الخطاب . وأن نوارتييه هو والدي ، اذن لهلك ! »

ثم أضاف محدثًا دانتيس : « لم يعد في وسعي يا سيدي — كما كنت أؤمل — أن أطلق سراحك فورًا ، لكنني سأجاهدكي أجعل مدة اعتقالك أقصر ما يمكن ، ذلك لأن التهمة الرئيسية ضدك هي هذا الخطاب ، وسترى الآن ما أنا صانع به »

ثم اقترب من المدفأة ، وألقى الخطاب في النار ، وانتظر حتى احترق عن آخره ، ثم قال مستطردًا : « ها أنت ذا ترى أنني أحرق الخطاب ٠٠ وسوف أحجزك حتى المساء في قصر العدالة ، فإذا استجوبك أحد غيبي فقل له ما ذكرته لي ولكن حذار أن تشير بحرف الى هذا الخطاب ، وثق بأنك ان أطعت هذه التعليمات فلا ضير عليك قط ! »

فتنهذ دانتيس وقال : « اطمئن يا سيدي ، لن أشير اليه بحرف ! »  
واذ ذاك دق فيللفور الجرس ، فلما ظهر أحد الجنود على الباب همس في أذنه ببضع كلمات ٠٠ ثم قال يخاطب دانتيس : « اتبعه » ٠٠ ولم يكد الباب يغلق بعد انصرافهما حتى ألقى فيللفور بنفسه متهاكًا على مقعده وراح في شبه اغماء ٠ فلما أفاق راح يحدث نفسه قائلا : « لو كان النائب العام موجودا في مارسيليا اليوم لهلكت ، ولدمر هذا الخطاب اللعين كل آمالي ٠٠ أو اه يا أبي ، الى متى يظل ماضيك يعرقل مستقبل ونجاحي ؟ »

وفجأة أضاء وجهه خاطر مباغت ورفرت على فمه ابتسامة ، وتحجرت عيناه من الانهماك في التفكير ، وقال يحدث نفسه : « هذا يكفي ! » من هذا الخطاب الذي كان سيقضى على سوف أجمع ثروة من الملك ٠٠! والآن الى العمل الذي في يدي ! »



أما دانتيس فقد خرج يتوسط حامية حراسه الى حيث كانت عربة تنتظر



نه

ي  
:

أن

ت  
م  
ن

ن  
ل  
ن

ي  
ل  
د  
ه  
ب  
ل  
«

ت  
ا  
ل

ر

فى الخارج فصعد سلمها وجلس بين اثنين من جنود البوليس ، بينما جلس فى مواجهتهم جنديان آخران ٠٠ ثم بدأت المركبة سيرها فوق الطريق المرصوف بالاحجار ٠٠ وحين وقفت آخر الامر طلب الحراس منه أن يهبط ، وتقدمه بعضهم الى رصيف يفضى الى البحر فأركبوه قاربا انطلق به، فلى الماء تدفعه مجاديف أربعة من البحارة !  
وتساءل دانتيس : « الى أين تأخذوننى ؟ »

ولم يتلق أى جواب ، لكنه حين تطلع حواليه وقعت عينه على الصخرة السوداء الكثيفة التى يقوم عليها سجن قصر « ايف » ٠٠ وبدأ له القلعة الموحشة التى كانت مادة لاشبع الأساطير المخيفة خلال أكثر من ثلاثمائة عام ٠٠!

وأحس دانتيس كأنه فى حلم ، وهو يصعد سلم القلعة ، ثم حين أغلقت الباب الضخم بينه وبين عالم الأحرار ٠٠ بل انه لم يتنبه وهو داخل حتى الى المحيط ، ذلك الحاجز الرهيب الذى ينظر اليه المسجونون نظرة يأس بالغة ٠٠ وقاده حارس الى زنزانه تكاد تقع تحت مستوى الأرض ، وكانت جدرانها العارية المبللة ببخار البحر كأنها مشربة بالدموع ، يضيئها مصباح خافت الضوء موضوع فوق كرسي صغير بغير ظهر . وخاطبه الحارس قائلا :  
« هذه غرفتك التى ستقضى فيها الليلة ٠٠ فالوقت متأخر ، وحاكم السجن نائم ، وقد ينقلك غدا الى غرفة أخرى ٠٠ واليك طعامك من الخبز والماء ، وهو كل ما يستطيع السجن أن يطعم فيه . طابت ليلتك ! »

وبقى دانتيس وحيدا فى الظلمة والسكون ، يحس كأن أشباحا وظلالا تنففس على جبهته الملتهبة ٠٠ وعند ظهور أول طلائع الفجر عاد اليه السجنان يحمل أمرا بترك السجن حيث هو ٠٠ فوجد دانتيس واقفا فى الوضع الذى تركه فيه أول الليل ، وكأنما تحول الى تمثال جامد ، وقد تقرحت أجفانه من البكاء ٠٠ لقد قضى الليلة واقفا بلا نوم ٠٠!

واقترب السجنان منه فلم يبد على دانتيس أنه تنبه الى اقترابه ٠٠ ثم سأله هذا : « ألم تنم ؟ »  
فقال : « لست أدري ! »

فسأله : « أنت جائع ؟ » فكرر الاجابة نفسها . وحينئذ سأله الحارس :  
« ألا تريد شيئا ؟ » فلما أجاب بأنه يريد أن يرى الحاكم ٠٠ هز السجنان كتفيه وغادر المكان صامتا بعد أن أغلق باب الزنزانه كما كان

وعندئذ انفجر دانتيس باكيا ، ثم ألقى نفسه على الأرض وراح يسائل نفسه : « أية جريمة ارتكبتها حتى أعاقب على هذه الصورة ؟ »

وانقضى اليوم على هذا المنوال ٠٠ لم يكد يذوق طعاما ، وانما راح يدور فى الزنزانه كالوحش الحبيس ، ويلوم نفسه على أنه جلس ساكنا مستسلما فى الزورق أثناء نقله الى السجن ، فى حين كان يستطيع أن يقفز الى البحر

هيبلى الشاطيء بفضل براعته المشهود بها فى السباحة .. وهناك يخفى  
نفسه حتى تصل أية سفينة فيستقلها هاربا الى اسبانيا أو ايطاليا ، حيث  
يلحق به أبوه ومرسيديس  
ولن يحبره التفكير فى الوسيلة التى يكسب بها عيشه هناك ، فالبجارة  
الافذاذ أمثاله يجدون ترحيبا حيثما حلوا ، وهو يتقن الايطالية والاسبانية  
كأبناهما !

وكاد يجن ندما على أنه وثق بوعد فيلفور ، فألقى بنفسه فى حلق فوق  
القش المفروش على أرض الزنانة وأغمض عينيه لعله ينام !  
وفى الصباح التالى دخل عليه السجنان بصحبة جاويش وأربعة من الجنود ،  
وفال السجنان لهم على الفور : « هيا .. لقد أمر حاكم السجن بنقل هذا  
السجين الى الطابق الأسفل ، ليودع مع أمثاله من المجانين هناك ! »  
وأمسك الحراس بدانتيس ، فتبعهم مستسلما ، وبعد أن هبط خمس  
تشرة درجة من السلم ، فتح أمامه باب قبر معتم ، ثم ألقى فيه وحده وأغلق  
الباب كما كان !

وتقدم دانتيس ماذا ذراعيه فى الظلام الحالك حتى لمس الجدار ، فارتدى  
الى جواره يائسا وحدث نفسه قائلا : « حقا .. لقد صدق السجنان .. أن  
الخييط الذى يفصلنى عن الجنون المطبق صار الآن أوهى من خييط العنكبوت ! »



## بارقة أمل

كان قد انقضى عام على استرداد الملك لويس الثامن عشر عرشه بعد هزيمة نابليون في معركة ووترلو

وذهب المفتش العام للسجون ليزور قصر « ايف » وسمع دانتيس وهو في زنزانه يقبو ذلك السجن جلبة الاستعداد لزيارة المفتش العام فأدرك أن ثمة شيئا غير عادى يجرى فى عالم الأحياء ، وإن لم يدرك كنهه بالضبط !

وهبط الزائر السلم الى الطابق الأسفل ، المظلم الموحش ، فلم يملك أن هتف : « أوه ! من يستطيع أن يعيش هنا ؟ »

فأجابه حاكم السجن الذى يرافقه : « يعيش هنا متأمر خطر ، لدينا تعليمات مشددة بأن نراقبه بمنتهى الدقة والصرامة ، لجرأته وشدة بأسه ، وأنه الآن لأشبه بمجنون ، ولن يمضى عام آخر حتى يكون جنونه قد اكتمل ! » وفى الزنزانة السفلى التى ستهبط اليها بسلم آخر لا يزيد طوله على عشرين قدما ، يوجد راهب سجين كان يرأس أحد الأحزاب الايطالية . وهو هنا منذ سنة ١٨١١ ، وقد جن بعد سنتين من دخوله السجن . وهو يضحك أحيانا ويبكى أحيانا . وقد نحل جسمه فى البداية ، ثم بدأ الآن يمتلئ ويصير بدينا . ولعله يروك أن تراه ، فإن جنونه مسل الى حد كبير ! »

وفى ما كان دانتيس مستلقيا فى ركن من القبو سمع وقع خطى الباب ، ثم صوت المفتاح يدار فى القفل ، فهب واقفا متربعا ، وما كاد المفتش يدخل حتى هتف يخاطبه فى ضراعة تثير الاشفاق : « أريد أن أعرف أية جريمة ارتكبتها ؟ أريد أن أحاكم ، فإذا ثبتت ادانتى أعدم رميا بالرصاص ، والا أطلق سراحى »

فأجابه المفتش : « سوف نرى »

ثم التفت الى الحاكم وهمس قائلا : « ان حالة هذا المسكين تفتت قلبي ، ويجب ان تعرض على الادلة التى تثبت جريمته ! »

وخرج المفتش وأغلق الباب من جديد ، ولكن بقى مع دانتيس فى زنزانه هذه المرة رفيق جديد هو الأمل الذى بعثته فى نفسه كلمات المفتش العام وسأل حاكم السجن ضيقه المفتش : « هل تريد الاطلاع على السجل أولا

أم تتابع الجولة لزيارة القبو الآخر ؟ ان الراهب السجين الذى فيه يتخيل أنه يملك كنزا هائلا . وقد عرض فى العام الاول أن يدفع مليون فرنك مقابل الافراج عنه ، وفى العام التالى عرض مليونين . وهكذا دواليك . وهو الآن فى عامه الخامس . وسوف يعرض عليك خمسة ملايين ! »



وهناك فى وسط ذلك القبو رأى الزائران شيئا لا تكاد أسماله البالية تغطى جسده . ولم يتحرك حين سمع جلبة الداخلين بل استمر مشغولا بأعماله الحسابية الخاصة بكنزه ، حتى اذا أضاءت المشاعل القبو رفع رأسه وحدث قليلا فى الزائرين ثم أسرع فى لف غطاء الفراش حول جسمه ! وسأله المفتش : « ماذا تريد يا سيدى ؟ »

فأجاب : « سيدى ، أنا الراهب فاريا ، ولدت فى روما وعملت عشرين عاما سكرتيرا للكاردينال سبادا ، وقد اعتقلت سنة ١٨١١ لسبب لا أعلمه . ومنذ ذلك التاريخ وأنا أطلب الافراج عني ، تارة من الحكومة الفرنسية وتارة من الحكومة الايطالية . واني مستعد لأن أدفع فى مقابل الافراج عني خمسة ملايين من الجنيهات ! »

فأجابه المفتش « يا سيدى العزيز ، ان الحكومة غنية وليست فى حاجة الى ملايينك ، فاحتفظ بها حتى يفرج عنك ! » فقال الراهب السجين . « اذا لم يفرج عني وبقيت هنا حتى أموت ، فسوف يضيع الكثر . انى أعرض عليك ستة ملايين ، وسأقنع بالباقي فى مقابل أن ترد الى حريتي . انى لست مجنونا ، والكنز الذى أتحدث عنه موجود حقا ، وأنا على استعداد لأن أوقع على تعهد بالارشاد الى مكانه ، فاذا لم تجدوه فأعيدونى الى هنا . ولست أطلب أكثر من ذلك ! »

فقال المفتش : « انها خطة بارعة ، فلو طلب جميع السجناء ذلك لاتيحت لهم فرصة رائعة للفرار ! »

ثم خرج الزائر ومرافقه ، وأغلق السجن الباب دون السجين !

وفى المفتش بوعده لدانتيس ، ففحص سجله ، ووجد فيه هذه العبارة : « بونا برتى عنيف شديد الخطر ، قام بدور ايجابي فى فرار الغاصب من البيا . ! » ولم يستطع المفتش ازاء هذه التهمة الا أن يكتب على هامش السجل معلقا : « لا شئ يمكن عمله فى أمره . ! »



فى نهاية العام التالى وصل الى السجن حاكم جديد ، وكان عسيرا عليه أن يعرف المسجونين بأسمائهم لأن عددهم يزيد على الخمسين ، فصار يرمز

الى كل برقم زنارته • وكان رقم القبو الذى يعيش فيه ادمون دانتيس ٣٤  
• وفى الوقت الذى بلغ فيه اليأس بالسجين الشاب غايته حتى دفعه  
الى التفكير فى الانتحار ، فوجيء ذات ليلة بسماع صسوت أجوف صادر  
من وراء الجدار الذى ينام الى جواره ، وكأنه صوت آلة جديدة تدق الاحجار  
• • • فحدث نفسه قائلا : « لا شك فى أن هناك سجيناً آخر يحاول الفرار ،  
آه لو استطعت مساعدته ! »

ومضى ادمون الى ركن قبوه فتناول حجرا ودق به الجدار ثم انتظر قليلا  
فلما لم يسمع شيئا أفعم قلبه بالأمل فى نجاح مساعدته لذلك السجين  
زميله المجهول • ونهض فنقل فراشه من مكانه وأخذ يبحث عن شيء يثقب  
به الجدار حتى ينتزع حجرا منه ، ولكنه لم يجد ما يصلح لذلك غير آنية  
شرابه ، على أن يحطمها ويستخدم قطعة مدببة منها فى الغرض المطلوب !  
وكان أمامه الليل كله يعمل أثناءه ، برغم أن الظلام كان يعوقه الى حد ما  
• • • وحين وجد الجدار شديد الصلابة أعاد الفراش الى مكانه ليخفى آثار  
المحاولة وآثر الانتظار الى الصباح • أما زميله فقد دأب على عمله طيلة الليل  
ولما أشرق النهار وجاء السجنان الى دانتيس بالطعام ، أخبره بأن الآنية  
وقعت فانكسرت • • • فما كان من هذا الا أن ذهب لاحضار أخرى دون أن  
يعنى بجمع شظايا الآنية المكسورة ! • • •

وبعد ثلاثة أيام نجح دانتيس ، بفضل مراعاته منتهى الحذر ، فى ازالة  
طبقة الاسمنت التى تكسو الجدار والكشف عن حجر كبير وراءها • • • وصار  
عليه أن يحفر حول الحجر حتى يستطيع اقتساعه من مكانه • ولكن بماذا  
يحفر ؟ • • • ان الآنية الخزفية تعجز عن ذلك • وهنا خطر له أن يضع الآنية  
الحديدية التى يحضر له فيها السجنان الحساء أمام الباب بحيث يدوسها هذا  
بقدمه حين يدخل لأخذ الصحف الفارغة ، فتتكسر ! • • • فلما تم له ذلك  
وفق الخطة التى رسمها طلب الى الحارس أن يدع بقايا الآنية المكسورة الى  
الصباح ، وصادف هذا الطلب هوى من نفس السجنان الكسول فقيل !  
وكاد دانتيس يجن فرحا • • • فلما خرج زحزح الفراش من مكانه وأهوى  
بمقبض الآنية المدبب على جوانب الحجر • • • فلم تمض ساعة حتى أمكن  
اقتلاعه من مكانه ، وانفتحت فى الجدار ثغرة سعتها قدم مكعب ونصف قدم  
• • • واذاً ذلك أخذ دانتيس المخلفات التى نتجت عن ثقب الجدار ودفنها فى  
شقوق الجدران • • • ثم أعاد فراشه الى مكانه ليخفى آثار فعلته ونام قرير  
العين !

وبعد مجهود مماثل دام بضع ليال ، فوجيء دانتيس فى ذات ليلة بسماع  
صوت كأنه صادر من تحت الأرض ، فوقف شعر رأسه دهشة واجفالا • • •  
ثم قال له صاحب الصوت : « لا تحفر أكثر من ذلك • ولكن قل لى فقط  
ما ارتفاع ثغرتك ؟ »  
فهمس قائلا : « انها فى مستوى أرض الحجرة ! »

— وعلام يفتح باب حجرتك ؟  
— على ممر يؤدي الى فناء السجن !  
— أعتقد أن الجدار الذي تثقبه هو جدار السجن الخارجي ، فلتتوقف عن العمل حتى أتصل بك . أنا السجن رقم ٢٧ . وسأتصل بك غدا ٠٠ !  
وفي الصباح التالي سمع دانتيس ثلاث طرقات ٠٠ فركع على ركبتيه وراح ينصت . ثم قال له ذلك السجن :

— هل خرج سجانك ؟  
— نعم، وهو لن يعود قبل المساء . ومن ثم فأمانا اثنتا عشرة ساعة للعمل وبعد لحظة انهار الجزء من الارض الذي كان دانتيس متكئا عليه بيديه ، بينما كان رأسه في الثغرة ٠٠ فارتد الى الخلف في الوقت الذي هوت فيه كتلة من الاحجار والارض فاخترقت في حفرة انفتحت تحت الثغرة التي فتحتها هو ٠٠ ثم من أعماق هذا الممر رأى رأس رجل يبرز أولا ثم يتبعه جسمه ٠٠ وإذا السجن رقم ٢٧ قد صار معه في زنزانته !  
وأخذ دانتيس زميله السجن بين ذراعيه معانقا ، بل كاد يحمله نحو النافذة كي يرى ملامح وجهه ٠٠ كان رجلا ضئيل الجسم ، أبيض شعره من الآلام ، ذا عين نافذة تكاد تكون مدفونة خلف حاجبيه الأغبر الغزير . وكانت له لحية طويلة تصل الى صدره . أما وجهه النحيل وخطوط ملامحه الجسورة فتتم عن رجل ألف أن يستخدم قواه الذهنية أكثر من قواه الجسمية وعلم دانتيس من زميله أنه انتزع بعض « شناكل » سريره كي يستعين بها على حفر الطريق الذي سلكه من زنزانته الى زنزانه جاره ، وطوله نحو خمسين قدما

فهتف دانتيس ، شبه مذعور : « خمسون قدما ؟ »  
— نعم ، هي المسافة بين حجرتك وحجرتي . ولكنني لسوء الحظ أخطأت تبين اتجاه الطريق الذي حفرته ، بسبب نقص الادوات الهندسية اللازمة ٠٠ فبدلا من أن ينتهي بي الى الجدار الخارجي المطل على البحر ، قادني الى الممر الذي تنفتح عليه حجرتك . وهكذا ذهب جهدي كله هباء ، فان الممر يطل على فناء مزدحم بالجنود !  
ثقال دانتيس : « هذا صحيح ، لكن الممر الذي نتحدث عنه لا يحد غير جانب واحد من زنزانتى . وهناك ثلاثة جوانب أخرى ، فهل تعرف شيئا عن موقعها ؟ »

— هذا الجانب ينتهي الى الصخر الصلب ٠٠ وهناك جانب آخر ينتهي عند الجزء الاسفل من مسكن حاكم السجن ، ولو نقبناه لوصلنا الى زنزانات مغلقة . أما الجانب الرابع والاخير من زنزانتك فهو يطل على مكان مفتوح يمر فيه الحراس بلا انقطاع ، ويسهرون على حراسته ليل نهار ٠٠ ومن هذا تبين الاستحالة المطلقة في الفرار عن طريق زنزانتك ؟

وبعد أن قضى السجينان فترة يتشاوران في تأمل عميق ، هتف دانتيس فجأة : « لقد وجدت ما كنت تبحث عنه .. أن الممر الذي سلكته من زنزانتك يمتد هنا في اتجاه الرواق الآخر ، ولا يرتفع عنه أكثر من ١٥ قدما . واذن ينبغي أن نثقب جدار الممر لفتح ثغرة جانبية في منتصفه .. وفي هذه المرة ستضع خططك بحيث تجيء أقرب إلى الصواب ، فسوف نهبط في الرواق الذي وصفته ، فنقتل الحارس الذي يحرسه ونلوذ بالفرار ! »

— لحظة واحدة يا صديقي العزيز .. لقد جعلت دأبي حتى الآن أن أعلن الحرب ضد الظروف ، لا البشر .. لم أجد بأسا أو خطيئة ما في أن أثقب جدارا أو أحطم درجة من سلم ، ولكني لا أستطيع اقناع نفسي بسهولة بأن أثقب قلبا حيا أو أنتزع حياة .. فتعال زرني في زنزانتى يا صديقي العزيز وسوف أريك عملا أدبيا كاملا ، هو ثمرة أفكارى وتأملاتى طيلة حياتى !

— على أى شيء كتبت مؤلفك هذا ؟

— على قميص من قمصانى . لقد اخترعت تركيبا يجعل التيل مثل ورق البرشمان فى نعومته وسهولة الكتابة عليه

— ولكن ، مم صنعت الحبر الذى كتبت به ؟

— كانت فى زنزانتى يوما ما مدفأة ، تغطيها طبقة كثيفة من « الهباب » ، فأخذت قليلا منه وأذبتة فى جزء من النبيذ الذى كانوا يحضرونه الى كل يوم أحد . وأؤكد لك أن الحبر الذى نتج من هذا الخليط لا يضارح . لكنى فى المسائل والملاحظات الهامة كنت أخز اصبعى بآبرة وأكتب بدمي ذاته .. اتبعنى !

ومضى الراهب يتبعه زميله عبر الممر تحت الارض حتى وصلا دون صعوبة تذكر الى نهاية الممشى الذى يفضى الى زنزانة الراهب . وهناك فى تلك البقعة كان الممر يزداد ضيقا حتى لا يسمح بمرور أحد منه الا اذا زحف على يديه وركبتيه !

وأخيرا بلغا قبو الراهب ، فأخرج من أحد المخابىء ثلاث اسطوانات من التيل مكتوبة كلها ، وقال لدانتيس

— هاك المؤلف كاملا .. لقد كتبت كلمة « النهاية » فى آخر الصفحة الثامنة والستين منذ نحو أسبوع ، فلو خرجت يوما من هذا السجن ووجدت فى إيطاليا ناشرا له الجراءة على نشر ما كتبت ، فان سمعتى الادبية تكون قد توطدت نهائيا

ثم عرض الراهب على دانتيس « الريشسة » التى كان يستخدمها فى الكتابة ، وهى عصا صغيرة طولها ست بوصات ، ربط فى طرفها غضروف مأخوذ من رأس سمكة وقد دبب طرفه وشق مثل الريشة العادية .. فقال له دانتيس :

— الشيء الذى يحيرنى هو كيف تعمل فى ظلام الليل ؟

فأجابه فاريا : « لقد فصلت الشمع من اللحم الذى يجيئنى فى الطعام ، وصهرته فنتج عنه زيت للوقود ، ثم صنعت لى مصباحا صغيرا من قطعتين من الصوان وقطعة من الكتان المحروق . أما الثقاب فقد اضطررتى تدبير أمره الى التظاهر بأنى مصاب بمرض جلدى ، ثم طلبت قليلا من مادة الكبريت لهذا الغرض ، فجلبوها لى . . انك لم تر بعد شيئا من أفانيى ! »

ثم أزاح الفراش من مكانه فظهرت خلف أحد الاحجار ثغرة فى داخلها سلم من الحبال طوله يتراوح بين خمسة وعشرين مترا وثلاثين مترا . وقد وجده دانتييس من المتانة بحيث يتحمل أى ثقل ! . . فسأل زميله الراهب : « كيف صنعتها ؟ »

فأجاب فاريا : « صنعتها من أقمصتى التى مزقتها ! »

ثم سد الراهب الثغرة بالحجر وأعاد الفراش الى مكانه وقال :

— هل لك الآن أن تروى لى قصتك أنت ؟

وأخذ دانتييس يسرد له قصته حتى أتمها ، فأطرق الراهب برهة يفكر ثم سأل :

— من الذى يستفيد من اختفائك ؟ . ان الأمر واضح كالشمس ، لكن بساطتك وطيبة قلبك قد أخفيا الحقائق عليك . والآن قل لى ، هل كان دانجلر يعرف فرناند ؟

— لا . . بل نعم ! فالآن تذكرت أننى رأيتهما جالسين معا فى الليلة السابقة للزفاف ، وكان دانجلر يمزح فى مرح بينما بدا فرناند شاحبا قلقا . . ولست أدري كيف لم أفكر فى هذا الأمر من قبل ؟ انى لاذكر الآن جيدا أنه كان أمامهما على المنضدة جبر وريشة وورق ! . يا للانذال القساة القلوب !

— هل ثمة شىء آخر أستطيع أن أعينك على كشفه ؟

— نعم ، أريدك أن تعلق لى سبب القاتل فى السجن دون محاكمة أو تحقيق !

— هذا شىء آخر ! . الى من كان ذلك الخطاب الذى أعطى لك فى « البيا » موجها ؟

— الى مسيو نوارتييه رقم ١٣ شارع كوك ميرون بباريس

— نوارتييه ، نوارتييه ؟ كنت أعرف شخصا بهذا الاسم من الجيرونديين أثناء الثورة . . وماذا كان اسم المحقق الذى استجوبك ؟

— دى فيلفور !

وعندئذ أغرق الراهب فى الضحك وقال : « كيف هذا ؟ ألا تستطيع استنتاج شخصية نوارتييه هذا ، بعد أن حرص المحقق على اخفاء اسمه ؟ »  
انه أبوه !



ولو أن صاعقة سقطت على دانتيس ، لما كان أشد فزعا منه لدى سماع هذه العبارة ! وومض في ذهنه ضوء خاطف مباغت أضواء وأوضح كل ملابسات الموقف التي كانت غارقة في الظلام !

وجين عاد الى زنزانه ارتدى على فراشه ، حيث وجده الحارس حين دخل عليه في المساء محملا في الفضاء صامتا ، بلا حراك .. لقد انتهى من تفكيره وتأملاته الطويلة الى قرار خفيف أقسم لينفذنه ما وجد الى ذلك سبيلا !

وأخيرا أفاق دانتيس من شروده على صوت فاريا ، الذي جاء على أثر خروج سجنائه ليدعوه الى مشاركته عشاءه .. فقال له : « ينبغي أن تعلمني بعض ما تعلم .. على الأقل حتى لا تمل صحبتي ! » وأنا أعدك بألا أشير بكلمة واحدة بعد ذلك الى الفرار من السجن ! »

فأجابه الراهب العلامة متأوها : « إن المعارف البشرية يا بني محدودة داخل دائرة ضيقة ، فإذا علمت الرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ واللغات الثلاث أو الأربع التي أتقنها فسوف تضارعني في العلم .. وهذا يستغرق حوالى عامين ! »

فهتف دانتيس : « عامين فقط ؟ أعتقد أن عامين يكفيان لاستيعاب كل هذه العلوم ؟ »

وفي تلك اللمسية وضع السجنان برنامجا للدراسة ، وفي اليوم التالي بدأ تنفيذه !



## سر الكنز المفقود

فى نهاية ذلك العام كان دانتيس - بفضل ما تعلمه - قد صار وكأنه خلق من جديد ! لكنه لاحظ أن فاريا يزداد كل يوم كآبة ووجوما ، وكان فكرة ما لا تفتأ تلح عليه وتطارده . وذات يوم سمعه يقول فى شرود : « آه ، لو لم يكن هناك ذلك الحارس الديدبان ! »

فسأله متلفظا : « هل فكرت فى وسيلة لاسترداد حريتنا ؟ »

فقال : « نعم ، ولكن هل أنت قوى البنية ؟ »

فتناول الشاب ازميل الراهب وثناه بيديه حتى صار كهيئة حدوة الحصان ، ثم عاد فقوم اعوجاج الازميل حتى عاد كما كان !

وبدا الاغتباط فى وجه الراهب الحزين ، ثم قال له :

- هل تعدنى بالأا تصيب الحارس بأذى ، الا عند الضرورة القصوى ؟

- أعدك بشرفى !

- اذن نستطيع أن نشرع فى تنفيذ خطة الهرب ، وسوف تستغرق منا حوالى عام !

وأخذ الراهب يشرح لدانتيس خطته ، وهى تلخص فى حفر نفق تحت المحر الموصل بين زنزائتيهما ، بالطريقة التى تحفر بها المناجم ، ثم الخروج من نافذة قريبة الى جدار السجن الخارجى ، ثم الهبوط الى البحر بواسطة الحبل الذى قتلته الراهب وجعل منه سلما

وفى اليوم نفسه بدأ السجينان حفر النفق ، بالنشاط الذى توافر لهما بعد طول الراحة ، مدفوعين بأمالهما فى الحرية والخلص . ولم يكن يعوق عملهما غير حرص كل منهما على العودة الى زنزائته فى الموعد المناسب قبل زيارة السجن النهارية أو الليلية !

وانقضى عام . وفى نهاية الشهر الخامس عشر تم حفر النفق ، وصار السجينان يسمعان بوضوح صدى خطوات الديدبان وهو يروح ويحيى فوق رأسيهما . ولم يبق أمامهما غير انتظار حلول ليلة حالكة الظلام كى ينفذا خطة الفرار !

وفى ذات ليلة سمع دانتيس صوت الراهب يناديه فى حشجة تنم عن ألم شديد ، وكان قد تركه فى زنزائته هو- ، فخف اليه على عجل ، ليجده

واقفا في وسط المكان ، شاحبا شحوب الموتى ، وقد تصيب جبينه عرقا  
وتقلصت يده ، وما كاد يراه حتى ابتدره قائلا :

- اصغ الى ما سأقوله بعناية .. انى مصاب بنوبة من نوبات مرض  
رهيب قاتل ، وقد أصابتنى النوبة الاولى منه في العام السابق لاعتقالى ،  
وليس لها غير علاج واحد .. فأسرع بربك الى زنزانتي واخلع احدى قوائم  
السرير ، تجد في داخلها قارورة صغيرة مملوءة الى نصفها بسائل أحمر ..  
أحضرها الى بسرعة .. أو فلتأخذنى أنا الى فراشى لثلا يفاجئنى الحراس  
غائبا عن زنزانتي . خذنى قبل أن أفقد ما بقى لى من قوة على جر ساقى !  
وحين أرقد دانتيس رفيقه على فراشه قال له هذا وهو يرتجف : « شكرا  
لك ! انى أوشك أن أصاب بنوبة كالصرع ، وحين تبلغ حدتها قد ترانى  
راقدا بلا حراك كالميت ، أو قد تزداد النوبة شدة فتسبب لى تشنجات  
مخيفة ، فإذا حدث ذلك فأحرص على ألا تبلغ صرخاتى مسامع أحد ، والا  
فرقوا بيننا الى الأبد وأحبطوا كل خططنا . وحين يبرد جسدى ويسكن  
كالجثة الهامدة ، فعندئذ - وليس قبل ذلك - افتح فى عنوة بسكنى أو  
نحوها ، واسكب فى حلقي ثمانى قطرات أو عشرةا من السائل الذى فى  
القنينة ، وبذلك قد أشفى من نوبتى ! »

فتساءل دانتيس فى لهجة المفجوع : « قد تشفى ؟ »

وفجأة صاح فاريا : « النجدة .. النجدة .. انى أموت .. »

وبلغ من عنف النوبة أن المسكين عجز عن اتمام عبارته ، وراح جسده  
يهتز هزات مخيفة وتنطلق منه صرخات مروعة كتمها دانتيس بوضع الغطاء  
فوق رأسه .. واستمرت النوبة ساعتين ، استرد المريض فى نهايتها  
هدوءه وسكن جسمه كالميت .. وانتظر دانتيس حتى زالت منه كل علائم  
الحياة ثم فتح فمه عنوة وسكب قطرات السائل فى حلقه .. وانقضت ساعة  
والمريض لا يبدى بادرة من بوادر العودة الى الحياة ! .. وأخيرا صعد الى  
خديه لون باهت ، وارتد الوعي الى مقلتي العين ، وبذل الراهب محاولة  
متخاذلة للتحرك .. وحين استرد قدرته على الكلام قال :

- ان النوبة الماضية لم تدم أكثر من نصف ساعة ، وقد أفقت منها دون  
معاونة أحد .. أما الآن فانى عاجز عن تحريك ساقى اليمنى أو ذراعى ،  
ورأسى ثقيل ، مما يدل على حدوث نزيف دموى فى المخ .. وأغلب الظن أن  
النوبة الثالثة سوف تقضى على أو تخلفنى مشلولاً مدى الحياة . بل ان هذه  
النوبة التى انقضت قد حكمت على بالبقاء رهن السجن بقية عمرى ، فقد  
شلت ذراعى نهائيا .. ارفعها واحكم بنفسك اذا كنت مخطئا

ورفع الشاب ذراع الراهب فلما سقطت من تلقاء نفسها بحكم ثقلها ،  
قال له فى أسى : « اذن فسوف أبقي أنا أيضا ! » ثم مسح يده فى رفق  
رأس الراهب المريض وأضاف قائلا : « أقسم بكل ما هو مقدس أن لا  
أتركك ما دمت على قيد الحياة ! »

فنظر فاريا الى صديقه الشاب نظرة شغف وقرأ فى وجهه توكيدا  
لاخلاصه المكين ، فغمغم وهو يمد اليه يده :

– أشكرك ، وأقبل ما تعد به .. ولكن لما كنت لن أستطيع مغادرة هذا  
المكان ، فلا مناص من سد الثغرة التى فى نهاية النفق ، خشية أن تنهار  
الارض عندها بمضى المدة فيكتشف أمر ما دبرنا ويفصل بيننا مدى الحياة  
.. فامض وأتم هذه المهمة ، ولا تحضر الى غدا الا بعد أن يخرج السجان من  
عندى .. فان لدى أمرا على أعظم درجة من الاهمية أود الافضاء به اليك !

وحين عاد دانتيس فى صباح اليوم التالى وجد فاريا جالسا وقد بدت  
عليه الراحة ، وفى يده اليسرى ورقة لوح له بها قائلا :

– أنظر الى هذه الورقة يا صديقى ! ان فى وسعى أن أعترف لك الآن  
– بعد أن ثبت لى وفاؤك – بأن فيها مفتاح كنزى الذى يخصك نصفه منذ  
اليوم ! لا تحسبني مخبولا ، فهذا الكنز موجود فعلا يا دانتيس ، ولئن  
لم يتح لى أن أظفر به فسوف يتاح لك ذلك .. والآن اقرأ هذه الورقة !

وكانت الورقة تحوى هذه الكلمات

« فى هذا اليوم ، الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٤٩٨ ، دعيت الى  
لعشاء عند صاحب القداسة البابا الكسندر السادس .. وخشية أن يطعم  
قداسته فى أن يغدو وارثى ، وأن يدخر لى مصرير الكردينال كابرارا  
والكردينال بنتيفوليو اللذين قتلا بالسم ، أعلن هنا لابن أخى « جيسو  
سبادا » وريثى الوحيد أنى دفنت فى مكان يعرفه هو وقد زاره معى ، وأعنى  
به كهوف جزيرة مونت كريستو الصغيرة ، كل ما أملك من المال والذهب  
والجواهر والاحجار الكريمة ، وهى ثروة تقدر بنحو مليونين من الريالات  
الرومانية .. ويستطيع أن يجدها اذا رفع الصخرة العشرين من الانحدود  
الصغير الواقع الى الشرق على امتداد خط مستقيم .. ولهذه الكهوف فتحتان ،  
والكنز يوجد فى الزاوية البعيدة من ثانيتهما ، وهذا الكنز أتركه بأكمله له  
باعتباره وريثى الوحيد .. »

وانتظر الراهب حتى أتم دانتيس قراءة الورقة ثم قال له :

– هذه هى وصية الكردينال سبادا التى عين فيها مكان كنز الأسرة الذى  
حاول البابا الكسندر السادس اغتصابه بقتل الكردينال .. على أن هذا  
الكنز لم يعثر عليه أحد .. وقد كنت أنا سكرتير الكردينال سبادا ، وهو  
آخر من حملوا هذا الاسم ، وبعد موته اكتشفت هذه الورقة بين طيات كتاب  
صلوات خلفه لى .. وقبل أن أصل الى جزيرة مونت كريستو لأبحث عن  
الكنز ، اعتقلت ! فلو أننا هربنا يوما معا ، فسيكون لك نصف هذا  
الكنز .. أما اذا مت هنا وهربت أنت وحدك فانه يكون لك بأكمله !

وتساءل دانتيس متلعثما : « ولكن .. ألم يعد للكنز ورثة شرعيون فى  
العالم غيرنا ؟ »

فقال فاريا : « كلا ! لقد انقضت أسرة سيادا ، علاوة على أن الكردينال  
الأخير منهم جعلني وريثه الشرعي ٠٠ فلو أننا وضعنا أيدينا على الكنز ففي  
وسعنا الاستمتاع به دون أدنى وخز من ضمير ٠٠ وهو يساوى بعملتنا  
الحالية نحو ثلاثة عشر مليون ريال ! »

وخيل الى دانتيس أنه في حلم ، فتأرجح برهة بين الفرح وعدم التصديق  
٠٠ بينما استطرد فاريا : « لقد كتمت عنك قصة هذا الكنز حتى الآن كي  
أختبر خلقك ، ثم أفاجئك بها ٠٠ ولو كنا قد هربنا قبل أن تصيبنى النوبة  
لقدتك بنفسى الى جزيرة مونت كريستو ، فانا أعدك بمثابة ابن لى ، وقد  
أرسلك الله الى كى تواسينى فى الوقت الذى لم يعد فى استطاعتى أن أكون  
حرا ، ولا والدا »

ثم مد فاريا ذراعه السليمة الى دانتيس فأخذها الشاب بين يديه وانخرط  
فى البكاء !

ولم يكن الراهب يعرف جزيرة مونت كريستو ، لكن دانتيس كان  
يعرفها ، فقد طالما مر بها ٠ وهى تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا من  
« بيانوزا » ، بين جزيرة كورسيكا وجزيرة البيا ٠ وقد كانت الجزيرة -  
وما تزال - مهجورة تماما ، وهى صخرة مخروطية الشكل تبدو كأنها قد  
قذفت بها قوة بركانية من جوف المحيط ٠٠ وقد رسم دانتيس خريطة  
تقريبية للجزيرة ، وأدلى اليه فاريا ببضع نصائح تتعلق بطريقة البحث عن  
الكنز

ولكن ، كأنما شاء القدر أن يحرم المسجونين من فرصتهما الاخيرة ٠٠ فقد  
أعادت سلطات السجن بناء الجناح المطل على البحر ، لانه كان قد تهدم فى  
كثير من المواضع ، وسدت بكتل ضخمة من الاحجار تلك الثغرة التى أغلقها  
دانتيس مؤقتا بناء على نصيحة الراهب ٠٠ وهكذا قام سد جديد منيع يهدم  
كل آمال السجينين فى الفرار !



## الميت الهارب

استيقظ دانتيس من نومه فجأة على صوت نداء صادر من زنزانة فاريا زميله الراهب السجين ، فسارع اليه منزعجا ، وعلى ضوء الصباح الصغير هناك رآه شاحب الوجه غائر العينين متشبها بقوائم السرير ، وقد تقلصت قسماته بتلك الاعراض المخيفة التي ظهرت عليه فى النبوة السابقة !

وقال له فاريا بصوت خائر : « وا أسفاه يا صديقي ! ان النبوة الفظيعة تعاودنى ، ولن يمضى ربع ساعة حتى أكون ساكنا كالجثة الهامدة . فافعل ما فعلته فى المرة السابقة ، ولكن لا تطل الانتظار . فاذا رأيت بعد أن تسكب فى حلقى اثنتى عشرة قطرة ، بدلا من عشر ، أننى لا أفيق . فاسكب بقية محتويات القارورة أيضا فى فمى ! »

وأخذ دانتيس صديقه المريض بين ذراعيه وأرقده على الفراش . وانتابت الراهب على الأثر تشنجات عنيفة ، فرفع رأسه بمجهود أخير وهمس له : « مونت كريستو ، لا تنس مونت كريستو ! »

وحين قدر دانتيس أن اللحظة المناسبة لاسعاف صديقه قد حانت ، فتح فكيه وسكب بينهما اثنتى عشرة قطرة ثم انتظر . وكانت القارورة تحوى بعد ذلك ضعف هذا القدر . وانقضى نصف ساعة دون أن يحدث أى تغيير فى حالة المريض فوضع فم القنينة بين شفتى الراهب القرمزيتين وسكب ما فيها فى حلقه ! فأحدث الدواء أثرا مؤقتا هز كيان المريض هزا عنيفا ثم عاد جسده الى سكونه الاول ، وظلت عيناه مفتوحتين . وشيئا فشيئا سرث فيه برودة الموت ، وضعف نبضه تدريجا حتى وقف آخر الأمر !

وكان موعد مرور السجنان قد اقترب ، فاطفا دانتيس الصباح وأخفاه بعناية ثم خرج الى الممر السرى وأغلق الثغرة بالحجر بكل ما وسععه من اتقان . وحين وصل الى زنزانتة لم يلبث أن سمع جلبة السجنان وهو يكتشف موت السجين ، ثم أصوات الحاكم وطبيب السجن والحراس ، وكان الحاكم يقول : « انه سوف يدفن الليلة بكل تكريم فى أحدث غرارة نجدها هنا ! »

ثم سمعت خطوات أخرى ، وضجيج أعقبه تحريك سرير الميت ، وأصوات مختلفة مختلطة . وبعد حين هذا كل شيء وعاد سكون الموت يخيم على السجن . فتسلل دانتيس الى الممر ، واذا أيقن من خلو زنزانة صديقه من أى انسان رفع الحجر فى حذر ودلف اليها !

كانت الجثة قد وضعت فى كفنها داخل غرارة من الجيش ، استعدادا  
للقائها فى البحر

واذ رأى دانتيس ذلك المنظر الذى يعده للفراق الابدى عن صديقه الذى  
كان سلواه الوحيدة فى سجنه ، عاودته فكرة الانتحار التى كانت تراوده  
من قبل ، فراح يذرع المكان جيئة وذهابا ٠٠ وفجأة وقف الى جوار الفراش  
جامدا ، وغمغم :

- يا الهى ٠! ما الذى أوحى الى بهذه الفكرة ٠؟ أهى من وحيك ٠؟ لكن  
ما دام أن أحدا غير الموتى لا يخرج حرا من هذا المكان ، فلاأخذ مكان الميت !  
ولم يتمهل ليتدبر هذا القرار اليائس ، بل جذب الجثة من الغرارة وحملها  
عبر النفق الى زنزانته هو ، حيث وضعها فوق فراشه ، ولف رأسها بالغطاء  
الذى يتدئز به أثناء نومه ٠٠ ثم قبل جبين صديقه الوفى التعس وأدار  
رأسه نحو الحائط كى يحسبه السجن نائما حين يدخل فى الزيارة التالية ،  
ومرق عائدا الى المرر حاملا معه ابرة وخيطا وسكيناً !

وحين بلغ زنزانه الراهب دلف الى داخل الجوال واتخذ الوضع الذى كانت  
عليه الجثة ثم خاط الغرارة من الداخل كما كانت !

وانقضى الليل على هذه الحال ، دون أن يحضر أحد ٠ وفى الساعة السابعة  
من الصباح بدأ عذاب دانتيس الحقيقى ٠! ولم تستطع يده التى وضعها  
فوق قلبه أن تخفف من عنف ضرباته الشديدة ، بينما راح يمسح بيده  
الآخرى قطرات العرق المتصيب على وجهه ٠ ومن وقت لآخر كانت تسرى  
فى جسمه قشعريرة باردة تعصر قلبه ، حتى خيل اليه أنه سوف يموت ٠٠  
وأخيرا سمع صدى خطوات تدنو ، فتذرع بكل ما بقى له من شجاعة وحبس  
أنفاسه ٠! ثم فتح الباب ، ودخل منه رجلان ، بينما وقف ثالث عندالباب  
يحمل مصباحا بلغ ضياؤه الخافت عين الشاب عبر الغرارة السميكة ٠٠  
وحمله كلا الرجلين من طرفى الغرارة ، وسمع أحدهما يقول للآخر :

- انها ثقيلة هذه الجثة مع أن صاحبها كان عجوزا نحيل الجسم !

فأجابه زميله : « يقولون ان وزن العظام يزداد بمقدار نصف رطل كل  
عام ! »

ثم سارت القافلة يتقدمها حامل المصباح ، فصعد رجالها السلم المؤدى  
من القبو الى الطابق الاول ٠٠ وفجأة أحس دانتيس هواء البحر الرطب  
المنعش يصدم جبهته ٠٠ ثم وضعه حامله وهو فى الغرارة على حاجز ،  
وثبتا ثقلا حديديا بقدميه فى عنف كاد يرغمه على أن يصرخ من الألم ٠! ٠٠  
ثم عادا فحملاه واستأنفا السير حتى سمع اصطفاق أمواج البحر وهى  
تصدم الصخور التى يقوم عليها بناء السجن ٠٠ ثم قال أحد الحمالين :  
« يا لها من ليلة باردة ، لا تناسب الغوص فى البحر ! » ، فأجابه الثانى :  
« ان الراهب سوف يصاب بالبلل ! »

ثم انفجر كلاهما ضاحكين فى وحشية ! فوقف شعر رأس الشاب من الفزع ! « وعاد الاول يقول : « ها قد وصلنا أخيرا » . فاعترض زميله قائلا : « بل لنصعد بضع درجات أيضا ، فلعلك تذكر أن الميت الذى ألقيناه آخر مرة قد اصطدم بالصخور ، فاتهما الحاكم بالاهمال ! »

ثم صعدا خمس درجات أو ستا ، وتوقفا أخيرا . « وأحس دانتيس أيديهما تؤرجحه ذهابا وجيئة تأهبا لالقائه فى اليم ، وسمع أحدهما يقول : « واحد . . . اثنين . . . ثلاثة ! » . وفى هذه اللحظة شعر بهما يطوحان به فى الفضاء بقوة فيهوى من حالق كالطائر الذبيح ، بسرعة مروعة جعلت دمه يجمد فى عروقه !

وبدا له كأن سقوطه استمر قرنا من الزمان ! وأخيرا اصطدم فى عنف بالماء البارد ، فأطلق برغمه صيحة حادة اختنقت حين غاص فى أعماق البحر ، يجذبه الى قاعه ثقل زنته ستة وثلاثون رطلا ، وما لبث قليلا حتى شعر بأنه استقر فى قاع البحر . « فى مقبرة سجن قصر ايف !

وبرغم ما لقيه من الفزع خلال « رحلته » الرهيبة هذه ، كان من حضور الذهن بحيث لم يكد يغوص فى لجة اليم حتى مد يده اليمنى بالسكين الى الغرارة التى تحتويه فشقها وأخرج ذراعه ثم جسمه ، لكنه عجز برغم جهوده أن يخلص نفسه من الثقل الذى يجذبه نحو القاع . « وأخيرا انحنى على نفسه ، وبمحاولة أخيرة يائسة قطع الرباط الذى يثبت الثقل فى قدميه ، فى اللحظة التى كاد فيها يموت مختنقا ! « ثم رفع جسمه نحو السطح بكل ما يقى له من قوة . « وحين بلغه جذب نفسا عميقا من الهواء ثم غاص فى الماء مختارا خشية أن يلمحه أحد « زبانية » السجن !

وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان قد ابتعد عن البقعة التى ألقى فيها نحو خمسين قدما . « وكانت تنبسط فوق رأسه سماء سوداء تنذر بالعاصفة ، ويمتد البحر أمامه فسيحا كثيبا رهيبا ، « تزار أمواجه وترغى وتزبد . « وخلفه كان يقوم كالشبح ذلك البناء الصخرى الموحش الذى تمتد صخوره المدبية كالأذرع التى تتأهب للانقضاض على فريستها . « وفوق الصخرة العليا كان مصباح يضىء وجهى رجلين . « خيل اليه أنهما الحمالان اللذان قذفا به الى البحر وقد سمعا صيحته فوقفا يرقبان ظهوره فوق صفحة الماء . « وعلى هذا لم يجد بدا من أن يعود يغوص ويبقى تحت اللجة أطول فترة ممكنة ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه وهو المشهود له بأنه أبرع سباح فى مارسيليا . « وحين برز فوق الماء مرة أخرى كان المصباح قد اختفى !

واعتزم دانتيس أن يهرع نحو أقرب جزيرة ، وكانت تبعد فرسحا عن قصر ايف . وبعد انقضاء أكثر من ساعة فى السباحة المتواصلة ضد الريح ، أحس ألما حادا فى ركبته ، فمد يده . « وإذا هى تصطدم بعائق من الصخور



٠٠ وبوئبة أخرى بلغ شاطئ جزيرة «تيبولين» . فتمدد هناك فوق صخور الجرانيت وهو يرفع الى الله أحر صلوات الشكر . ٠٠ ثم ما لبث قليلا حتى راح في النعاس ، بعد أن نال منه الجهد الذى بذله فى الوصول الى هناك !



وبعد حوالى ساعة استيقظ من نعاسه على هزيم الرعد ، وحين نهض كان البرق يضئ الظلمة بومضات خاطفة رأى على هديها زورقا من زوارق الصيد تتقاذفه الامواج وقد تعلق أربعة من ركابه بشراعه المعزق بينما تعلق الخامس بالدفة المكسورة . ٠٠ فاندفع دانتيس يعدو هابطا الصخور ، فلما بلغ الشاطئ لم ير للزورق أثرا !

وهدأت العواصف بالتدريج . ٠٠ ثم أشرق النهار ، فقال الشاب محدثا نفسه : « بعد ساعتين أو ثلاث سوف يدخل السجن زنزانتي فيكتشف الحادث وتطلق سلطات السجن صفارة الانذار ! ٠٠ »

واستدارت عيناه فى اتجاه قصر ايف ، فلمح عن بعد سفينة شراعية صغيرة من طراز سفن « جنوة » قادمة من ميناء مارسيليا . ٠٠ فهتف جذلا : « هل يعقل أن أكون بعد نصف ساعة على ظهرها ؟ ٠٠ ان هؤلاء المهربين الذين يرتدون مسوح التجار سوف يفضلون أن يبيعوني على أن يقوموا بعمل انساني ، لكنى سأزعم أنى بحار غرفت فى عواصف الليلة السابقة ، وسوف يصدقون قصتى ما دام أن أحدا لن يفندها أو ينقضها ! »

وحانت منه نظرة الى حيث غرق زورق الصيد ، فلمح غطاء رأس أحمر من أغطية البهارة متعلقا بطرف صخرة ، وبضع قطع من أخشاب عائمة فوق الماء . ٠٠ وفى لحظة رسم خطته : سبح الى مكان غطاء الرأس حتى بلغه ثم وضعه على رأسه ، وتعلق باحدى قطع الاخشاب الطافية واتجه الى حيث وقف فى طريق السفينة المقتربة ! ٠٠



## في جزيرة مونت كريستو

قضى دانتيس شهرين ونصف شهر يعمل بحارا في سفينة المهربين ، ويمر بجزيرة مونت كريستو ذهابا وايابا بدون ان يجد الفرصة الملائمة للهبوط فيها .. وأخيرا اقترح الربان الوقوف عندها للراحة . وكانت مهجورة تماما بحيث بدت مكانا نموذجيا لتجارة التهريب !

وفي اليوم التالي لم يرتب أحد في نوايا دانتيس حين أعلن عزمه على اصطيد بعض الومول البرية التي تقفز بين الصخور .. ثم تظاهر بأنه سقط من صخرة وأصيب في ركبته أصابة تعجزه عن الحركة .. وحين اقترح عليه زملاؤه أن يحملوه الى السفينة أبى قائلا : « انه يفضل الموت على آلام التحرك ! » .. ثم طلب الى اخوانه أن يتركوا له بعض المؤن ويعودوا اليه بعد يومين أو ثلاثة ، أو يرسلوا اليه أى زورق صيد يصادفونه في البحر ، فلم يسمعهم الا اجابته الى طلبه !

ولم تكد سفينتهم تبحر حتى هب من مرقده في خفة الغزال حاملا معه بندقيته وفأسه ، وهرع نحو المكان الذي حددته خريطة الراهب مكانا للكنز .. وهناك لمح آثارا على الصخور تؤدي الى اخدود صغير يكفى اتساعه وعمقه لمرور زورق صغير واخفائه عن العيون ، فرجح ان يكون الكردينال سبادا قد أحضر كنزه الى هذا المكان في زورق اخفاه في الأخدود ثم دفن كنزه في نهايته ، عند صخرة ضخمة تغطي تلك النهاية !

وتمشيا مع هذه النظرية راح يحفر بفأسه مجرى صغيرا بين الصخرة العليا والتي تحتها ، ثم ملأه بالبارود وأشعل طرف الفتيل وانسحب .. فلما حدث الانفجار رفع الصخرة العليا عن قاعدتها وحطم السفلي تحطيمًا ، وفر من شقوقها آلاف الحشرات ، يتبعها ثعبان ضخيم كان كأنه شيطان الكنز الحارس ، لكنه لم يلبث أن تسلل الى الظلمات واختفى !

واقترب دانتيس من الصخرة العليا ، التي مالت نحو البحر .. ثم وضع جذر شجرة زيتون في أحد الشقوق وبدل كل قواه وأجهد كل أعصاب جسمه كي يزحزح الحجر .. وأخيرا تداعت الصخرة ، وانزلت تتدحرج من قمة الى قمة حتى اختفت آخر الأمر في جوف البحر .. !

وكانت البقعة التي تغطيها الصخرة مستديرة الشكل ، تكشف عن حلقة حديدية مثبتة في بلاطة مربعة ، فوضع « عتلة » شجرة الزيتون في الحلقة وجذبها بكل قوته ، فانكشفت البلاطة عن سلم يؤدي الى كهف عميق تحت الارض !



« وحين استرد دانتيس هدوءه ، عكف على احصاء محتويات كنزهِ »

وهبط دانتيس السلم ، لكنه بدلا من أن يجد ظلمة في قاع الكهف وجد ضوءا خافتا يتسرب من شقوق الصخور .. وتذكر أن وصية الكردبال حددت مكان الكنز بأنه في « أبعد زاوية من الفتحة الثانية » .. واذن فعليه أن يبحث الآن عن الكهف الثاني . وخطر له أن هذا الكهف المنشود لا يد أن يوجد في مكان أبعد من شاطئ الجزيرة ، فراح يدق الصخور وينصت الى رنينها عله يسمع رنيناً أجوف ينم عن وجود الكهف . : وأخيراً خيل اليه أنه يسمع الرنين المطلوب ، فعاد يدق الصخور ليتأكد من الأمر ، فتهشمتم طبقة خارجية تكسو الصخرة ، وكشفت بذلك عن حجر أبيض كبير !  
لقد غطيت فتحة الكهف بالأحجار ثم كسيت بتلك الطبقة وطلبت بحيث تشبه ما حولها من الجرانيت !

والفأس التي كانت ثقيلة في البداية صارت الآن في خفة الريشة ..  
وحين تم لدانتيس الكشف عن الفتحة هبط الى الكهف الثاني ، فإذا هو أعماق وأحلك ظلمة من الأول ! .. وإلى يسار الفتحة كانت توجد زاوية عميقة مظلمة ، قدر الشاب من منظرها أن الكهف لو وجد فلن يوجد إلا فيها .. ومن ثم تقدم نحوها وأهوى بفأسه على أرضها ! ..  
وعند الضربة الخامسة أو السادسة اصطدمت الفأس بسطح ذي رنين يشبه الحديد ، وسرعان ما رأى الشاب خزانة من خشب البلوط مثبتة بأحزمة من الفولاذ .. وفي وسط غطائها لوحة فضية حفر عليها شعار أسرة سيادا !

وأمسك الصندوق من مقبضه وحاول أن يرفعه ، فلم يفلح .. فحول همه الى محاولة فتحه .. وبعد جهود جبارة بمختلف الوسائل لانت الاقفال وانكسرت . ولكنه أصيب بدوار ، فأغمض عينيه وفتحهما ، ليستوثق من أنه لا يحلم !

كان الصندوق مقسما الى ثلاثة أقسام : لمعت في الاول منها اكوام من العملة الذهبية البراقة .. وكان القسم الثاني يحوى كتلا من الذهب غير المصقول .. أما الثالث فقد اغترف الشاب منه بيديه حفنات من الجواهر الخلابه ، من ماس ولؤلؤ وياقوت ! ..

وحين استرد هدوءه وأطربته فرحته عكف على احصاء محتويات كنزه : كانت هناك ألف سبيكة من الذهب الخالص ، زنة كل منها من رطلين الى ثلاثة .. ثم خمسة وعشرون ألف ريال ، يساوى كل منها نحو ثمانين فرنكا من العملة المتداولة ، ويحمل رسم البابا الكسندر السادس واسلافه .. ثم احدى عشرين حفنة من الماس والآلء النادرة

وكان النهار قد أوشك أن ينقضى ، فخشى دانتيس أن يفاجئه أحد في الكهف فغادره وبندقيته في يده . وفي تلك الليلة تناول عشاءه بضع قطع

من البسكويت وكأسا من الروم ، ثم اختلس من الليل بضع ساعات نامها فوق فوهة الكهف ، نوما متقطعا تتخلله مشاعر مختلطة من الفرح والفرح !



ولما اشرق النهار التالى بعد ان انتظره دانتيس بفارغ الصبر ، هبط الى مكان الكنز حيث ملأ جيوبه بالجواهر ثم اغلق الصندوق باحكام واعاد كل شئ الى مظهره الاول سواء فى داخل الكهف او خارجه ، بحيث لم يترك وراءه اثرا ينم عن اقتراب انسان من المكان !.. ثم ربض على الشاطئ فى انتظار وصول قافلة من البحارة !

وفى اليوم السادس عاد المهريون الى الجزيرة ، فلم يكذ دانتيس يلمح شراع السفينة «اميليا الشابة» حتى خف الى الشاطئ ليستقبل اخوانه .. وحرص على ان يقول لهم ان اصابته لم تشف تماما ، وان خفت حدة آلامه !.. وفيما هو يثرثر معهم فهم من حديثهم انهم يخشون ان تلتقى بهم سفينة من سفن حراس السواحل علموا انها غادرت ميناء طولون لمطاردتهم !.. ولم تضيع الجماعة وقتا فى الانتظار فاقلع الجميع بسفينتهم الى ميناء «ليجهور» .. وهناك عرج دانتيس على جوهرى يهودى باع له اربعة من الاحجار الصغيرة التى يحملها فى جيوبه بعشرين ألف فرنك .. ثم عاد يقول لزملائه البحارة المهريين ان ميراثا قد آل اليه من عم له ، وانه سوف يتركهم نهائيا.. ثم قدم لصديق له منهم كان قد احبه - ويدعى «جاكوبو» - سفينة شراعية جديدة على سبيل الهدية ، علاوة على مبلغ من المال يعينه على استئجار بحارة لحسابه والاستقلال بالعمل ، مقابل شرط واحد اشترطه دانتيس عليه ، هو ان يذهب من فوره الى مارسيليا ويستقضى ابناء شيخ مسن يدعى «لويس دانتيس» يقطن حارة «دى ميان» ، وفئة شابة تدعى «مرسيديس» من قاطنات قرية «كاتالان»

وفى صباح اليوم التالى ابخر جاكوبو بسفينته الى مارسيليا ، على ان يعود فيلتقى بولى نعمته فى جزيرة مونت كريستو ، حيث يقدم له تقريرا عن المهمة التى اداها فى مارسيليا !

وبعد ان ودع دانتيس زملاءه «المهريين» ووزع عليهم الهبات والهدايا لمناسبة الارث الذى آل اليه ، رحل وحده الى جنوة .. وعند وصوله كان أحد اساطين بناء السفن يجرى تجربة «يخت» جديد صنعه ثرى انجليزى ، مقابل مبلغ اربعين ألف جنيه . فعرض عليه دانتيس ان يبيعه اياه بشمن يزيد عشرين ألفا أخرى !.. ووجد الصانع ان فى وسعه بناء يخت آخر مماثل قبل موعد وصول الثرى الانجليزى لتسلمه ، فقبل ما عرضه عليه الشاب .. وعندئذ قاده دانتيس الى منزل تاجر يهودى ، حيث خلا هو الى التاجر فترة باعه خلالها عددا من الجواهر التى يحملها فى جيوبه ،

ثم خرج فدفن الى صاحب اليخت الثمن المتفق عليه .. وطلب اليه ان يصنع خزانة سرية توضع في مخبأ غير منظور في كابينة الخاصة باليخت .. فاتم الصانع المهمة المطلوبة منه في اليوم التالى ..

وبعد ساعتين ابهر دانتييس باليخت من ميناء جنوة ، بين حشد من المتفرجين الذين تجمهروا ليروا النبيل « الاسباني » الذى يقود بيخته بنفسه ! .. وعند غروب شمس اليوم التالى رسا دانتييس بيخته في احد خلجان الجزيرة ، ولم يكد بشرق النهار حتى عكف على نقل كنزه الضخم الى المخبأ السرى الذى في كابينة ، ففرغ من مهمته قبيل الغروب !

ثم قضى دانتييس اسبوعا آخر يتجول بيخته حول الجزيرة - في انتظار عودة جاكوبو - ويدرس معالمها بعناية الفارس البارع الذى يدرس مؤهلات جواده الجديد الذى يعده للاشتراك في سباق حاسم !

وفي اليوم الثامن لمح سفينة جاكوبو الصغيرة تدنو من الجزيرة ، وحين رسا بها صاحبها الى جوار يخته مولاه حمل اليه نتيجة أبحاثه بصدد المهمتين اللتين عهد بهما اليه .. وكانت نتيجة غير سارة : فان « لويس دانتييس » قد مات .. اما مرسيديس فاخفت ولا يعلم احد عنها شيئا !

اصفى الشاب الى هذه الأنباء بهدوء متكلف ، ثم قفز نحو الشاطئ في خفة معربا عن رغبته في ان يترك وحده بعض الوقت .. وحين عاد بعد بضع ساعات امر اثنين من بحارة جاكوبو باعداد اليخت للمسير ، في اتجاه مرسيليا ! .. لقد كان دانتييس متأهبا لموت أبيه ، اما اختفاء خطيبته الغامض فلم يدر كيف يعلله !

ولم يكن في وسعه ان يزود احدا من رجاله بتعليمات واضحة بصدد المستقبل ، بغير ان يفشى سره .. الى ان بعض المعلومات التى كان يريد الوصول اليها لم تكن تصلح بطبيعتها لان يستقصيها سواه . وكانت المرأة قد دلته عند وصوله الى ليجهورن على ان هيئته قد تغيرت بحيث لم يعد في امكان احد ان يعرف حقيقة شخصيته ! .. هذا الى كونه يملك الآن من وسائل التنكر ما يكفل اتخاذه اى اسم واية شخصية يقع اختياره عليها !

وهكذا رسا بيخته ذات صباح جميل في ميناء مرسيليا ، تتبعه سفينة جاكوبو الصغيرة .. واختار لرسوه الرصيف المواجه لذلك الذى حمل منه الى القارب الذى أقله الى سجن « قصر آيف » الرهيب ، في تلك الليلة اللبلاء التى لا تنسى !

وبرغم انه كان يرتجف رجفة غير ارادية كلما وقع بصره على احد رجال الشرطة ، فانه تدرع بقدرته على تمالك نفسه ، وكان قد تعود ذلك اثناء معاشرته للراهب العلامة فاريا في السجن ، فلم يبد عليه ادنى انفعال وهو يقدم الى شرطة الميناء جواز سفره الانجليزى الذى حصل عليه من ليجهورن .. وبفضل ذلك الجواز الاجنبى الذى يحترم في فرنسا أكثر من

جوازات البلاد نفسها ، استطاع ان ينزل الى البر بلا صعوبة تذكر !  
وكان أول من لفت نظره على أرصفة الميناء بحار من مرؤوسيه القدامى  
في السفينة « فرعون » ، فخطر له أن يمتحن تنكره بالتحدث الى الرجل ..  
فانجه اليه وراح يلقي عليه بعض الأسئلة المختلفة وهو يرقب تعبير وجهه  
بعناية .. لكن البحار لم تصدر عنه كلمة أو نظرة تلقى في الروع أنه قد رأى  
محدثه يوما من الأيام من قبل ! .. وفي النهاية منحه دانتيس قطعة من النقود  
جزاء له على شهامته وانصرف !

وكانت كل خطوة بخطوها تقبض قلبه وتشير في نفسه عواطف وذكريات  
شتى .. فلما بلغ نهاية شارع « دى نواى » ولح حارة « دى ميان »  
اهتزت ركبتاه لفرط تأثره حتى كاد يسقط تحت عجلات عربة عابرة ! ..  
وأخيرا بلغ المنزل المتواضع الذى كان يقطنه أبوه !

كان المسكن الصغير الذى عاش فيه الأب يقع في الطابق الخامس ، حيث  
يسكن الآن شاب وعروس لم يمض على زواجهما أسبوع .. ولم يكن قد  
بقي من مظهر المسكن القديم غير جدرانه .. فالتمس الزائر رؤية المسكن ،  
وحين لحظ الزوجان عليه علائم التأثير العميق آثرا أن يحترما قداسة حزنه  
فلم يسألاه عن سببه وملابساته وتركاه يتأمل المسكن كما يشاء .. فلما  
انسحب آخر الأمر من موطن ذكرياته رافقاه حتى الباب ووجها اليه الدعوة  
كى يعود لزيارة المكان في الوقت الذى يروقه !

وثناء نزول دانتيس السلم توقف في الطابق الرابع ليستفسر عما اذا كان  
« الترزى » المدعو « كادروس » ما يزال يقطن مسكنه القديم ؟ .. فقبل له  
ان الرجل قد اصيب بضائقة جعلته يهجر مهنته ، وانه الآن يدير حانة  
صغيرة على الطريق بين « بيلجارد » و « بوكير »

ثم استفسر عن مالك المنزل ، فلما عرفه وكل مسجلا للعقود فابتاعه  
له من مالكة باسم « اللورد ويلمور » - وهو الاسم المثبت في جواز سفره  
الانجليزى - مقابل مبلغ خمسة وعشرين ألف فرنك ، وهو مبلغ يساوى  
عشرة أضعاف قيمته الحقيقية .. ولو طلب المالك نصف مليون من الفرتكات  
ثمنا له لحصل عليها ! .. وفي اليوم نفسه أخطر مسجل العقود فاطنى الطابق  
الخامس أن المالك الجديد يعرض عليهما أن يختارا أى مسكن آخر في المنزل  
بالإيجار الزهيد نفسه ويخليا مسكنهما الصغير !

وقد أثارت هذه القصة الغريبة اهتمام أهل الحى وفضولهم ، فراحوا  
يعللونها بشتى التعليلات ، لكن تعليلا واحدا منها لم يقترب من الحقيقة  
الخفية أو يحوم حولها !

## جزاء الوفاء

لعل الذى طافوا بجنوب فرنسا ، مروا خلال الطريق بين مدينة « بوكير » وقرية « بيلجارد » بحانة صغيرة يورجج الهواء على واجهتها لافتتها المصنوعة من الصفيح ٠٠ وقد اشرف على ادارتها خلال السنوات السبع الاخيرة رجل وزوجته ، يعاونهما اثنان من الخدم ٠ أما الرجل فكان صاحبنا « الترزى » القديم « جاسبار كادروس » ٠٠ وأما زوجته فكانت امرأة شاحبة يبدو عليها المرض ، لا تكاد تبرج مخدعها فى الطابق الثانى ، بينما يشرف زوجها على استقبال الرواد واجابة طلباتهم !

وفى ذات يوم رأى كادروس رجلا يرتدى مسوح رجال الدين السوداء ويمتطي جوادا ، مقبلا من جهة بيلجارد ، وعلى رأسه قبعة مثلثة الاركان ٠٠ فلما ترجل أمام باب الحانة استقبله صاحبها مرحبا ، فالتقى عليه القس نظرة طويلة فاحصة ، ثم قال يسأله فى لهجة ايطالية قوية : « أنت مسيو كادروس على ما أعتقد ؟ » أما أنا فأدعى القس « بوزونى » ٠٠ هل عرفت فى سنة ١٨١٤ ، أو ١٨١٥ ، بحارا شابا يدعى دانتيس ؟

فأجابه كادروس وقد احمر وجهه تحت نظرة القس الصافية الهادئة : « دانتيس ؟ نعم ٠٠ لقد كان ادمون دانتيس من أعز أصدقائى ! »

ثم استطرد بعد حين قائلا : « أخبرنى اذا سمحت أيها الأوب : ماذا جرى لادمون التنعس ؟ هل تعرفه ؟ هل هو حى مطلق السراح ؟ هل هو موسر وسعيد ؟ »

— بل انه مات سجيننا تعسا محطم القلب فريسة لليأس المرير ١٠٠

عندئذ غامت على وجه كادروس سحابة من الشحوب الشبيه بشحوب الموتى ، ثم أدار وجهه بعيدا ، ورآه القس يمسح الدموع عن عينيه بطرف المنديل الاحمر مربوط حول رأسه ٠٠ ثم أردف : « هل كنت تعرف الفتى المسكين اذن ؟ »

— لقد استدعيت لأراه على فراش الموت ، كى أدخل على نفسه عزاء الدين ٠ ولقد أقسم دانتيس فى حضرة الموت انه يجهل كل شئ عن سبب سجنه ! فغمغم كادروس : « هذا صحيح ٠٠ آه يا سيدى ، ان الفتى المسكين قد ذكر لك الحقيقة ! »

فقال القس : « ولهذا السبب ناشدنى أن أكشف الستار عن لغز لم



يستطع يوما أن يحله ، وأن أنقى ذكراه من أية وصمة أو شائبة تكون قد علقّت بها ! »

وهنا استراحت نظرات القس على وجه كادروس الذى تمشت فيه كاتبة وانقباض شديدان . ثم استطرد قائلا : « لقد عرف دانتيس فى سجنه ثريا انجليزيا أطلق سراحه فى عهد الامبراطورية الثانية ، كان يملك ماسة كبيرة القيمة أهداها يوم خروجه من السجن الى دانتيس ، اعرابا عن امتنانه وشكره له على العناية والعطف اللذين أظهرهما الشاب نحوه وهو يمرضه أثناء إصابته بمرض خطير فى سجنه . وتقدر الماسة بنحو خمسين ألف فرنك ! »

وأخرج القس من جيبه علبة صغيرة فتحتها فبهرت الماسة التى فى داخلها عيني كادروس ، الذى سأله ملهوفا : « ولكن كيف وصلت الماسة الى حيازتك يا سيدى ؟ هل أوصى لك ادمون بها ؟ »

فقال القس : « كلا ! بل جعلنى منفذا لوصيته ، وقد ذكر لى أنه كان يوما له أربعة أصدقاء أوفياء ، الى جانب العذراء التى كان خطيبها . وقد شعر بأنهم جميعا تألموا لغيابه أشد الألم . أحدهم يدعى كادروس . »

وهنا ارتجف صاحب الحانة لذكر اسمه . بينما استطرد محدثه يروى على لسان دانتيس، متظاهرا بأنه لا يلحظ ارتباك كادروس : « . . والصدىق الثانى يدعى داجلر . . . والثالث كان برغم أنه غريمه يحبه أخلص الحب ، وكان اسمه فرناند . . . أما خطيبته فاسمها مرسيديس . . . وقد كلفنى أن أذهب الى مرسيليا لأبيع الماسة وأقسم ثمنها الى خمسة أنصبة متساوية ، ثم أعطى كلا من هؤلاء الاصدقاء الأوفياء نصيبا منها . فهم وحدهم الذين أحبوه على الارض »

— ولكنك لم تذكر غير أربعة أسماء . . فمن الخامس ؟

— الخامس هو والد دانتيس ، وقد علمت أنه توفى !

— هذا صحيح يا سيدى ! . . ان الشيخ المسكين قد مات !

وكادت تخنقه غصته وانفعاله . . بينما استطرد الأب بورونى قائلا وهو يبذل جهدا كبيرا كى يخفى تأثيره : « لقد وقفت من إبحائى فى مارسيليا على معلومات كثيرة ، لكنى عجزت عن الاهتداء الى من يصف لى كيف كانت نهاية والد دانتيس ، فهل تعرف شيئا فى هذا الصدد ؟ »

— ومن يعرف اذا لم أعرف أنا ؟ . . لقد كنت أعيش فى المسكن الذى يقع أسفل مسكن الأب مباشرة . . لقد مات لويس دانتيس بعهد نحو عام من اختفاء ولده ، والناس يقولون انه مات من الحزن ، أما أنا الذى رأيته فى ساعات احتضاره فأقول لك انه مات من الجوع !

فهتف القس وهو يهب من مقعده : « مات من الجوع ؟ . . ان شر الحيوانات لا تموت هذه الميتة البشعة ! . هذا مستحيل ، مستحيل ! . »

فاستطرد كادروس مستدركا : « لست أعني أن الجميع قد هجروه أو نبذوه تماما ، فان مرسيديس ومسيو موريل كانا يعطفان عليه ٠٠ ولكن لسبب ما ظل الشيخ التعس يكن كراهية شديدة للمدعو « فرناند » ٠٠ الذي ذكرت اسمه منذ حين بين أصدقاء دانتييس الأوفياء »

— أولم يكن كذلك في الواقع ؟

— وهل يمكن أن يكون الرجل وفيما لغريمه الذي ينافسه على الخطوة بالمرأة التي يحبها ويريدها لنفسه ٠٠٩ مسكين ادمون ، لقد خدعوه بقسوة ، لكنه لحسن الحظ لم يعرف ، والا لتعذر عليه وهو على فراش الموت أن يصفح عن أعدائه ٠٠ والواقع أن هبة ادمون المسكين لا يستحقها الخونة أمثال فرناند ودانجلر ، اللذين وشيا به باعتباره من عملاء نابليون ٠٠ لقد كنت حاضرا ذلك الحادث

— وهل لم تحتاج أو تعترض على هذا الاثم ٠٠٩ انك اذا كنت لم تفعل فقد كنت شريكا فيه !

— سيدي ، انهما قد سقياني من الخمر ما أفقدني كل وعي تقريبا ، بحيث لم أعد أشعر بما يجري حولى الا شعورا مبهما غير واضح . وقد قلت كل ما كان في استطاعة من في مثل حالتى تلك أن يقول ، لكن اللعينين أكدا لى أنهما يمزحان ولا ضرر من مزاحهما البتة ٠٠ ومع ذلك فان وخز الضمير يطاردنى ليل نهار !

— لقد أشرت الى شخص يدعى مسيو موريل ، فمن يكون ؟

— انه صاحب السفينة فرعون ورئيس دانتييس ، وقد توسط من أجله عشرين مرة . وحين عاد الامبراطور الى عرشه طالب بالافراج عن السجين بحماسة جعلت القوم يضطهدونه فيما بعد باعتباره من أنصار بوناپرت ٠٠٠ وقد ذهب لزيارة والد دانتييس عشر مرات ، ودعاه كي يزوره فى بيته . وقبل وفاة الرجل بيوم أو اثنين ترك مسيو موريل كيس نقوده فوق رف المدفأة ، فدفعت منه ديون الميت وأنفق على دفنه بالمظهر اللائق . وهكذا مات والد ادمون ، كما عاش ، دون أن يؤذى أحدا . وما زلت أحتفظ بكيس النقود المذكور . انه كبير ، ومصنوع من الحرير الاحمر !

— وهل ما يزال مسيو موريل على قيد الحياة ؟ لا ريب انه الآن ثرى سعيد ؟

فابتسم كادروس فى مرارة وأجاب : « انه فى أسوأ حال ، يكاد يشرف على الافلاس والدمار ، بعد خمس وعشرين سنة من العمل المتواصل الذى أكسبه أحسن سمعة فى دوائر مارسيليا التجارية . لقد فقد الرجل خمس سفن فى مدى عامين ، وخسر أموالا طائلة بسبب افلاس ثلاثة من البيوت المالية الكبرى . والآن بات أمله الوحيد معلقا على وصول السفينة «فرعون» سالمة ، وهى السفينة التى كان دانتييس المسكين ربانها ، وينتظر وصولها

من جزر الهند حاملة شحنة من النيلة ودود القرمز .. فاذا غرقت هذه السفينة مثل سابقتها فعلى الرجل السلام ! .. ان له زوجة كانت تصرفاتها برغم كل الظروف اشبه بتصرفات الملائكة .. كما ان له ابنة كانت على وشك الزواج من الشاب الذى تحبه لكن أسرته سوف تحول الآن دون زواجه من ابنة تاجر مفلس .. وله أيضا ابن يدعى مكسمليان يعمل غلاما فى الجيش .. وهكذا ترى أن كل ذلك يزيد فى أحزانه وأشجانه ، فلو كان وحيدا فى الدنيا لأفرغ رصاصة فى رأسه واستراح ! .. »

— هذا فظيع !

— وهكذا تكافى السماء الفضيلة يا سيدى ! فانا الذى لم أفعل يوما شرا — عدا الذى ذكرت لك قصته — أعانى ضائقة شديدة، وزوجتى تموت من الحمى أمام عيني ، وأنا عاجز عن أن أصنع شيئا من أجلها . انى سوف أموت جسوعا ، كما مات والد دانتيس ، بينما يتمرغ دانجلر وفرناند فى الثراء الفاحش .. لقد جلبت عليهما أفعالهما الحظ الحسن ، بينما أصاب الشقاء والبؤس الرجال الشرفاء ! .. »

— وماذا صار من أمر دانجلر ، المتآمر الأول كما تقول ؟

— لقد غادر مارسيليا على أثر اعتقال دانتيس الى حيث عين — بوساطة موريل الذى جهل كل شئ عن جريمته — صرافا فى بنك اسباني . وخلال الحرب مع اسبانيا استخدم فى قوميسيرية الجيش الفرنسى حيث جمع ثروة، ثم ضارب بها فى البورصة فضاعفها ثلاث مرات أو أربع مرات . وقد تزوج أولا ابنة صاحب البنك الذى كان يعمل فيه ، لكنها ماتت ، فتزوج للمرة الثانية من أرملة تدعى مدام دى نارجون ، هى ابنة مسيو دى سرفيو كبير أمناء الملك . انه الآن مليونير وقد أنعموا عليه بلقب بارون ، فصار يدعى « البارون دانجلر » .. وهو يقطن قصرا فاخرا فى شارع « مون بلون » ، به حظيرة تضم عشرة جياد ، وستة من الخدم ، أما ملايينه التى فى البنك فلست أعرف عددها ! .. »

— وفرناند ؟

— ان له قصة مشابهة .. فعلى أثر عودة الامبراطور جندل للجيش ، كما جندت أنا أيضا ، لكنى كنت أكبر منه سنا ، ومتزوجا حديثا من زوجتى المسكينه ، فأرسلت الى الساحل .. أما هو فقد انضم الى الجيش العامل ومضى مع فرقته الى الجبهة حيث اشترك فى معركة « لينى » . وفى الليلة التالية للمعركة عهد اليه فى الوقوف ( ديديانا ) أمام باب الجنرال كان على اتصال سرى بالاعداء .. وفى تلك الليلة كان على الجنرال أن يذهب الى خطوط الانجليز ، فعرض على فرناند أن يرافقه .. فوافق هذا ، وهجر مركز حراسته وتبع الجنرال ! .. ولو بقى نابليون على عرشه لحوكم فرناند أمام مجلس عسكري ، لكن بلاط الملك كافاه على فعلته ! .. وهكذا عاد الى فرنسا برتبة صف ضابط ، وبفضل عطف الجنرال ووساطته رقى الى

يوزباشي في سنة ١٨٢٣ ، خلال الحرب الاسبانية ٠٠ أى فى الوقت الذى قامر فيه دانجلر بمضارباته الاولى . ولما كان فرناند من أصل اسباني فقد أرسل الى اسبانيا ليعمل على تهدئة شعور مواطنيه ، وهناك التقى بدانجلر وتوطدت بينهما الصلات ٠٠ وما لبث أن ظفر بمعاونة الملكيين فى العاصمة وأدى من الخدمات خلال تلك الحملة القصيرة ما نتجت عنه ترقيته عقب معركة (تروكاديرو) الى رتبة اميرالاي ومنحه لقب (كونت) ووسام الضابط فى فرقة الشرف (اللجيون دونور) !

فغمغم القس : « يا لها من أقدار ٠٠ ! »

واستطرد كادروس : « هذا صحيح ، ولكن اسمع البقية : فعند انتهاء الحرب الاسبانية تأثر مستقبل فرناند ومصالحه بالسلام الطويل الذى بدا أنه يسود أوروبا ، ولم يعكره غير اقدم اليونان على شن الحرب ضد تركيا ، من أجل استقلالها ٠٠ وعندئذ استدارت العيون جميعا نحو أثينا ، حتى صار شعار العصر كله الاشفاق على اليونان وتعزيدهم ٠٠ ومن هنا سمحت حكومة فرنسا بتأليف جيش من المتطوعين لنصرة جارتها ، دون أن تتولى ذلك التعضيد رسميا ٠٠ فسعى فرناند حتى حصل على إذن بالسفر للخدمة فى اليونان ، وكان اسمه ما يزال مدرجا فى سجلات الجيش . وبعد فترة من الزمن أعلن أن الكونت دى مورسرف - وكان هذا هو الاسم الذى صار يعرف به - قد التحق بخدمة الوالي الالباني « على باشا » فى درجة « مشير عام » ٠٠ وقد قتل على باشا ، لكنه قبل أن يموت رأى أن يكافئ فرناند على خدماته بأن يترك له مبلغا من المال عاد به هذا الى فرنسا ، حيث رقى الى رتبة لواء ٠٠ وهو الآن يملك قصرا فاخرا - رقم ٢٧ شارع « دى هيلدر » بباريس !

فتح القس فمه دهشة ، وتردد لحظة ، ثم بذل جهدا كبيرا كى يتمالك نفسه ، وأخيرا قال : « ومرسيديس ؟ ماذا كان مصيرها ؟ يقولون انها اختفت ! »

فأجاب كادروس : « مرسيديس اليوم من أعظم نساء باريس ٠٠ لقد أصيبت عقب اعتقال دانتيس بنوبة من اليأس البالغ كادت تقضى عليها ٠٠ وكم استعطف المحقق ميسو دى فيلفور ، ولكن بلا جدوى ٠٠ وأخيرا جعلت همها أن تعنى بالشيخ المهتم والد ادمون . وفى غمرة يأسها أصابها مكروه جديد ، هو رحيل فرناند الى الحرب . ولم تكن قد عرفت بدور فرناند فى اعتقال حبيبها ادمون ، والجريمة التى اقترفها نحوه ، فلما ذهب بدوره أحسست أنها فقدت أخاها بعد خطيبها ، وبقيت وحيدة ٠٠ وانقضت ثلاثة أشهر بدون أن تتلقى أى نيا من ادمون ، أو من فرناند ، فصار البكاء ملاذها الوحيد ٠٠ لم تبق لها غير رفقة شيخ مهتم يقتله اليأس قتلا بطيئا ٠٠ وذات مساء سمعت خطوات أدركت أنها خطوات فرناند ، وظهر هذا أمامها بستررة صف الضابط . لم يكن هو حبيبها المنشود ، لكنها أحسست كأن جانبها من

حياتها الماضية قد رد اليها . لقد ملك آخر قلبها ، لكن هذا الآخر غائب ،  
مختفٍ ، ولعله قد مات ! . . . ولدى هذه الفكرة الاخيرة كانت مرسيديس  
تنخرط في البكاء ، وتضم يديها في لوعة وضراعة . . . لكن الحاطر الذي طالما  
استبشعته من قبل ، حين كان يقترحه عليها أحد ، فرض نفسه الآن من  
تلقاء ذاته على ذهنها . . . وفي الوقت عينه كان دانتيس الشيخ لا يفتأ يقول  
لها : « مات حبيبنا ادمون . . . والا لعاد الينا ! » . . . ولكن لو عاش الشيخ  
لما صارت مرسيديس زوجة لآخر ، غير ابنه . . . فانه لم يكن ليكف عن  
تأنيبها وتحذيرها من الحيانة . . . وقد أدرك فرناند ذلك ، فلما سمع بوفاة  
الرجل عاد . . . وكان قد صار ملازماً . وفي الزيارة الاولى لم يتفوه بحرف  
لمرسيديس عن حبه اياها . . . وفي الثانية ذكرها بأنه يعجبها . . . فطلبت اليه  
أن ينتظر ستة أشهر أخرى تحزن خلالها على ادمون وترتدى السواد ! . . .  
فقال الأب بوزوني وهو يبتسم ابتسامة مريرة :

- اذن فقد أخلصت لحبيبها ثمانية عشر شهرا في الحملة . فقيم يطمع  
أكثر من ذلك أعظم العشاق ولها وهياما ؟ » ثم ردد مغمفا كلمات الشاعر  
الانجليزى : ( يا ضعف الارادة . . . يا وهن العزيمة . . . ان اسمك : المرأة )  
واستطرد كادروس : « وبعد ستة أشهر من ذلك التاريخ تم الزفاف في  
كنيسة « اكول » ! »

فغمغم الكاهن : « الكنيسة ذاتها التي كان سيعقد فيها زواجهما من  
ادمون ! . . . لم يطرأ غير تغيير في شخص الزوج ! »

واستأنف كادروس حديثه : « وهكذا تزوجت مرسيديس ، لكنها كادت  
يغيب عليها وهي تمر أمام حانة ( لاريوزف ) ، حيث احتفل قبل عام  
ونصف عام بخطبتها الى ذاك الذي لو أمعنت النظر الآن في أعماق قلبها  
لأدركت أنها ما تزال تحبه ! . . . وفي حمى فزع فرناند من عودة دانتيس ،  
حرص على الابتعاد بنفسه وبزوجته عن المدينة . . . فلم تنقض عشرة أيام على  
الزواج حتى غادرا مرسيليا ! »

- وهل لم تر مرسيديس بعد ذلك ؟

- بل لقد رأيتها ، خلال الحرب الاسبانية ، في « بربجنان » حيث كان  
فرناند قد تركها تعنى بتربية ولدها

- ابنها ؟ . . .

- نعم . . . « البرت » الصغير !

- ولكن ، كي تستطيع تثقيف ابنها لابد أن تكون هي على قدر من الثقافة .  
وقد فهمت من ادمون أنها ابنة صياد بسيط . . . جميلة ولكن ليست متعلمة !

- انها من الذكاء بحيث كيفت نفسها حسب مركز زوجها وثروته ،  
فتعلمت الرسم ، والموسيقى ، وكل شيء . . . واعتقد أنها فعلت ذلك كي تشغل  
نفسها عن التفكير في حبه القديم وتنسى الماضي . . . لقد ملأت رأسها كي

تخفف العبء الذى يثقل قلبها. وهى الآن غارقة فى الثراء والمجد والالقاء  
.. لكنها فيما أعتقد غير سعيدة !

— وما الذى يجعلك تعتقد ذلك ؟

— عندما اشتدت بى الضائقة فكرت فى أن ألبأ الى أصدقائى القدامى ،  
لعلهم يساعدوننى .. فذهبت الى دانجلر ، لكنه أبى أن يستقبلنى .. ثم  
ذهبت الى فرناند ، فأرسل الى مائة فرنك مع خادمه .. وفيما أنا خارج  
سقط عند قدمى كيس نقود يحوى خمسة وعشرين جنيها ، فرفعت رأسى  
نحو مصدره بسرعة ، واذا ذاك رأيت مرسيديس فى النافذة ، لكنها سارعت  
الى اغلاقها !

— ومسيو دى فيلفور ؟ هل تعلم ما صار اليه ، ونصيبه فى المأساة التى  
حلت بادمون ؟

— كلا ، كل ما أعلمه عنه انه بعد اعتقال ادمون بزمان وجيز تزوج من  
الآنسة دى سان ميران ثم غادرا مرسيليا على الأثر .. ولا شك أنه كان  
محظوظا مثل الآخرين .. وهكذا لم يبق فقيرا تعسا منسيا سوى !

— أنت مخطيء يا صديقى .. قد يبدو أحيانا كأن الله ينسى أن ينصف  
المظلوم فترة من الوقت ، لكن عدالته تمهل ولا تهمل ، واليك الدليل !

وأخرج القس من جيبه العلبة التى تحوى الماسة الشينة وأعطاهها للرجل  
قائلا : « اليك يا صديقى .. خذ هذه الماسة ، فهى لك ! »

فصاح كادروس : « ماذا ؟ .. بلى أنا وحدى ؟! .. بربك لا تسخر منى  
يا سيدى ! »

— كان المفروض أن يقسم ثمن هذه الماسة بين أصدقاء ادمون جميعا ..  
ولكن لم يكن له فى الحقيقة غير صديق واحد ، واذن فلا داعى لتجزئتها ..  
خذ الماسة اذن وبعها ، انها تساوى خمسين ألف فرنك ، وأرجو أن يكفى  
هذا المبلغ لانقاذك من ضائقتك !

فقال كادروس وهو يمد احدى يديه فى خجل لياخذ الماسة ، ويجفف  
العرق المتصبب على جبينه باليد الأخرى :

— سيدى .. لا تسخر من سعادة انسان أو شقائه !

— انى أعلم ما هى السعادة وكيف يكون الشقاء ، وحاشاى أن أسخر من  
عواطف الناس ومشاعرهم .. خذ الماسة اذن .. وأعطني فى مقابلها كيس  
النقود الحريرى الاحمر الذى تركه مسيو موريل فوق رف مدفأة دانتيس  
الأب والذى تقول انه فى حيازتك !



## غادة الكرنفال

في أواخر سنة ١٨٣٧ وصل إلى روما لحضور « كرنفالهـا » الكبير شابان ينتميان إلى مجتمعات باريس الريفيسة ، هما : الفيكونت « ألبرت دي مورسيرف » والبارون « فرانتز ديبيناي »

وكان الجناح الذي أقاما به في الفندق مؤلفا من حجرتين صغيرتين وردهة أما بقية الطابق الفسيح الذي به هذا الجناح فكان يشغله ثرى من نبلاء صقلية أو مالطة يدعى « الكونت دي مونت كريستو »

وأوصى الشابان السنيور « باستريني » صاحب الفندق أن يبحث لهما عن عربة تكون تحت تصرفهما أثناء احتفالات الكرنفال .. لكنه عجز عن العثور على العربة المطلوبة ، من فرط ازدحام المدينة بالسائحين .. وفي اليوم التالي عاد اليهما الرجل يقول : « ان الكونت دي مونت كريستو يعرض عليكما مكانا في عربته ومقعدين في نافذته بقصر ( روسبولى ) كي تشاهدا منها الاحتفال »

ثم قادهما إلى جناح الكونت ودق الجرس ، فظهر خادم دعاهما إلى الدخول وأجلسهما في حجرة استقبال فاخرة حافلة بالرياش والطنافس والسجاد التركي الثمين والأرائك المريحة والمقاعد الوثيرة والوسائد والستائر الثمينة وظهر خلفها الكونت صاحب كل هذا الثراء .. وكان برغم شحوبه ذا وجه وسيم وعينين نفاذتين براقيتين ، وأنف مستقيم ، وأسنان بيضاء ناصعة كاللؤلؤ ، يعلوها شارب أسود فاحم يزدها جمالا .. أما قامته فكانت متوسطة الطول متناسبة التكوين .. وكانت يدها وقدماه صغيرتين شأن أهل الجنوب

وابتدر الكونت دي مونت كريستو ضيفيه قائلا : « أرجو أن تغفرا لي دعوتكما إلى زيارتي أولا ، فقد خشيت أن أزعجكما فيما لو سبقت إلى زيارتكما ! »

فقال الكونت وهو يشير إلى الشابين كي يجلسا : « الواقع أن ذلك الغيبى ( باستريني ) هو المسئول عن عدم مبادرتي إلى ذلك قبل هذه الساعة ، فهو لم يشير بكلمة إلى جيرتكما قبل اليوم ، في حين أنه يعلم مبلغ ترحيبي - في وحدتي وعزلاتي - بانتهاز كل فرصة للتعارف مع جيراني .. والآن أرجو أن تشرفاني بتناول الافطار معي »

فقال البرت : « اننا يا سيدي الكونت لنشكر لك كرمك وأريحيتهك ونرجو ألا نكون قد أثقلنا عليك »

فقال : « كلا !.. بل انكما سوف تدخلان السرور على قلبي .. ولعلني أشرف يوما بزيارتكما في باريس ! »

ثم تطور الحديث بعد حين الى حكم باعدام اثنين من زعماء العصابات كان مزما تنفيذه في ذلك اليوم . فأفاض الكونت في الحديث عن هذا الموضوع ، حتى قال له فرانز : « يلوح لي يا سيدي الكونت أنك درست مختلف العقوبات وأساليب التعذيب عند كل شعوب العالم ! »

فأجاب الكونت في برود : « هناك وسائل معدودة منها لم أشاهدها ! » فسأله فرانز : « هل تجد متعة في مشاهدة هذه المناظر البشعة ؟ »

فأجاب الكونت بقوله : « كنت أول الأمر أرتاع لمشاهدتها ، ثم صرت أشعر ازاءها بعدم المبالاة . وأخيرا صار الفضول هو الذي يدفعني الى مشاهدتها »

وهنا غمغم البرت قائلا : « الفضول ؟.. يا لها من كلمة رهيبة ! » فالتفت اليه الكونت وقال له : « ان شغلنا الشاغل في الحياة هو الموت ، فليس عجيبا أن يشتد بنا الفضول لدراسة مختلف الوسائل التي تؤدي الى فصل الروح عن الجسد ، أو التي يقابل بها مختلف الناس انتقالهم من الحياة الى الموت ، ومن الوجود الى العدم تبعا لاختلاف شخصياتهم وطباعهم وعادات بلادهم المختلفة !.. واني لاؤكد لك أنك كلما رأيت عددا أكبر من الناس يموتون ، سهل عليك أن تواجه الموت .. وفي اعتقادي أن الموت قد يكون عذابا ، لكنه ليس تكفيرا ! »

فقال فرانزا مأخوذا : « لست أفهم ما تعنيه تماما يا سيدي الكونت ، فهل لك أن توضحه لي ؟.. انك تنير فضولي الى أقصى حد ! »

فأجابه الكونت وقد بدت في وجهه امارات الاستياء العميق : « سأوضح لك الأمر بمثل أضربه لك .. فافرض ان انسانا قضى على حياة أبيك أو أمك أو خطيبتك أو أي عزيز لديك ، أليس فقدك يترك جرحا لا يندمل في صدرك ، ولا يزال حزنك عليه يؤرقك ويعذبك ما حييت ؟.. ان القصاص الذي يأخذ به المجتمع ذلك القاتل بفصل رأسه عن جسده بالمقصلة في توان معدودات ، لا يمكن أن ينسيك العذاب النفسي الذي تقاسيه بسبب الجريمة التي اقترفها . في حين انه هو لا يقاسي مثل ذلك العذاب الا بعض الوقت ، ريثما يؤخذ الى المقصلة حيث يتألم جسده بضع توان ، ثم ينتهي كل شيء بالنسبة له ! »

فقال فرانز : « نعم .. ان العدالة البشرية لا تكفي لتعزيتنا ، وكل ما تفعله أنها تسفك دما مقابل دم .. لكن لا ينبغي لنا أن نطالبها بما ليس في طاقتها ! »



- دعني أعرض عليك مثلاً آخر ، هناك الوف من حالات التعذيب يقاسى فيها المرء أشنع الويلات بلا علم المجتمع ، أو من غير أن يكفل له المجتمع الوسائل الكافية للانتقام !! وهناك جرائم لا يعاقب عليها المجتمع ، فى حين أن عقابها يجب أن يكون أشد من ( خوازيق ) الاتراك ، و ( بريمة ) الفرس ، ووشم الهنود بالنار !! ألا تقع هذه الجرائم كل يوم ؟

- نعم ، انها تقع بلا ريب !! ولعل المباراة ما شرعت الا لتكون وسيلة يلجأ اليها المعتدى عليه للانتقام من المعتدى !

- كلا يا سيدى !! ليس هو الانتقام المنشود !! فأننا لجأ الى المباراة فى الأمور الثقافية ، وغالباً لا ينجو خصمى من الموت بفضـل براعتى فى أنواع الرياضة البدنية ، وتعودى الاستهانة بالـأخطار !! أما الانتقام بمعنى التعذيب البطيء العميق المستمر ، فمن رأى أن يتبع المرء فيه القساعة القديمة ( العين بالعين ، والسن بالسن ) ، كما يقول الشرقيون أساتذتنا فى كل شيء ، أولئك المحظوظون الذين رسموا لأنفسهم حياة من الأحلام وجنة من الحقائق !

- لكنك تبعاً لهذه النظرية التى تجعل نفسك بها قاضياً وجسلاً فى قضيتك الشخصية ، يكون من العسير أن تنجو دائماً من الوقوع تحت طائلة القانون !! فالكراهية العمياء والحقد يحملانك على أن تتركب الصعب من الأمور ، ومن يسكب الانتقام فى كؤوس الآخرين يعرض نفسه لخطر الشرب من كأس أمر !

- هذا صحيح اذا كان المرء فقيراً وغير مجرب ، لا غنياً حاذقاً !! ثم ان أسوأ ما قد يصيبه لن يخرج عن حد العقاب السريع السهل الذى تحدثنا عنه ، والذى اتخذته الثورة الفرنسية الرحيمة بدلاً من التمزيق تحت سنابك الجياد أو العجلات ، وما أتفه هذا العقاب ما دام الشخص قد انتقم لنفسه !؟



وفى هذه اللحظة سمعت دقات الأجراس فى كنيسة «مونتي سيثوريو» ولم تكن تدق الا عند وفاة البابا أو افتتاح الكرنفال ، فقال الكونت : «لقد بدأ الاحتفال ، ويحسن أن نسارع الى ارتداء ثياب التنكر الخاصة به » . ثم اشار الى أزياء كثيرة أنيقة من حرير الساتان كانت متراكمة على بعض المقاعد ، ليختاراً من بينها ما يشاءان

وحين فرغ ثلاثتهم من هذه المهمة ، هبطوا الى حيث كانت العربدة فى انتظارهم !! فدرجت بهم فى شوارع المدينة الحافلة بمواكب المهرجين وعربات الزهور وجموع المتنكرين فى أغرب الأزياء والاقنعة ، وكلهم يصخبون ويتصايحون ويتقاذفون كرات الورق الملون والبيض المحشو بالدقيق

وحين بلغت العربية ثاني منعطف في الطريق ، أشار الكونت الى الحوذى بالوقوف ، واستأذن ضيفيه في الانصراف قائلا : « حين تملأن الاشتراك في التمثيل وتبغيان أن تصيرا متفرجين يمكنكما الحضور الى حيث حجزت لكما مكانا في نوافذى ٠٠ وفي انتظار ذلك أترك العربية والحوذى والخدم رهن اشارتكما ! »

فشكر فرانز الكونت على كرمه واهتمامه ، بينما انشغل البرت بالقاء الزهر والورق الملون على عربة ملائى بالمتنكرين فى زى فلاحي الرومان ٠٠ ثم تابعت عربته والعربة الأخرى سيرهما فى اتجاهين متضادين ، فتنهد الشاب متحسرا وقال لصديقه : « انك لم تريا فرانز ركاب تلك العربة ، لست أشك فى أنهم جميعا من النساء الفاتنات المتنكرات فى زى الفلاحين ! فعسى ألا ينتهى الكرنفال قبل أن تتاح لنا فرصة لقائهن مرة أخرى ! » ولم يخبَ أمله ، فقد التقت العربتان بعد قليل فى أحد الشوارع ، فالقت إحدى الفتيات المتنكرات باقة من زهر البنفسج على عربتهما ، فتلقفها البرت بيديه ٠٠ وعندئذ وعد فرانز صديقه الماخن بأن يقنع هو فى اليوم التالى بمشاهدة الكرنفال من النافذة ويترك له العربة يتابع بها مغازلاته ! وفى المساء تلقى فرانز رسالة مكتوبة بخط البرت ، فقرأها مرتين بامعان قبل أن يفهم مدلولها ، وكان نصها :

« يا صديقى العزيز ٠٠ »

فى اللحظة التى تصل فيها هذه الرسالة اليك ، أرجو أن تتكرم بأخذ دفتر الشيكات الذى يخصنى من درج المكتب الصغير الموجود فى حجرة نومى ، ثم تضيف الى محتوياته كل ما تملك من مال ٠٠ وتهرع الى بنك ( تورلونيا ) لتسحب منه المبلغين فورا وتسلمهما لحامل هذا الخطاب ٠٠ وانى أعتمد عليك فى امدادى بلا ابطاء بالمال المطلوب لسبب غاية فى الأهمية ! »

وكانت هناك تحت هذه الاسطر ، ملاحظة بخط البرت نفسه يقول فيها:  
« لقد آمنت الآن بالعصابات الإيطالية ! »

كما كانت هناك عبارة أخرى كتبت تحت هذه الملاحظة بخط مغاير ، ونصها :

« اذا لم يصل الى مبلغ أربعة آلاف ليرة قبل الساعة السادسة صباحا ، فلن تحل الساعة السابعة حتى يكون الفيكونت البرت قد فارق الحياة ! »  
« لويجى فامبا »

وقال فرانز محدثا نفسه : « اذن فقد وقع البرت فى يد عصاة من اللصوص الخطرين ٠٠ وليس فى الوقت متسع يمكن اضاعته » ٠ ثم نهض مسرعا ففتح درج المكتب الصغير حيث وجد دفتر شيكات البرت ، وكان الحساب المقيد فيه يدل على أن كل ما بقى له من رصيده فى البنك ثلاثة آلاف ليرة

ولم يكن لفرانز حساب فى البنك لأنه كان يعيش فى فلورنسا وقد حضر الى روما ليقضى سبعة أيام أو ثمانية ، ولم يبق من المبلغ الذى أحضره معه الا حوالى ثلاثمائة ليرة ، بينما كان عليه لكى يتم قيمة الفدية المطلوبة أن يحصل على ألف ليرة

وهنا تذكر فرانز صديقهما الكونت دى مونت كريستو ، فهرع اليه .. ووجده فى حجرة صغيرة تحف بها الاثاث الوثيرة، فابتدره الكونت سائلا: « أية ربح طيبة حملتك الى هنا فى هذه الساعة ؟ هل أتيت لتتناول العشاء معي ؟ ان هذا يكون كرما منك ! »

فأجاب الشاب : « بل جئت لا تحدث اليك فى مسألة خطيرة »

ثم قدم له خطاب البرت ، فلما فرغ الكونت من قراءته قال يسأل فرانز: « أرى أن أذهب بنفسى للبحث عن « فامبا » هذا ، فهل ترافقنى ؟ » انها ليلة رائعة الطقس تحلو فيها النزهة خارج المدينة .. أين الرجل الذى أحضر الرسالة ؟ »

فقال فرانز : « انه ينتظر فى الشارع ! »

فمضى الكونت الى النافذة وأرسل من فمه صغيرا خاصا غريبا ، وسرعان ما برز من جوار الحائط رجل يرتدى عباءة وخرج الى عرض الطريق ، فقال له الكونت بلهجة من يخاطب خادمه : « اصعد » .. فأطاعه الرسول فورا فى خضوع ، ولم تمض خمس ثوان حتى كان يطرق باب الحجرة .. فقال له الكونت : « أهذا أنت يا بيبينو ؟ »

لكن بيبينو بدلا من أن يجيبه ارتدى على ركبتيه عند قدمي الكونت وتناول يديه يغمرهما بالقبلات ! .. فقال له الكونت :

« آه ، اذن فأنت لم تنس أننى أنقذت حياتك ؟ .. هذا غريب ، مع انه قد انقضى على الحادث أسبوع ! »

وتمتم الرجل فى خضوع : « لن أنسى ذلك ما حييت يا صاحب الفخامة ! »

ثم سأله الكونت : « كيف وقع الفيكونت البرت فى يد لويجي ؟ »

فأجاب : « أن عربية السيد الفرنسى مرت أكثر من مرة بمحاذاة العربية التى كانت فيها تيريزا عشيقته الزعيم ! .. وقد طلب منها الفرنسى موعدا لمقابلته ، فضربت له الموعد فى المكان الذى حملته عربته اليه حيث كانت تنتظره ومعها لويجي فى سراديب مقابر سانت سباستيان ! »

فالتفت الكونت الى فرانز وقال له : « انها قصة شائقة ، ولو لم تجدنى هنا لكلفت المغامرة صديقك ثمنا غاليا .. أما الآن فلتثق بأن الانزعاج هو الحسارة الوحيدة التى ستصيب البرت . هل تعرف مكان سراديب سانت سباستيان ؟ »

فقال فرانز : « لم أزرها قط ، لكنى كنت أعزم ذلك منذ زمن ! »

فقال الكونت : « حسنا ، ها هي ذى الفرصة قد واثتكَ ، ومن العسير ان تتاح لك فرصة أفضل »

ثم دق الكونت الجرس طالبا اعداد عربته . وبعد دقائق كانت تجاز به وضيغه طريق « ايبان » القديم . . . وقبل أن تصل الى حمامات « كاركالا » توقفت وهبط منها الرجال وسارا حتى بلغا منفذا ضيقا يقع خلف أجمة صغيرة تحيط بها الصخور ، ومرتق « بيبنو » من ذلك المنفذ أولا ثم تبعه الآخرون . . . وبعد أن سار الثلاثة خطوات اتسع الممر وسرعان ما وجدوا أنفسهم أمام سراديب عدة . فهبطوا سردابا منها لا يكاد البصر يجد نهايته ، وتتخلله أشعة من الضوء ، ومنه تقدموا نحو حجرة كبيرة مربعة يضيئها مصباح ويجلس فيها رجل يقرأ وظهره الى المدخل الذي وقف فيه الزائرون يتأملون المنظر

كان الرجل هو « لويجي فامبا » زعيم العصاة ، وحوله عشرون لصا وقاطع طريق أو أكثر جلسوا مستندين ظهورهم الى مقاعد حجرية ، وأمام كل منهم غدارته ، في متناول يده . . . فلما دخل الكونت نهض فامبا مسرعا ، وفي لحظة كانت عشرون غدارة مشهورة في وجه الزائرين !

فقال الكونت بصوت هادئ صاف ، دون أن تختلج عضلة في وجهه : « يبدو أيها العزيز فامبا أنك تستقبل الاصدقاء بقدر كبير من الحفاوة ! » فصاح الزعيم برجاله وهو يشير بيده اشارة أمر : « اخفضوا أسلحتكم » بينما خلع باليد الأخرى قبعته احتراما ، ثم استدار نحو ضيفه قائلا : « عفوك يا صاحب الفخامة ، كنت أبعد ما أكون عن توقع شرف زيارة منك ، بحيث لم أعرفك أول الأمر ! »

فأجابه الكونت : « يبدو أن ذاكرتك ضعيفة في كل شيء يا فامبا ، بل انك لا تنسى وجوه الناس فقط ، ولكن تنسى الشروط التي تتفق معهم عليها أيضا ! . . . ألم تتفق على أن تحترم فضلا عن شحصى جميع أصدقائي . . . اذن لم اختطفت الليلة الفيكونت ألبرت دى مورسيرف ، وأحضرتة الى هنا مع أنه من أصدقائي ؟ ! »

فقال زعيم العصاة وهو يستدير نحو رجاله الذين تراجعوا جميعا أمام نظراته : « لماذا لم تذكروا لي ذلك أيها الاوغاد ؟ لقد جعلتموني أحنث بعهدى مع رجل مثل الكونت يملك أرواحنا جميعا في قبضته ! »

ثم استنرد « فامبا » مشيرا نحو ثغرة يحرسها واحد من رجاله : « السجن يوجد هناك ، وسأذهب بنفسى لأخبره بأنه مطلق السراح . تفضل بالدخول يا صاحب الفخامة ! »

وصعد الكونت وقرأ في أثر الزعيم بضع درجات ، ثم فتح فامبا أحد الأبواب . . . فاذا ألبرت متدثرا بمعطف كان أحد اللصوص قد أعاره اياه ، وقد رقد في ركن من الحجرة المظلمة . . . فلمس فامبا كتفه قائلا : « أنت مطلق السراح يا سيدى »

واذ ذاك نظر البرت حوله فرأى فرانز ، وهتف به : « أهذا أنت يا عزيزى فرانز ؟ لقد أظهرت المحنة صدق محبتك وصدقتك ! »

فأجابه فرانز : « كلا ! لست أنا صاحب الفضل ، بل هو جارنا الكونت دى مونت كريستو ! »

فقال البرت فى مرح : « أوه يا عزيزى الكونت ، هذا عطف كبير منك ، وأجو أن تعتبرنى مدينا لك مدى الحياة . ان والدى الكونت دى مورسيروف - وان كان من أصل أسباني - له نفوذ كبير فى بلاط فرنسا ومديريد . . . واني أبادر فأضع - بلا تردد - خدماتى وخدمات كل من تعد حياتى غالية فى نظرهم ، تحت تصرفك ! »

فأجاب الكونت : « يا مسيو دى مورسيروف ، انى أقبل ما تعرضه على بمثل روح الاخلاص القلبى التى أملتة . . بل انى سأخطو خطوة ايجابية فأصارك باني كنت قد اعتزمت من قبل أن أسالك معروفا عظيما ! »

فقال البرت فى حماسة : « انى وهن اشارتك يا سيدى »

ومضى الكونت فقال : « انى غريب عن باريس تماما ، فهى مدينة لم أرها قط ، ولما كنت لا أعرف فيها أحدا يقدمنى لمجتمعاتها الرفيعة ويتيح لى أن أقف على مفاتها وعجائبها فانى أرى فيما تعرضه على ما يذلل جميع الصعوبات ، فهل أستطيع أن أعتمد عليك كى تفتح لى عند وصولى الى باريس أبواب عالم الطبقات الرفيعة فيها . . اننى لا أعرف عن شخصياتها أكثر مما أعرف عن أهل الصين ؟ »

- انه ليسرنى أن أودى لك هذه الخدمة مرحبا ، وسوف يعيننى على القيام بها خطاب التوصية الذى أحمله من أبى الى أصدقائه الكبار فى باريس !

- وأنا سأمنحك مهلة قدرها ثلاثة أشهر الحلق بك فى نهايتها ، فمن عادتى أن أحسب دائما حساب شتى العراقيل والمصاعب . . فهل نتفق على موعد محدد ، من حيث اليوم والساعة ؟ . . اننى لمضرب الامثال فى دقة مواعيدى ! »

ومد الكونت يده نحو تقويم على الحائط قائلا : « اليوم ٢١ فبراير . . ثم أخرج ساعته من جيبه وأردف قائلا : « والساعة الآن العاشرة والنصف . . فعندنى ان تذكر ذلك ، وان تنتظرنى فى مثل هذه الساعة من صباح يوم ٢١ مايو القادم . . ! »

- حسنا يا سيدى . . وسوف تجد الافطار معدا لك . .

- أين تقطن ؟

- فى المنزل رقم ٢٧ بشارع دى هيلدر !

فاوما الكونت موافقا وقال : « لا تنس ما اتفقنا عليه . . يوم ٢١ مايو ، الساعة العاشرة والنصف صباحا ، شارع دى هيلدر رقم ٢٧ ! »

## فى باريس

أعد ألبرت كل شىء فى منزله بشوارع هلدار بباريس للحفاوة بضيفه الكبير الكونت دى مونت كريستو ، وفى اليوم المحدد للقاءهما هناك جلس مع بعض خاصته يحدثهم عن الكونت المنتظر وصوله وكيف أنقذه من نتيجة مغامرته فى ايطاليا ، فقال له أحدهم ويدعى « لوسيان دبراى » :

— يخيلى الى أنك تمزح معنا باختراع هذه القصة ، بل أكاد أعتقد ألا وجود لزعيم العصابة الايطالى الذى تحدثنا عنه ، ولا للكونت دى مونت كريستو الذى تنتظره !

وقال ضيف آخر يدعى بوشان : « خير لك يا عزيزى ألبرت أن تعترف بأنك رأيت هذا كله فى الحلم ، أو قدعنا نتناول طعام الافطار فى هدوء وسلام ! »

ولم يسع ألبرت الا أن يسكت ازاء سخريه أصدقائه ، وبقي صابرا على مضض حتى حان موعد وصول الكونت ، وأخذت ساعة الحائط تدق ايثانا بانتصاف الساعة الحادية عشرة ، وقلبه يدق معها فى عنف ، بينما العرق البارد يتصبب من جبينه خشية أن يزداد خجله ان لم يصل الكونت فى مواعده !

وما انتهت الساعة من دقائقها ، حتى ظهر أحد الخدم بالبواب وقال لـألبرت: « سيدى ٠٠ ان الكونت دى مونت كريستو قد وصل ! »

ودل الاجفال غير الارادى الذى بدا من جميع الحاضرين على شدة تأثرهم بهذا النبأ ٠ ولم يستطع ألبرت نفسه قمع انفعاله ، ولا سيما أنه لم يكن قد سمع صوت عربة تقف أمام الباب ، أو خطوات تخفسق فى الردهة ٠٠ ولكنه فوجئ بفتح الباب دون جلبه ثم بظهور الكونت على عتبه مرتديا زيا يجمع بين الاناقة والبساطة ، وقد بدا فى سن لا تزيد على الخامسة والثلاثين !

على أنه سرعان ما خف لاستقباله مرحبا ثم قال :

— يا عزيزى الكونت ٠٠٠ لقد أعلنت نبأ زيارتك لهؤلاء الأصدقاء بعد أن دعوتهم طبقا لما اتفقنا عليه ، وبها أنذا أقدمهم لفخامتك : هذا هو الكونت دى شاتو رينو النبيل ذو الأصل العريق ، الذى اشترك أسلافه فى مؤتمر المائدة المستديرة ٠٠ وهذا مسيو لوسيان دبراى السكرتير الخاص لوزير الداخلية ٠٠ ومسيو بوشان الصحفى الذى يصدر صحيفة تسبب الذعر

للحكومة الفرنسية ، وان كان الأرجح انك لم تسمع باسمه في إيطاليا -  
برغم شهرته الوطنية - نظرا الى كون صحيفته ممنوعة من الدخول الى  
إيطاليا ٠٠ وهذا مسيو مكسميليان موريل قبطان السفينة (سباهي) ٠٠  
وكان الكونت يحيى كلا منهم بانحناء يشوبها طابع الرسمية والود ،  
لكنه ما كاد يسمع الاسم الاخير حتى تقدم خطوة الى الامام وقال لا لبرت  
وقد اصطبغت وجنتاه الشاحبتان بحمرة خفيفة :

- يا عزيزي الفيكونت ، انك ذكرت لي في روما شيئا عن مشروع زواج  
٠٠ فهل لي أن أهنتك ؟

فقال لبرت : « ان الامر ما زال في حيز التفكير ! »

وهنا تدخل دبراى قائلا : « هل أفهم من ذلك أن الامر قد تقرر ؟ »

فاجاب لبرت : « كلا ! ولكن والدى شديد الرغبة في تنفيذ الفكرة ،  
وأرجو أن أقدمك في القريب ، ان لم يكن لزوجتي فعلى الأقل لخطيبتى  
الآنسة أوجينى دانجلر »

فهتف الكونت دى مونت كريستو : « أوجينى دانجلر ؟ أهى ابنة البارون  
دانجلر ؟ »

فقال لبرت : « نعم يا سيدى ، وهو بارون من الطراز الحديث ! »

فقال الكونت : « حسبه أنه أدى للدولة خدمات استحق عليها هذا  
الانعام ! »

وقال بوشان : « الواقع أنه أدى للدولة خدمات جليلة ، فهو برغم كونه  
من حزب الاحرار ، فاض فى عقد قرض كبير للملك شارل العاشر فى سنة  
١٨٢٩ ، ولهذا منحه لقب البارون ووسام فارس فى فرقة الشرف »

فقال الكونت دى مونت كريستو : « انى لا أعرفه ، وان كان يغلب على  
ظنى أنى سوف أتعرف اليه قريبا ، فان لي معه حسابا جاريا لدى ثلاثة من  
البيوت المالية : أحدها فى لندن والثانى فى فينا ، والثالث فى روما ! »

ثم واصل لبرت كلامه فقال : « على أى حال وقبل كل شئ ينبغى أن  
نجد مسكنا فى عاصمتنا الكبرى يلائم ضيفها العزيز الجدي الكونت دى مونت  
كريستو »

فقال الكونت : « شكرا لك يا سيدى ٠٠ اننى منذ استقر رأبى على  
المضمر الى هنا ، أرسلت خادمتى الخاص لكى يبتاع لي منزلا مناسبا فى  
باريس ويؤثته ، ولا بد انه قد فرغ من هذه المهمة الآن ! »

فقال بوشان : « اذن فالخادم الخاص لصاحب الفخامة يعرف باريس  
جيذا ؟ »

فاجاب الكونت : « نعم ، انه أمينى النبوى الصموت «على» ، وهو يعرف  
باريس كما يعرف ذوقى ومطالبي ٠٠ وكان يعلم أننى سأصل اليوم فى

الساعة العاشرة ، فانتظرني مد التاسعة عند حاجز « فونتبلو » حيث أعطاني هذه الورقة التي تحوى عنوان مسكني الجديد .  
فقال بوشان : « اذن فلنقع بأن نؤدى للكونت الخدمات التي في مقدورنا .  
ويسرني بوصفي صحفيا أن أفصح لفخامته أبواب جميع المسارح »  
فشكره الكونت وقال : « ان لدى سكرتيرى تعليمات بأن يحجز لي مقصورة في كل مسرح ! »

وهنا سأل دبراى : « هل سكرتير الكونت نوبى أيضا ؟ »  
فأجاب : « كلا ! بل هو كورسيكى ، يدعى مسيو برتوشيو ، وقد كان جنديا ومهربا ، بل كان في الواقع كل شيء . . . ولست واثقا من أنه لن يحتك بسلطات البوليس يوما بسبب طعنة خنجر أو ما يشبهها من الحوادث الاتفاهة في نظره ! »

وهنا قال شاتورينو مخاطبا الكونت : « اذن . . . ما دام عندك المسكن ، والحادم والسكرتير ، فلا ينقصك غير الخليفة ! »

فابتسم الكونت وقال : « الواقع أنه عندى من هي خير من الخليفة . . . عندى الجارية الحاضعة ! . . . انكم تحصلون على خليلاتكم من الأوبرا ودور اللهو المختلفة ، أما أنا فقد حصلت على صاحبتى من القسطنطينية . . . وهى تكلفنى نفقات أكثر ، لكنى لا أرى بأسا فى ذلك ! »

فقال له دبراى ضاحكا : « لا تنس يا سيدى أننا فى بلد الحرية ، وعلى هذا فان جارييتك هذه لا بد أن تغدو حرة فى اللحظة التى تطا فيها قدماهما أرض فرنسا ! »

فقال له الكونت : « من أين لها أن تعرف ذلك وهى لا تتكلم بغير لغتها ؟ ! »  
فقال بوشان : « أظن أننا سنراها على كل حال ، ولكن هل فخامتك تقتضى الجوارى ؟ . . . »

وابتسم الكونت مرة أخرى وقال : « كلا ! . . . لست على هذه الدرجة من التوحش ، بل ان كل واحد حولى له كل الحرية فى أن يتركنى اذا شاء ، وفي استطاعته أن يعيش بعد ذلك فى غنى عني وعن أى انسان آخر . . . ولكن جميع من حولى ليس فيهم من يفكر فى ذلك بفضل ما يلقون من حسن المعاملة ! »

وحين انصرف أصدقاء ألبرت وخلا الى الكونت ، قاده الى جناحه الخاص الاثير عنده ، فمرا من الصالون الى غرفة النوم ، التى كانت نموذجا للذوق الرفيع والاثانة البسيطة ، وكانت فيها لوحة من رسم فنان شهير تشرق على الحجرة من وسط اطارها المذهب . . . فلقت نظر الكونت ، واقترب منها فى خطوات سريعة ثم وقف أمامها وراح يتأملها فى اعجاب !

كانت اللوحة تمثل فتاة حسناء سمراء ، ذات عينين مشرقيتين لامعتين تظللها أهداب طويلة ، وترتدى ثياب صيادات عشيرة « كاتالان » المؤلفة



من خليط من اللونين الاحمر والاسود ، وتضع في شعرها دبوسا ذهبيا .  
وتتجه بعينيها الى البحر ، وحولها المحيط الأزرق والسماء الصفية . وكان  
الضوء في الحجرة ضئيلا الى حد أن البرت لم يلحظ الشحوب الذي كسا  
وجه الكونت ، أو الرجفة العصبية التي هزت صدره وكنتفه !

وحين تمالك الكونت نفسه قال في صوت هادئ :

— أرى أن لك خلية جذابة جدا يا فيكونت . وهذا الثوب الذي لا شك  
أنه ثوب الرقص ، يناسبها بشكل رائع !

فأجابه البرت : « آه يا سيدي ، ما كنت لأغفر لك هذا الخطأ لو أنك  
رأيت صورة أخرى الى جانبها . . . أنك لا تعرف أمي ، ولكن ها أنت ذا  
تراها أمامك . . . لقد رسمت لها هذه الصورة منذ حوالي ثماني سنوات ،  
وهذا الزى هو فيما يبدو زى تنكري . على أن الصورة من الاتقان والمشابهة  
للأصل بحيث يخيل الى أبي أرى فيها أمي حقيقة كما كانت تبدو سنة  
١٨٣٠ . لقد رسمت لها هذه الصورة أثناء غياب أبي ، ولا شك أنها أرادت  
أن تدبر له مفاجأة سارة . . . لكن العجيب في الأمر أن هذه الصورة لم  
تعجب أبي ، ولم تستطع قيمتها الفنية باعتبارها من أعظم لوحات الفنان  
الذي رسمها أن تتغلب على بغض أبي لها ! . . . اغفر لي تحدثي في أمر عائلي  
كهذا ، ولكن لما كنت أعتزم أن أقدمك الى أبي فاني أذكر لك هذه التفاصيل  
راجيا ألا تشير الى هذه الصورة في حديثك معه . . . ويخيل الى أن لهذه  
اللوحة تأثيرا خبيثا ، فما من مرة تدخل فيها أمي هذه الحجرة الا وقفت تنظر  
اليها مليا ثم انخرطت في البكاء ! »

وكان الكونت يصغى الى مضيفه الشاب في انتباه ، بينما استطرده هذا  
فقال : « الآن وقد رأيت كل تحفي ، أرجو أن ترافقني الى جناح أبي . .  
لقد كتبت اليه من روما ورويت له قصة اليد التي أسديتها الى ، كما أنبأته  
بموعد زيارتك هذه . . . وفي وسعي أن أقول : ان أبي وأمي يتلهقان شوقا  
الى . إن يقدم لك شكرهما وامتنانهما ! »

ثم أرسل البرت خادمه الى أبويه ليخبرهما بقدوم الكونت دي مونت  
كريستو ، ومشيا في أثره حتى وصلا الى الحجرة المفضية الى حجرتهما  
الخاصة ، وسرعان ما فتح بابها ووجد الكونت دي مونت كريستو نفسه  
وجها لوجه أمام الكونت دي مورسيرف . وكان هذا في الخامسة والأربعين  
من عمره وان بدا في الخمسين على أقل تقدير . كما كان شاربه الاسود  
وحاجباه يتنافران كل التنافر مع شعر رأسه الأشيب القصير ، المصوص  
على الطريقة العسكرية . . . وكان يرتدي ثيابا بسيطة ويضع في عروة  
سترته أشرطة النياشين المختلفة التي حصل عليها

وتقدم الكونت مورسيرف للقاء ضيفه في خطوات متزنة تنم عن الاعتداد  
بالنفس . . . بينما بقي الكونت دي مونت كريستو في مكانه لا يتحرك ،

وبدا له كأن قدميه سمرتا فى الارض ، وكأن عينيه سمرتا على محيا مضيئه  
الوقور !

وقال الكونت مورسيرف وهو يحييه مبتسما :

— على الرحب والسعة يا سيدى .. انك قد أدبت لهذا البيت جميلا لن  
ينساه مدى الحياة ، اذ أنقذت حياة وريثه الوحيد ! »

ثم قدم لضيفه مقعدا ، فتناوله هذا وجلس بحيث يسقط عليه ظل  
الستائر الكبيرة التى صنعت من القטיפه .. وقرأ على قسما وجه مضيئه  
قصة أشجان خفية حفرها الزمن مع ما حفر من الغضون والتجاعيد فى ذلك  
الوجه !

ثم صاح ألبرت فجأة : « هذه أمى قد حضرت »

فالتفت الكونت دى مونت كريستو الى حيث أشار ألبرت ، فرأى  
الكونتيس دى مورسيرف واقفة عند مدخل الصالون ، أمام الباب المواجه  
لذلك الذى دخل منه زوجها . وكانت شاحبة الوجه لا تتحرك .. وحين  
التفت اليها تركت ساعدها الذى كان يستند الى مقبض الباب يسقط الى  
جانبيها !

كانت الكونتييس قد دخلت الحجرة قبل ذلك بدون أن يلحظها أحد .  
ولما نهض الكونت وانحنى لها ردت التحية بغير أن تتكلم .. واذا ذاك قال  
لها الكونت دى مونت كريستو :

— عفوا يا سيدتى ، أرجو ألا تكونى مريضة !

وعندئذ أجابته : « لست مريضة ، وانما هو الانفعال الذى تملكنى فجأة  
وأنا أرى لأول مرة الرجل الذى لولا شهامته لكنا الآن غارقين فى دموعنا  
وأشجاننا ! »

ثم استطردت قائلة وهى تتقدم نحوه بجلال الملكات : « سيدى .. انى  
مدينة لك بحياة ابنى ، ومن أجل هذا أباركك ، وأشكرك على كونك قد  
أتحت لى فرصة الاعراب لك شخصا عن امتنانى القلبى ! »

وانحنى الكونت مرة أخرى ، وقد بدا وجهه أكثر شحوبا من وجهها ،  
ثم قال لها : « سيدتى ، انك وزوجك تبالغان فى تقدير أمر تافه .. فان  
انقاذ رجل ، من أجل نفسه ومن أجل شعور أبيه وعاطفة أمه ، ليس عملا  
كبيرا من أعمال الخير وانما هو واجب عادى بسيط من الواجبات الانسانية ! »

فأجابته الكونتييس دى مورسيرف : « انه لمن حسن حظ ابنى يا سيدى  
أن وجد صديقا مثلك .. وأنا أشكر الله على ذلك »

ثم رفعت عينيه الى السماء وقد تجلى فيهما الامتنان الحار ، بحيث خيل  
الى الكونت أنه لمح فيهما دموعا تلمع .. وهنا اقترب زوجها منها وقال :  
— يا سيدتى .. لقد استأذنت الكونت فى الانصراف ، وأرجو منك أن

تفعل ذلك أيضا ، فان اجتماع المجلس يبدأ فى الساعة الثانية ، والساعة الآن الثالثة ، وعلى أن ألقى خطابا فيه اليوم ! »  
 فأجابته الكونتيس باللهجة نفسها الدالة على التأثر :  
 - اذهب اذن ، وسوف نبذل جهدنا كي ننسى غيابك ،  
 ثم التفتت الى الكونت دى مونت كريستو وقالت له :  
 - ألا تشرفنا بقضاء بقية اليوم معنا ؟  
 فقال : « شكرا لك يا سيدتى على كرمك ، وأرجو قبول اعتذارى من عدم استطاعتي قبول هذه الدعوة ، فقد جئت الى هنا رأسا عقب وصولى الى باريس ، وما زلت أجهل كل شئ عن المنزل الذى سأقطنه ! »  
 فقالت : « اذن .. هل تعد بأن تمنحنا شرف حضورك فى فرصة قريبة ؟ »  
 فأوما الكونت دى مونت كريستو موافقا ، بينما استطردت الكونتيس فقالت : « اذن .. لن أعورك يا سيدى ! »



وعلى أثر ذلك انصرف الكونت الى المنزل الذى اختاره له تابعه « على » فى حى « الشانزليزيه » ، فلم تكد العربة تقف أمام الباب حتى أقبل « على » و « برتوشيو » فأطلا من نافذتها ، ثم انحنى الأخير لسيده احتراماً وقدم له ذراعه ليعينه على النزول ، فقال له الكونت وهو يهبط درجات سلم العربة الثلاث : « أشكرك يا مسيو برتوشيو .. أين مسجل العقود ؟ »  
 فقال برتوشيو : « انه فى انتظار سيدى فى الصالون الصغير ! »  
 وحين دخل الكونت الصالون ابتدر الرجل سائلا : « أنت يا سيدى المسجل المكلف ببيع المنزل الريفى الذى أريد شراءه ؟ .. وهل أعددت عقد البيع ؟ »  
 فقال المسجل : « نعم يا سيدى الكونت ، وهذا هو العقد .. ومد يده بالعقد فتناوله الكونت قائلا : « وأين يقع هذا المنزل ؟ »  
 وقد ألقى الكونت هذا السؤال فى هدوء ينم عن عدم المبالاة ، وهو ينظر الى كل من برتوشيو والمسجل .. فقال الأخير متعجبا : « ماذا ؟ .. ألا يعلم سيدى موقع البيت الذى يشتريه ؟ .. انه فى ( اوتوى ) .. »  
 واذاك شحِب وجه برتوشيو ، بينما وقع الكونت على العقد بسرعة وهو يلقي نظرة على البيانات الخاصة بموقعه وملاكه السابقين ، ثم التفت الى برتوشيو وقال له وهو يشير الى المسجل :  
 - اعط هذا السيد خمسة وخمسين ألف فرنك »  
 ولم يكد الكونت يخلو الى نفسه حتى أخرج من جيبه كتابا مغلقا بقل ففتحه بفتاح كان يحتفظ به حول رقبتة .. وبعد أن قلب محتوياته بضع

لحظات توقف أمام ورقة تحوى بعض البيانات ، فراح يقارن ما فيها بما ورد فى عقد الشراء الموضوع فوق المنضدة ، وهو يتحدث نفسه : « أوتوى ، شارع النافورة رقم ٢٨ ٠٠ انه هو بعينه . والآن هل أعتمد على الاعتراف المنتزع بالتعذيب الدينى أو الجسمانى ؟ على أية حال سوف أعرف كل شيء فى خلال ساعة ! »

وبعد عشرين دقيقة كان الكونت كريستو وبرتوشيو فى طريقهما إلى صاحبة « أوتوى » ، وازداد انفعال الوكيل وهما يقتربان من القرية . وكان المنزل رقم ٢٨ فى أقصى أطرافها ، وقد خلق الظلام على المناظر المحيطة به طابع المناظر المسرحية المصنوعة !

وطرق بروتوشيو الباب وسرعان ما فتح وأطل الحارس منه فقدم له بروتوشيو عقد الشراء قائلا وهو يشير إلى الكونت :

— هذا هو سيدك الجديد !

ثم سأل الكونت الحارس : « ماذا كان اسم سيدك القديم ؟ »

فأجاب : « المركيز دى سانت فيران ، وهو شيخ مسن من أتباع أسرة البوربون الملكية ، وليس له إلا ابنة واحدة متزوجة من المسيو فيلفور الذى كان وكيلًا للنائب العام فى ( نيم ) ثم فى ( فرساي ) ٠٠ »

فقال الكونت : « يخيل إلى أنى سمعت أن هذه الابنة قد ماتت ؟ »

فقال الحارس : « نعم يا سيدى ، لقد ماتت منذ احدى وعشرين سنة . ومنذ ذلك التاريخ لم نر أبابها المسكين سوى ثلاث مرات ! »

— شكرا ، شكرا ٠٠ أعطنى مصباحا

وكف الكونت عن استجواب الرجل ، بعد أن لمح من نظرة وكيله أنه لن يستطيع المضى فى ذلك دون تعريض نفسه لخطر إثارة الريب والشكوك فى نفس الحارس . ثم قال له الحارس : « هل أرافقك يا سيدى ؟ »

فقال : « كلا ! لا ضرورة لذلك ٠٠ سوف يرافقنى بروتوشيو »

وأطاع الوكيل صامتا ، لكن ارتجاف يده التى تحمل المصباح دل على مدى الجهد الذى كلفته إياه طاعة سيده ٠٠ وقال الكونت وهما يدخلان : « أهذا سلم خاص ؟ » هذا بديع ٠٠ أضى لى يا مسيو بروتوشيو وتقدمنى ٠٠ سوف نرى إلى أين يؤدى السلم »

ولم يسع بروتوشيو إلا أنه ينفذ أمر الكونت ، فلما بلغا الحديقة تربث عند الباب الخارجى برهة ثم صاح وهو يضع المصباح عند زاوية الجدار الداخلى : « لا ، لا ، لا ، يا سيدى ٠٠ مستحيل ٠٠ لن أستطيع المضى أكثر من ذلك ! »

وهنا سأل الكونت فى هدوء : « ماذا تعنى ؟ »

فأجاب قائلا : « ينبغى أن توافقتنى يا صاحب الفخامة على أن هذا أمر غير طبيعى ٠٠ أن تشتري المنزل فى أوتوى ، وفى شارع النافورة بالذات ، ورقم ٢٨ دون غيره ٠٠ أوه ، لم لم أصارك بكل شيء ؟ أنا واثق بأنك

ما كنت لتجبرنى على الحضور . لقد رجوت أن يكون البيت الذى اشتريته غير هذا الذى وقعت فيه جريمة القتل ! »

فصاح الكونت وهو يتوقف عن المسير فجأة : « ماذا ؟ » ما هذا الكلام الذى تقول ؟ يا لك من شيطان كورسيكي لعين ! ألا تفكر الا فى المآسى والحرافات ؟ هيا تناول المصباح ودعنا ندخل الحديقة .. لعلك لست خائفا من الاشباح وأنت معي ؟ »

فحمل برتوشيو المصباح وأطاع الأمر .. وحين فتح الباب المفضى الى الحديقة طالعتهما سماء قاتمة يحاول فيها القمر جاهدا أن ينفذ من خلال السحاب .. فأراد الوكيل أن يعطف الى اليسار ، لكن صوت الكونت لاحقه قائلا له :

— كلا .. كلا ! ما جدوى السير فى الممرات ؟ هذا هو بستان جميل ، فلنمض الى الامام !

ثم تقدمه الكونت وواصل السير حتى بلغ أجمة من الاشجار فتوقف .. واذا ذاك عجز الوكيل عن أن يجمع انفعاله فصاح :

— تحرك يا سيدى من مكانك بسرعة ، أتوسل اليك : انك تقف فى البقعة التى سقط فيها بالضبط .. وهما أنت ذا فى وقتك هذه مرتديا هذا المعطف الذى يخفى وجهك تذكرنى بمسيو دي فيلقور : يا للآثيم !

فقال الكونت بلهجة جعلت الرعدة تسرى فى أوصال الوكيل المسكين : « اذن فقد خدعنى الأب بوزونى حين أرسلك الى عقب رحلته فى أنحاء فرنسا سنة ١٨٢٩ ، مزودا بخطاب توصية عدد فيه صفاتك الحميدة .. حسنا ! سوف أكتب الآن الى الأب بوزونى وأحملة مسئولية سوء مسلك مبعوثه .. وسأعرف كل شيء عن جريمة القتل هذه . لكنى أنذرك منذ الآن بأنى حين أقيم ببلد ما أخضع لجميع قوانينه ، ولست أرغب الا أن أضع نفسى تحت رحمة القانون الفرنسى من أجلك ! »

فقال برتوشيو فى برود : « ولكن يا صاحب الفخامة ؟ ألم يذكر لك الأب بوزونى ما تضمنه اعترافى الكامل له فى سجن نيم ؟ ان عبثا جسيما يجثم فوق ضميرى ؟ »

فقال الكونت : « لقد ذكر لى الأب بوزونى انك تصلح وكيلا مثاليا ، وقد حسبت أن جريمتك كانت جريمة سرقة لا غير .. هذا كل ما فى الأمر .. والآن لا بد من أن تكاشفنى بكل شيء ! »



أخذ برتوشيو يرى قصته لكونت بالتفصيل قائلا :  
— ان القصة تبدأ فى سنة ١٨١٥ ، وكان لى أخ أكبر يعمل فى خدمة الأمبراطور . وكان أخى وصديقى فى الوقت نفسه ، تولى تنشئتي كمن

لو كنت ابنه . وفي سنة ١٨١٤ تزوج ، فلما عاد الامبراطور من جزيرة  
البا انخرط أخى هذا فى الجيش ، ثم أصيب بجرح خفيف فى معركة (واترلو)  
وانسحب مع الجيش وراء ( اللوار ) . وذات يوم تلقينا خطابا منه جاء فيه  
أن الجيش تفرق شمله وأنه سوف يعود من طريق ( نيم ) ، ثم طلب الى أن  
أترك له ما أملك من نقود عند صاحب حانة من حانات ( نيم ) كانت لى معه  
معاملات تتصل بالتهريب . . . ولما كنت أحب أخى حبا قويا فقد رأيت أن  
أحمل النقود اليه بنفسى ، وفى ذلك الوقت حدثت تلك المذابح الشهيرة فى  
جنوب فرنسا ، فإن ثلاثة من قطاع الطرق هم : ترستايون ، وتروفيعى ،  
وجرافان ، أخذوا على عاتقهم أن يذبخوا علانية كل من يتوهمون أنه من  
أتباع بوناپرت . فلما دخلت ( نيم ) خضت فى بحار من الدم حتى بلغت  
منزل صديقى صاحب الحانة ، ومنه علمت أن أخى وصل فى الليلة السابقة ،  
وأنه ذبح غيلة على باب الدار التى جاء يلتمس ضيافتها !

وبذلت كل ما فى وسعى كى أعرف القتلة ، لكن أحدا لم يجرؤ على  
مكاشفتى بأسمائهم ، لفرط الذعر الذى أشاعوه فى المدينة . . . فلم أجد  
مفرا من أن ألبأ الى وكيل النائب العام ، مسيو دى فيلفور . . . وقد تلقاني  
يومها قائلا : « لكل ثورة فواجعها ، وقد كان أخوك واحدا من ضحاياها . .  
أنه سوء حظ والحكومة ليست مدينة لأسرته بشئ . . . ان ما حدث أمر  
طبيعى ، يتفق مع قانون الاخذ بالثأر . . . فاذهب الآن فوراً والا أمرت  
بطرده ! »

نظرت اليه لأرى هل هناك جدوى أو أمل يرجى من متابعة التوسل  
اليه ، لكنه كان رجلا ذا قلب حجرى ، فدنوت منه ، وقلت بصوت خافت :  
« حسنا ! . . اذن دعنى أخبرك بشئ واحد : انى سوف أقتلك ، وأننى منذ  
هذه اللحظة أعلن الثأر ضدك ، فحاول حماية نفسك بكل وسيلة . . فحين  
نلتقى فى المرة القادمة تكون ساعتك قد حانت ! » . . وقبل أن يفيق الرجل  
من ذهوله فتحت الباب وغادرت الحجرة !

ولبثت بعد ذلك ثلاثة أشهر وأنا أراقب مسيو دى فيلفور عن كثب ،  
حتى اكتشفت أنه يذهب خلسة الى ( أوتوى ) ، فتبعته حتى رأيته يدخل  
هذا البيت الذى نحن فيه الآن . . . وفى ذات مساء ، بينما أنا متربص له  
وراء هذا السور رأيت امرأة حسناء فى نحو التاسعة عشرة من عمرها تتمشى  
فى الحديقة وحدها ، وقد ارتدت ثوبا فضفاضا من المسلمين يشى بأنها تنتظر  
مولودا فى القريب . . . وأدركت أنها تنتظر قدوم دى فيلفور . وبعد لحظات  
فتح الباب الصغير ودخل منه رجل تلقته المرأة معانقة فى لهفة ، ثم ابتعدا  
نحو نهاية الحديقة . . . ولم يكن الرجل سوى مسيو دى فيلفور

وعمدت بعد ذلك الى استئجار غرفة تطل على الشارع الذى يقع فيه  
باب الحديقة . . . وبعد ثلاثة أيام ، حوالى الساعة السابعة مساء ، رأيت  
دى فيلفور مقبلا وقد تدثر بعباءة ، ثم فتح الباب الصغير المفضى الى الحديقة

ودخل منه ثم أغلقه وراءه .. فهبطت من غرفتي أعدو الى حيث اختبأت في أجمة مشرفة على الممر الذي لابد أن يجتازه غريمي عند انصرافه .. ولم البت قليلا حتى سمعت تأوهات وصيحات مكتومة ، وحين دقت الساعة معلنة انتصاف الليل فتح باب الحديقة الصغير وخرج منه دى فيلفور ، ثم اقترب من الأجمة التي كمننت وراءها ، وحين اطمأن الى أن أحدا لا يراه انحنى على الأرض فوضع صندوقا صغيرا كان يخفيه في عبائه ، ثم بدأ يحفر حفرة تتسع له .. وحين أتمها وبدأ يسوى الأرض كما كانت انقضضت أنا عليه وأعمدت سكينى في صدره وأنا أهمس له : « أنا جيوفانى برتوشيو .. أقتلك أخذا بشار أخى ، وأخذ كنزك لأرملته » .. وهكذا ترى أن انتقامى جاء أوفى مما كنت أؤمل ! .. ولست أدري اذا كان قد سمع ووعى هذه الكلمات أم لا ، فقد سقط دون أن يطلق صرخة واحدة . وبعد لحظة كنت قد أخرجت الصندوق من مخبئه ثم هرعت الى ضفة النهر حيث فتحت به سكينى عنوة . فإذا فى داخله طفل حديث عهد بالولادة مدثر بثوب من التيل الفاخر يطلق صيحات ضعيفة واهنة !

.. وكنت أعلم أن فى باريس ملجأ لأمثال هذا اللقيط ، فمزقت ثوب الطفل - وكان يحمل حرفين يرمان لاسم ما - الى قسمين ، كل قسم يحمل حرفا منهما ، وتركت أحد القسمين حول جسم الطفل وأخذت القسم الثانى معى .. ثم ضغطت جرس باب الملجأ وأسهرت بالفرار .. وحين وصلت فى اليوم التالى الى ( رجليانو ) حيث تقطن أرملة أخى ( اسانتا ) قلت لها : ( اطمئنى يا أختاه ، فلقد انتقمتم لأخى ) .. ثم سردت عليها تفصيلات القصة ، فلما انتهيت منها قالت لى : « كان ينبغى أن تحضر معك ذلك الطفل ، كي نكون له بدلا من والديه اللذين حرم منهما ، ونطلق عليه اسم ( بنديتو ) ولعل الله كان يباركنا لهذا » . فأعطيتهما نصف ثوب الطفل كي تسترده اذا صرنا فى حال من اليسر تسمح لنا بتربيته !

وهنا قاطعه الكونت دى مونت كريستو قائلا : « ما هما الحرفان اللذان كانا على الثوب ؟ »

فقال : « هما حرفا الهاء ، والنون تعلوهما شارة لقب البارون ! .. وعلى أثر ذلك عدت الى تجارة التهريب ، مدفوعا بدافعين : الانفاق على الأرملة المسكينة ، واغراق ذكريات الماضى التى تطاردنى ! .. وحين راجت أحوالنا عدت يوما من احدى مغامراتى لأجد الأرملة قد استردت الطفل ، وكان قد بلغ الشهر السابع أو الثامن من عمره !

« وكان ( بنديتو ) طفلا جميلا ، ذا عينين واسعتين زرقاوين وشعر ذهبي خفيف ، وابتسامة تنم عن شيء من الحب والدعاء .. وحين كبر صدقت فراستى فى خلقه ، وطبيعته الشريرة ، فلم يبلغ الحادية عشرة حتى صار يعاشر الفتيان الاغرار الذين فى الثامنة عشرة أو العشرين ، والذين اشتهروا

فى كورسيكا بشروهم وفساد خلقهم ، حتى لقد صاروا مطاردين من البوليس ! ..

واستجابة لنصيحتى أبت الأرملة المسكينة أن تدعى لمطالب بندينسو الذى كان يرهقها بطلب النقود كل حين لاشباع ميوله الشريرة .. وذات ليلة أحضر معه الى البيت اثنين من رفاقه الأندال وهددوا المرأة بالتعذيب اذا لم تسلمهم ما تملك من نقود ، فلما رفضت ساقوها الى قرب الموقد كي يجبروها على الاعتراف بمكان النقود .. وخلال الصراع امتدت النار الى ثوبها فاضطروا الى تركها خوفا على أنفسهم من الاحتراق ..

وفى الصباح التالى استبطات جارتها ، زوجة فاسيليو ، ظهورها خارج غرفتها ، فاستنجدت بالسلطات التى حطمت الباب .. ووجدت ( اسانتا ) التعسة ما زالت على قيد الحياة ، رغم الحروق الفظيعة التى أصابتها .. فروت لهم قبل موتها حقيقة ما حدث ، ووجدت أدراج البيت كلها محطمة ومحتوياتها مبعثرة والنقود كلها مسروقة !

ومنذ ذلك اليوم لم يظهر بنديتو مرة أخرى فى ( رجليانو ) .. ولا سمعت أنا بدورى شيئا عن مصيره أو أحواله ! «  
وهنا أخفى برتوشيو وجهه بين يديه ، بينما رمقه الكونت بنظرة غامضة !





## جوادان أصيلان

في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي لوصول الكونت دي مونت كريستو الى باريس ، وقفت بباب منزله عربية فاخرة يجرها جوادان انجليزيان مطهمان واطل منها شخص يرتدي سترة زرقاء ، وصداراً ابيض تتدلى من احد جيوبه سلسلة ذهبية ثمينة ، وينظفوناً بنى اللون .. وكان شعره الاسود يتدلى على جبهته حتى كاد يصل الى حاجبيه .. وكان الرجل في حوالى الخمسين من عمره وان حرص هو على أن يبدو في الأربعين ! .. وانحنى الرجل على حاجز العربية الذي رسمت عليه شارة البارونية ، ثم طلب من تابعه أن يسأل : هل الكونت دي مونت كريستو في الداخل أم لا .. فقبل للتابع : « ان صاحب الفخامة لا يستقبل زوارا اليوم ! » .. وعندئذ قال هذا لمحدثه : « اذن اليك بطاقة سيدى البارون دانجلر فلتحملها الى الكونت وتخبره أن سيدى برغم عجلته لحضور اجتماع المجلس أبى الا أن يعرج في طريقه لزيارة الكونت ! »

وعندئذ اضطجع البارون دانجلر في عربته الى الخلف وقال لحوذي بصوت يمكن سماعه من الشارع : « الى مجلس النواب »

اما الكونت الذى علم بالزيارة في حينها ، فقد راح من وراء خصاص نافذته يرقب البارون بدقة بواسطة منظار مكبر .. ثم دعا اليه وكيله برتوشيو وابتدره قائلاً : « انك ولا شك قد رأيت الجياد التى وقفت أمام الباب بضع دقائق ؟ فهل لك أن توضح لى كيف غاب عنك هذان الجوادان اللذان هما في روعة جيادى ، حين أوصيتك أن تتابع لى أحسن جياد باريس ؟

فقال برتوشيو : « اؤكد لفخامتك ان الجوادين اللذين تحدثت عنهما لم يكونا معروضين للبيع حين اشتريت لك جيادك ! »

فهل الكونت دي مونت كريستو كتفيه وقال : « حسناً ! .. اذن فلتعرض على البارون دانجلر ضعف ثمنهما ، فان الرجل المالى لا يضيع أبداً فرصة مضاعفة رأس ماله ! »

وما كادت عقارب الساعة تشير الى الساعة الخامسة حتى دق الكونت الجرس ثلاث مرات ، ثم هبط السلم الى باب قصره ، فرأى عربته وقد اسرج اليها الجوادان بعينهما اللذان أبدى إعجابه بهما منذ ساعات وهما يجران عربية البارون دانجلر !

وقال الكونت لخوذييه : « الى دار البارون دانجلر ، شارع لاشوسيه دانتان » ..

وقال البارون وهو يتحنى ترحيبا بزائره :

— اسمع لى ان اخبرك يا كونت بانى قد تلقيت خطاب نصع من بنك ( تومسون وفرنش ) فى روما .. لكنى اعترف بانى لم افهم مدلوله بالضبط ، فهو يعطى ( الكونت دى مونت كريستو ) حسابا جاريا غير محدد على مؤسستنا !

فسأله الكونت فى هدوء : « ماذا يتعذر عليك فهمه فى ذلك ؟ »

فاجاب دانجلر بابتسامة شبه ساخرة : « ان بنك تومسون وفرنش مقتدر ماليا ، بينما كلمة ( حساب غير محدد ) تدل فى الامور المالية على معنى غامض ! »

— اتعنى ان تومسون وفرنش لا يجعلان حدودا لالتزاماتهما ، بينما التزامات مسيو دانجلر لها حدودها ؟ !

فقال المالى الكبير وهو ينفخ اوداجه زهوا : « سيدى ، ان حدود مواردى لم تكن يوما موضع شك أو تساؤل »

فقال الكونت فى برود : « يبدو لى انى اول من سيضعها هذا الموضع ! »

وعندئذ التى دانجلر بنفسه فى مقعده الى الراء ، وقال بلهجة الغرور والاعتداد بالثراء : « أرجو منك الا تتردد فى الاعراب عن رقبائك .. فعندئذ ستقتنع ان موارد بنك دانجلر — مهما تكن محدودة — لا تزال قديره على ان تواجه أجسم المطالب .. ولو أردت مليون فرنك ! »

فقال الكونت فى هدوء : « ما اظننى يا سيدى أستطيع ان اكتفى بمليون فرنك ! ولو ان مبلغا قافها كهذا يكفينى لما كلفت نفسى عناء فتح حساب جار ! »

ثم اخرج الكونت حافظته وسحب منها شيكين على الخزانه قيمة كل منهما نصف مليون فرنك ، يدفعان لحاملهما .. ففغر دانجلر فاه ولم يجر جوابا ، بينما استطرد الكونت : « كن صريحا اذن واعترف بانك لا تولى مؤسسة تومسون وفرنش ثقتك الكاملة ، فانى قد افهم هذا .. واحتياطا لمثل هذا الاحتمال رأيت — برغم جهلى بالأمور المالية — ان اتخذ بعض الضمانات .. فهذان مثلا خطابان مشابهان تماما لذلك الذى تلقيته ، أحدهما من بنك ( ارشتاين واسكيلس ) فى فينا ، الى البارون روتشيلد .. والآخر من بنك ( بارنج ) فى لندن الى مسيو لافاييت .. والان ما عليك يا سيدى الا أن تنطق بكلمة فأجيبك كل مشقة وخرج بتقديم خطاب ضمانى الى احدى هاتين المؤسستين .. ! »

ونفض دانجلر بعد أن استوثق من صحة الوثائق التى يحملها الكونت ، وانحنى امام الكونت كأنما يحيى قوة الذهب الممثلة فى شخصه

فقال الكونت بلهجة ودية لطيفة : « على كل حال اعتقد ان مؤسستك لا يمكن أن يشغل عليها مثل هذه المبالغ التافهة .. واذن ففي وسعك ان تعطيني بعض المال ، اليس كذلك ؟ .. ويمكننا ان نحدد مبلغا يكفي النفقات التقريبية للعام الاول .. وليكن مثلا ستة ملايين من الفرنكات ! »  
فقال دانجلر وهو يشهق فزعا : « ستة ملايين ؟ ! »

واستطرد الكونت فقال في لهجة تدل على عدم المبالاة : « اذا احوجنى الامر الى أكثر من هذا المبلغ ففي وسعي ان اسحب شيكات عليك .. لكن نيتي حاليا تنصرف الى عدم البقاء في فرنسا أكثر من عام .. واجو ان تتكرم فترسل الى غدا صباحا نصف مليون فرنك ، وسوف اكون في داري حتى الظهر .. وفي حالة خروجي سأتوك ايضا بالمبلغ مع وكيلى ! »

فقال دانجلر : « سيكون المبلغ الذي تطلبه عند وكيلك في الساعة العاشرة من صباح غد يا عزيزي الكونت .. والآن هل تسمح لى بان اقدمك للبارونة دانجلر زوجتى ؟ اغفر لى لهفتى يا عزيزي الكونت ، فان عميلا مثلك هو في مركز فرد من افراد الأسرة ! »

فاوما الكونت موافقا ، ثم مشى خلف البارون عبر عدد من الحجرات والاجنحة المفروشة بأفخر الأثاث الذي يوحى بالثراء الفاحش .. حتى بلغا مخدع البارونة ، وكانت هذه ما تزال تحتفظ بجمالها الصارخ برغم تجاوزها ريعان الشباب ، وقد جلست الى البيانو ، بينما وقف (لوسيان دوبراي ) امام منضدة صغيرة يقلب صفحات (البوم ) صور .. فقال لها البارون :

— اسمحي لى بان اقدم لك الكونت دى مونت كريستو ، لقد اوصانى به توصية حارة وكلائي في رومة جميعا . وسأكتفى بذكر حقيقة واحدة من شأنها ان تجعل نساء باريس بلا استثناء ينشدن التفاته .. وهذه الحقيقة هي انه قد جاء ليقضى في باريس عاما ، وسينفق خلاله ستة ملايين من الفرنكات ، وهذا يعنى سلسلة من الجفلات والمراقص والمآدب لا نهاية لها ، وأرجو الا ينسانا الكونت فيها، كما نعتزم نحن ان نذكره في حفلاتنا المتواضعة !  
فقال البارونة تخاطب الكونت : « لقد تعذرت لزيارتك لباريس اسوا وقت ، فهى في الصيف لا تطاق .. والملاهي التي بقيت لنا فيها تنحصر في حفلات السباق .. في حلبتي ( شون دى مارس ) و ( شاتورى ) .. فهل نعتزم اشراك بعض جيادك في هذا السباق يا كونت ؟ »

— سأفعل ما يفعله غيرى في باريس يا سيدتى ، اذا اسعدنى الحظ فوجدت من يرشدنى الى ضروب اللهو المختلفة !

وفي هذه اللحظة دخلت المخدع وصيفة البارونة المفضلة ، واقتربت من سيدتها وهمست في أذنها ببضيع عبارات ، شحبت على اثرها وجه البارونة ، فاستدارت نحو زوجها متسائلة في لهفة :

— اهلا صحيح ؟ .. ان وصيفتى أبلغتنى ان سائق عربتى فوجيء وهو

يهم بأعدادها الآن بأن جوادها أبدا بدون علمه .. فكيف كان ذلك ؟ !  
فأجابها زوجها : « كوني لطيفة يا سيدتي واصفي الى »

لكنها انفجرت فيه صائحة : « أوه نعم ، سوف أصفي اليك يا سيدتي ،  
فاني لقي فضول شديد الى سماع الايضاح الذي ستكرم به علي .. أن  
بين الجياد العشرة التي تحتويها حظائرك جوادين يخصسانني ، وهما من  
أحسن الجياد الموجودة في باريس كلها .. وقد وعدت مدام دي فيلفور بأن  
أعيرها عربتي كي تنتزه بها غدا في غابة بولونيا ، فلما ذهب الخوذي ليعد  
العربة اكتشف الامر .. ولا شك أنك ضحيت الجوادين بغية الحصول على  
بضعة آلاف أخرى من الفرنكات الصغيرة . أوه ، يا لها من فئة بغیضة ، فئة  
هؤلاء المضارين المحترفين ! »

فقال لها دانجلز : « سيدتي ، ان الجوادين لم يكونا بالهدوء الذي يناسبك .  
واقسم بشرقي أمام الكونت انني لو لم أتصرف فيهما منذ ساعات لسرني  
أن اهديهما اليه .. فهما لا يصلحان الا لشاب في مقتبل العمر ، وقد كنت  
متلهفا الى الخلاص منهما ! »

فقال الكونت : « شكرا لك يا عزيزي البارون ، لكنني في الواقع قد ابتعت  
لعربتي اليوم جوادين رائعين يشمن لا أذكر انه كبير .. فهل للمسيو دبراي  
أن يصارحنني بزايه فيهما ، انه خبير في مثل هذه الامور كما سمعت ! »

وهنا اقترب دبراي من النافذة ، ليطل منها على الجوادين ، بينما اقترب  
دانجلز من زوجته وهمس لها : « لم أستطع أن أصارحك أمام هؤلاء السادة  
بسبب تصرفي في الجوادين ، لقد أرسل شخص مجنون أو أحمق وكيله  
ليشتريهما بأى ثمن .. فربحت فيهما ستة عشر ألف فرنك ! .. لا تغضبى ،  
فسوف أعطيك ربع هذا الربح تفعلين به ما تشائين ، كما اني سأعطي أوجيني  
الغى فرنك .. أفلم اكن محقا بعد هذا في بيع الجوادين ؟ »

وحذت البارونة زوجها بنظرة احتقار بالغة .. بينما صاح دبراي  
فجأة : « يا الهى ! .. لا يمكن أن أكون مخطئا . ان الجوادين اللذين نتحدث  
عنهما ، مسرجان الى عربة الكونت ! »

فهمت البارونة وهي تهرع نحو النافذة : « أتعنى جوادى العزيزين ؟ »  
ثم أردفت بعد أن رأتها : « حقا انهما جواداي »

فصاح الكونت متكلما الدهشة بدوره : « عجباً ! .. يا للمصادفة ! »  
وشرد البارون وهو يهين نفسه للمشادة المقبلة بينه وبين زوجته ،  
التي تم حاجبها عن اقتراب العاصفة .. واذا ذلك تذكر فجأة انه مرتبط  
بموعد سابق ! .. كما انحنى الكونت دي مونت كريستو مستأذنا في الانصراف  
وخرج تاركا دانجلز يواجه تائب زوجته ! ..

وبعد ساعتين تلقت البارونة رسالة رقيقة من الكونت يرجو فيها ان تقبل  
جوادها العزيزين هدية منه ، قائلا : « لست استطيع أن أتحمل فكرة

اتدماجي في المجتمع الباريسي الرفيع اذا اشتريت أبهة موكبي بدموع  
سيده حسناء !»



... وفي اليوم التالي ، حوالى الساعة الثالثة ، استدعى الكونت خادمه  
النوبي « على » بدقة واحدة للجرس ، فلما مثل في حضرته ابتدره بقوله :

« لقد طالما حدثتني عن براعتك الخارقة في رمي الأنشوجة . وبعد قليل  
سوف تمر أمام البيت بأقصى سرعة عربية يجرها الجوادان اللذان رأيتهما في  
عربتي أمس . .. والآن أريدك أن توقف هذين الجوادين أمام بابي ولو كلفك  
ذلك تعريض حياتك ذاتها للخطر ! »

.. فهبط « على » الى الطريق ، ورسم خطا مستقيما على الرصيف  
عند مدخل البيت تماما ، ثم أشار للكونت نحوه فعاد هذا الى الطابق الثاني  
من المنزل واثقا من نجاح خطته !

وحين اقتربت الساعة الخامسة سمع صوت مجلات عربية تقترب بسرعة ،  
ثم ظهرت العربية على الفور يجرها جوادان جاحخان حاول الخوذي المدعور أن  
يحد من سرعتهم الخفيفة ، ولكن دون جدوى ! .. وكانت في داخل العربية  
امراة حسناء وطفل في السابعة أو الثامنة وقد تغافقا بقوة وأعجزهما الرعب  
حتى عن اطلاق أية صرخة ! ..

وفجأة أخرج « على » الأنشوجة من جيبه ، وألقاها بحيث اقتنصت  
الساقين الأماميتين للجواد القريب ، ثم جذبه وراءه في عنف بالغ عدة خطوات  
قبل أن يسقط الجواد على « العريش » فيقصمه ، وبذلك يعوق الجواد  
الأخر عن متابعة عدوه !

وانتهز الخوذي هذه الفرصة الفريدة فقفز من فوق مقعده لينجو بنفسه ،  
بينما أمسك على بخياشيم الجواد الثاني وضغطها بقبضته الحديدية حتى  
خر الجواد بجانب زميله وهو يتلوى من الألم . .. وقد حدث ذلك كله في  
ثوان معدودات ، لكنها كانت كافية لأن يخرج أصحاب الدور القريبة  
وخدمهم ليروا ما هناك ، وسرعان ما فتح الخوذي باب العربية وأخرج راكبها  
التي كانت إحدى يديها متقلصة على الوسائد بينما يدها الأخرى تضم الى  
صدرها ولدها الذي فقد رشده !

وتقدم الكونت دي مونت كريستو فحمل المرأة وابنها الى صالونه حيث  
أرقدهما فوق إحدى الأرائك المريحة وهو يقول

« استريحى يا سيدتى ، فقد زال كل خطر !

فرفعت المرأة عينها لدى سماعها هذه الكلمات ورمقته بنظرة أبلغ  
تعبرا من أى رجاء ، وهى تشير الى ابنها الذي ما زال غائبا عن الوعي ...  
فقال الكونت وهو يفحص الصبي بعناية :

— انى اقدر سبب انزعاجك يا سيدتى ، لكنى اؤكد لك ان ليس ثمة داع للقلق ، فما اغماؤه الا نتيجة طبيعية للرعب ، وسوف يفيق بعد قليل ! »  
فسألته : « انت واثق من أنك لا تقول ذلك كى تسكن روعى وتهدىء مخاوفى ؟ ! »

ثم انحنى على ولدها وهتفت به : « يا حبيبى ادوار ، تكلم .. تحدث الى امك ، افتح عينيك الغاليتين وانظر الى مرة اخرى ! »  
وعادت فالتفتت الى الكونت وقالت : « سيدى .. ارجو ان ترسل فى طلب طبيب .. انى لا بذل كل ثروتى فى سبيل انقاذ حياة ولدى ! »

فأجابها الكونت بابتسامة هادئة وحركة لطيفة من يده ، ثم اشار عليها بأن تنحى مخاوفها جانبا .. وفتح صندوقا صغيرا كان على قيد خطوة منه وأخرج منه قنينة صغيرة من الزجاج المغلف بالذهب تحوى سائلا احمر فى لون الدم ، وسكب قطرة واحدة منه على شفتى الصبى الذى كان جامدا كالتمثال ، فسرعان ما فتح عينيه ونظر مجملقا فيما حوله .. فكادت الام تجن فرحا ، وقالت تلوم نفسها وقد هدأت مخاوفها :

— ان فضولى التمس هو المسؤول عن ذلك كله .. لقد سمعت باريس بأسرها تطنب فى امتداح جمال جوادى البارونة دانجلر فخطر لى أن ارى بنفسى هل يستحقان كل ذلك الاطراء .. هل سيدى يعرف البارونة دانجلر ؟  
فقال الكونت : « نعم يا سيدتى ، وان مما يزيد فى سعادتى بنجاتك من الخطر الذى كان يتهددك انى كنت بلا قصد منى سبب هذا الخطر الذى تعرضت له . فقد ابتعت أمس هذين الجوادين من البارون ، ولكنى حين تبينت مبلغ اسف البارونة عليهما أعدتهما اليها راجيا ان تتكرم بقبولهما هدية منى ! »

فقالت له : « اذن فانت الكونت دى مونت كريستو ، الذى حدثنى عنه (هرمين ) كثيرا ؟ »

فقال : « لقد صدقت فراستك يا سيدتى ! »

فقالت : « وأنا مدام هيلوىز دى فيلفور .. سيكون زوجى شاكرا لك حين يقف على نبا انقاذك لزوجته وابنه ! .. انه سيظل لدينا لك بحياتنا ، فلولا شهامة خادمك الباسل لكان كل منا الآن فى عداد الأموات ! »

وكان فيلفور قد شفى من اصابته بسكين برتوشيو الذى ظن أنه قتله وفى تلك الليلة سهرت باريس بأسرها تتحدث عن هذه المغامرة ، فقد رواها البرت لأمه ، وقص « شانو رينو » نباها فى نادى الجوكى ، وسرد « دبراى » تفصيلاتها الكاملة فى صالون الوزير .. كما خصص « بوشان » عشرين سطرا من صحيفته للاشادة بشجاعة الكونت وشهامته ، واعتباره يطل الساعة فى انظار نساء الطبقة الارستقراطية فى باريس !

## المنقذ المجهول

استقل الكونت دى مونت كريستو عربته فى اليوم التالى الى بيت جميل يقع فى شارع ميلادى - رقم ٧ - حيث دعى الى زيارة مكسميليان موريل ، ابن ولى نعمته القديم صاحب السفينة « فرعون »

ولم يكده يدخل البيت حتى مد الضابط الشاب يده يصافح بها الكونت فى حرارة ، قائلا : « هيا بنا - - ساكون لك بمثابة الدليل - - ان أختى فى الحديقة تقطع الورود الذابلة ، وزوجها يقرأ الصحف على بعد ست خطوات منها ، فحيثما تكون مدام « هريول » يوجد مسيو « ايمانويل » دائما داخل دائرة لا يزيد قطرها على أربعة أمتار !

ولما دخلا الحديقة رأى الكونت هناك شابة فى نحو العشرين أو الخامسة والعشرين من عمرها ، ترتدى ثوبا حريريا من ثياب الصباح ، وما سمعت وقع خطاهما حتى رفعت رأسها عن ورودها متطلعة الى القادمين ، وكانت هى « جولى » ، التى أضحت تدعى بعد زواجها « مدام ايمانويل هريول » - - وقالت للضيف الكبير :

- آه يا سيدى ! - - انها لخيانة من أخى أن يحضر على هذا النحو ، بلا اخطار سابق - - لكنه لم يقم يوما أى حساب لـأخته المسكينة - - أرجو أن تسمح لى بأن أتركك لبضع دقائق !

وقبل أن تنتظر جوابا اختفت وراء أجمة من الاشجار ، ثم أسرعته الى البيت من طريق ممر جانبي - - بينما قال مونت كريستو لأخيها :

- اننى لشديد الأسف اذ أرى انى أسبب لأفراد المنزل انزعاجا كبيرا ! فقال مكسميليان ضاحكا : « أنظر هناك ، هذا زوجها يبدل سترته بأخرى - - أؤكد لك أنك معروف جيدا فى شارع ميلادى ! »

فقال الكونت كأنما يحدث نفسه : « يبدو أن أسرتك من الأسر السعيدة ؟ »

فقال الضابط : « بلا شك ، اذ لا ينقصها شئ من مقومات السعادة ، فأفرادها يستمتعون بالشباب والمرح ، وكل منهم شديد التعلق بالآخر ، وبفضل إيرادهم البالغ خمسة وعشرين ألف فرنك فى السنة يحسون أنهم فى غنى روتشيلد ! »

وقال الكونت دى مونت كريستو بلهجة عذبة رقيقة وقعت من سمع مكسميليان موقع صوت الأب البار :

— مع ذلك فإن هذا المبلغ ليس كبيرا ، وهم لن يقنعوا به .. هل زوج  
أختك محام ، أم طبيب ؟

فقال : « كان تاجرا ، وقد خلف أبي المسكين في تجارته .. ذلك أن  
مسيو موريل عند وفاته ترك نصف مليون فرنك قسمت بالتساوي بين أختي  
وبيني ، فقد كنا ولديه الوحيدين . أما زوج أختي — الذي لم يكن يملك  
عند زواجه منها غير ميراثه النبيل من نزاهة اليد وكفاءة الذهن والسمعة  
النظيفة — فقد أراد أن يكون له مال لا يقل عن ارث زوجته ، فراح يكد  
ويجتهد حتى جمع في خلال ست سنوات ربع مليون فرنك بمعاونة زوجته  
التي شاركته كفاحه وتعبه .. وقد ضجت مارسيليا بأسرها بالثناء على  
جهادهما المشترك .. وأخيرا جاء أمانويل ذات يوم يقول لزوجته وقد فرغت  
من مراجعة الحسابات :

— لقد سلمني الوكيل منذ برهة المائة فرنك الأخيرة التي يكتمل لنا بها  
مبلغ الربع مليون فرنك الذي حددناه ثروة لنا ..

فهل تتمتعين بهذه الثروة الصغيرة التي ستكون عمادنا للمستقبل ؟  
أصغى إلى ، أن مؤسستنا تتداول أعمالا تبلغ المليون فرنك سنويا ، يصيبنا  
منها دخل قدره أربعون ألفا .. وفي استطاعتنا إذا أردنا أن نبيع تجارتنا  
في أية ساعة .. فقد تلقيت خطابا من مسيو ( ديولواي ) يعرض فيه أن  
يشترينا بثلاثمائة ألف فرنك ، فماذا ترين ؟

فأجابته أختي مؤكدة له أن مؤسسة موريل لا ينبغي أن يتولاها غير فرد  
من أسرة موريل .. وأن ثلاثمائة ألف فرنك لا تساوي احتفاظها باسم  
أبيها وحمايته من شروخ الثروة الحرام أو الإفلاس !

« فقال لها أمانويل « هذا ما رأيته ، لكنني أردت أن أعرف رأيك أنت  
.. على اني أقترح أن نصفى مؤسستنا ونكتفي بالإيراد الذي يجلبه لنا  
رأس المال ،

« وقد اتفقا على هذا ، وكانت الساعة وقتئذ الثالثة . وبعد ربع ساعة  
دخل تاجر ليؤمن على سفينتين له لدى المؤسسة ، الأمر الذي كان يدر  
عليهما ربحا قدره خمسة عشر ألف فرنك ، فقال له أمانويل : ( لقد أغلقنا  
مكاتبنا وصفيينا أعمالنا منذ ربع ساعة فقط ! )

« ومنذ ذلك التاريخ قنعت أختي وزوجها بإيرادهما البالغ خمسة وعشرين  
ألف فرنك في السنة !

لم يكد مكسملين يفرغ من قصته ، التي أوهفت مشاعر الكونت كريستو  
من فرط ما نمت عن نبيل وقناعة ، حتى أقبلت جولي وأمانويل ، فقال  
الكونت يخاطب الزوجة :

— اغفري لي الانفعال الذي يبدو على يا سيدتي ، وقد يدهشك هذا أنت  
التي ألفت السعادة التي ترفرف على هذا البيت . لكن منظر البشر والقناعة



على منحيا انسان لا شك انها منظر جديد بالنسبة الى ، بحيث لن امل النظر اليه على وجهك ووجه زوجك ! »

فأجابت جولي : « نحن سعداء حقا يا سيدي ، لكننا عرفنا أيضا التعاسة فترة من الزمن ، بل قل بين الناس من ذاقوا مثل الآلام المريرة التي ذقناها ! »

وهنا بدت على وجه الكونت علامات الفضول ، بينما أردف مكسميليان : « ان هذا يقضى بنا الى صورة متواضعة من تاريخ الأسرة قد لا تعنيك كثيرا أنت الذي ألفت ألا ترى غير مباحج الاثرياء والبارزين وحدهم .. لكن الواقع أننا قاسينا الكثير من الاحزان المرة »

فقال الكونت دي مونت كريستو في لهجة تساؤل : « عسى أن يكون الله قد شفى أحزانكم بفضل ورحمته كما يصنع لجميع المعذبين الصابرين ؟ » فأجابت جولي : « نعم يا سيدي الكونت ، ليس بسعدنا الا أن نعترف بذلك ، فلقد صنع الله من أجلنا ما لا يصنعه الا لحاصته المختارين فأرسل إلينا أحد ملائكة الرحمة لانقاذنا مما كنا نعانيه ! »

وهنا تردد خد الكونت فصارا في لون القرمز ، ثم سعل كئي يجد مبررا لوضع منديله على فمه .. بينما أردف أمانويل قائلا : « ان أولئك الذين يولدون في الثراء ويملكون وسائل اشباع جميع رغباتهم لا يعرفون كيف تكون السعادة الحقيقية في الحياة ، أما الذين عاشوا وسط أمواج الحياة وأعاصيرها فهؤلاء وحدهم يقدرون قيمة الجو الذي يسوده الصفاء والهدوء ! » ونهض الكونت دون أن يجيب بكلمة ، خشية أن يفضح صوته مدى انفعاله ، ثم راح يذرع الحجرة ذاهبا أيما في خطوات بطيئة ، فقال له مكسميليان وهو يتبعه بعينه : « ان أقوالنا تدهشك ، أليس كذلك ؟ »

فوضع الكونت إحدى يديه على قلبه ليهدئ من ثأثرته ، وأشار باليد الأخرى الى غطاء من البللور تحته كيس من الحرير موضوع فوق وسادة من القטיפ السوداء وقال : « كلا يا سيدي ! .. وانما كنت أتأمل هذا الكيس البذي يحوى ورقة في أحد طرفيه ، وماسة كبيرة في طرفه الآخر ! » فقال مكسميليان وقد ارتسمت على وجهه علامات الجذ : « سيدي الكونت .. هذه هي أثمن كنوزنا العائلية ! »

فقال الكونت : « حقا .. ان هذه الماسة تبدو ثمينة جدا .. » وهنا تدخلت جولي في الحديث قائلة : « ان أخي لا يعني قيمة هذه الماسة - برغم أنها قدرت بمائة ألف ريال - ولكنني أعني أن الماسة التي يحتملها هذا الكيس هي تذكاري ( الماسة ) الذي حدثتني عن الابن ! »

فقال الكونت : « هو ينحني لهما .. عفوا يا سيدي .. انني لا أفهم شيئا من هذا . ولست أطلب الوقوف على خفايا أمره ، فليس من عادتي أن أتطفل على أسرار عائلية لا تخصني ! »

فقلت جولى متحمسة : « ليس هذا تطفلا يا سيدى ٠٠ كلا ! بل انه ليسعدنا أن تعطينا الفرصة كي نفيض فى هذا الموضوع ٠ ولو كنا نبغى إخفاء الصنيع النبيل الذى يرمز اليه هذا الكيس لما عرضناه للعيان هكذا ! أوه ٠٠ ! ليتنا نستطيع أن نروى القصة لكل انسان وفى كل مكان ، لعل هذا يوصلنا الى معرفة ذلك المحسن المجهول ! »

فتساءل الكونت فى صوت أشبه بالمختنق : « حقا ؟ »

وسارع مكسمليان الى رفع الغطاء البللورى عن الكيس الحريري ثم لشمه فى احترام وتوقير وقال للكونت : « سيدى ٠٠ ان هذا الكيس قد لمس يد الرجل الذى أنقذ أبى من الانتحار ، وأنقذنا نحن من الدمار ، بل أنقذنا من العار والفضيحة ٠٠ ! نعم ان ذلك الملاك الكريم الذى لا يبارى جعلنا ننجو من مصير كله فاقة وعوز ونصبح فى حال يحسدنا عليها الناس ويغبطوننا على سعادتنا ٠٠ ! واليك الخطاب الذى كتبه ذلك الملاك الكريم فى اليوم الذى انتهى فيه أبى الى اتخاذ قرار الانتحار ٠٠ ! أما هذه فهى الماسة التى وهبها المحسن المجهول لاختى لمناسبة زواجها ! »

ونشر الكونت الخطاب وقرأه فى غبطة ظاهرة ٠ وكان الخطاب موجها الى جولى ، وموقعا عليه باسم « السندباد البحرى » ٠ ! فتساءل الكونت : « هل الرجل الذى أدى لكم هذه الخدمة مجهول لديكم تماما حتى الآن ؟ » فأجاب مكسمليان : « نعم يا سيدى ، اذ لم يسعدنا الحظ يوما بأن نصافحه برغم أننا طالما التمسنا من السماء أن تمنحنا هذه المنة ٠٠ لكن الأمر كله قد اتخذ اتجاهها غامضا عجزنا عن فهمه ، وقادته من بدايته الى نهايته يد خفية - وان تكن قوية - أشبه بأن تكون يد ساحر ! »

فهمت جولى : « انى لم أفقد الأمل بعد فى أن أستطيع يوما تقبيل تلك اليد كما أقبل الآن هذا الكيس الذى لمستته ٠٠ ! ولقد كاد يتم لى ذلك ٠٠ فمنذ أربعة أعوام كان ( بنيلون ) البستانى الذى يعمل فى حديقة الدار - وقد كان فيما مضى بحارا - يجول على رصيف ميناء ( تريستا ) حين رأى ثريا انجليزيا يتأهب للابحار فى يخته الخاص ، فعرف فيه الشخص الذى زار أبى فى الخامسة من يونية سنة ١٨٢٩ والذى كتب لى هذا الخطاب فى الخامس من سبتمبر ٠ وقد استوثق ( بنيلون ) من شخصه لكنه لم يجرؤ على مخاطبته ٠٠ ! »

فقال الكونت كريستو وقد أقلقتة النظرة الفاحصة التى رمقته بها جولى : « انجليزى ٠٠ ؟ أهو ثرى انجليزى ؟ »

فأجاب مكسمليان : « نعم ، انجليزى تقدم الى أبى باعتباره المندوب الخاص لبنك ( تومسون ) وقرنشى فى روما ٠ وهذا ما جعلنى أجفل حين سمعتك تذكر فى منزل مسيو دى مورسيرف ان البنك الذى تتعامل معه هو بنك تومسون وفرنش ٠٠ فقل لى بربك : هل تعرف ذلك الثرى الانجليزى ؟ »

فقال الكونت وهو يتكلف الهدوء : « لكنك ذكرت لي أن بنك تومسون وفرنش أنكرا جازما أنه أدى لكم تلك الخدمة ؟ »

ثأوما مكسمليان موافقا ، بينما واصل الكونت كلامه فقال :

— اذن .. ألا يحتمل أن يكون ذلك الانجليزى شخصا أدى له والدك صنيعا يوما ما ، نسيه بعد ذلك ، ففكر هو أن يرد له بهذه الطريقة الغامضة ؟

— كل شيء جائز فى هذا الشأن !

— وما اسم هذا الانجليزى ؟

— اننا لا نعرف له اسما غير اسم ( السندباد البحرى ) الذى وقع به على خطابه !

— ألم تكن له قامتي ، أو أطول قليلا ، وكان يرتدى رباط رقبة يصل الى ذقنه ، وسترة ملتصقة بجسمه .. ومن عادته أن يخرج قلمه من جيبه كل حين ؟

فهتفت جولى وقد لمعت عيناها غبطة : « نعم .. نعم .. انك اذن تعرفه يا سيدى .. وافرحته ! »

فقال الكونت : « كلا ! .. وانما أنا أستنتج فقط ، فقد عرفت شخص اسم اللورد ويلمور اعتاد أن يقوم بتصرفات من هذا النوع »

فسألته : « هل كان لا يفصح عن شخصيته أيضا ؟ »

فأجاب : « انه كان مخلوقا شاذا ، لا يؤمن بأن لعرافان الجميل وجودا ! »

فهتفت متفجبة : « رباه ! .. وبم كان يؤمن اذن ؟ ! »

فأجاب الكونت وقد لمست شغاف قلبه لهجة جولى الفياضة بالامتنان : « انه لم يكن يؤمن بذلك فى الفترة التى عرفت فيها .. ولعله تبين بعد ذلك أن الاعتراف بالجميل ما زال موجودا على الارض ! »

فقالت له متوسلة : « اذا كنت تعرف هذا الشخص ، فانى أرجو ملحة فى الرجاء أن ترشدنا الى مكانه .. آه لو عثرنا عليه ! .. اذن لا نقنعاه بوجود الاعتراف بالجميل ، والاعتراف الصادر من القلب ! »

وأحس الكونت ان الدموع تكاد تطفرف من عينيه ، فنهض وراح يذرع الحجر مرة أخرى بخطوات سريعة .. بينما ناشده مكسمليان قائلا : « بحق السماء ، أذكر لنا ما تعرفه عن ذلك الشخص »

فهتف الكونت دى مونت كريستو وهو يجاهد ليقمع انفعاله ، اذا كان لورد ويلمور هو ولى نعمتكم المجهول فأخشى أنكم لن تروه ثانية .. لقد افترقت عنه منذ عامين فى ( باليمو ) .. وكان يتأهب للابحار الى أقصى أطراف الأرض ، بحيث أعتقد أنه لن يعود مرة أخرى ! »

فقالت جولى وقد طافت الدموع بماقيها : « تعنى اننى لن أراه يا سيدى .. هذه قسوة منك ! »

فأجابها الكونت في لهجة جادة وهو ينظر بشغف الى اللؤلؤتين المنحدرتين على خديها: « لو كان لورد ويلمور قد رأى ما أراه الآن ، لأحب الحياة ، فإن الدموع التي تذرفينها كانت كفيلة بأن تعيد اليه حسن ظنه بالبشر ! » ثم مد الكونت يده الى جولى مصافحا . فقالت وهي تضع يدها فى يده : « ولكن .. أليس للورد ويلمور أسرة أو أصدقاء نستطيع أن ... ؟ » فقطع الكونت كلامها قائلا فى تلمظ :

— لا تتعبى نفسك فى الاستقصاء . فلعله لا يكون الشخص الذى أذى لكم ذلك الصنيع .. لقد كان اللورد صديقى الحميم . ولم يكن يخفى على أى بر خاص به ، فلو أنه كان صاحب ذلك الصنيع لأفضى الى بما فعل ! وعندئذ خف مكسمليان الى نجدة الكونت وقال لاخته :

— ان السيد على حق يا اختاه .. تذكرى ما طالما قاله لنا أبونا البار : ( ليس الرجل الانجليزى هو الذى أنقذنا ! )

وهنا سأله الكونت فى لهفة : « ماذا قال لك والدك يا مسيو موريل ؟ »

فأجاب : « كان من رأى والدى أن ذلك الصنيع من قبيل المعجزات ، وأن صناعه قد بعث من القبر لينقذنا . أوه . انها كانت خرافة مؤثرة يا سيدى ، وبرغم انى شخصيا لم أصدقها فانى لم أشأ أن أحطم ايمان أبى بها .. وكمن مرة حام حولها وذكر اسم الصديق العزيز الذى فقدته للأبد ، والذى عزا اليه ذلك الصنيع ، بل انه حين حضرته الوفاة ، وأضاءت ساعة الاحتضار ذهنه بنور خارق للطبيعة ، تحولت عنده هذه الفكرة الى يقين قاطع .. فكانت كلماته الاخيرة لى ( مكسمليان .. انه ادمون دانتيس الذى أنقذنا ! ) ... »

وهنا بلغ شحوب وجه الكونت درجة مزعجة ، فلم يقو على الكلام ، ونظر الى ساعته كمن نسى موعدا هاما ، ثم نطق على عجل بوضع عبارات موجهة الى مدام هربول وصافح كلا من مكسمليان وايمانويل وهو يقول لها : « سيدتى ، انى لأطمع فى أن تسمحى لى بزيارتكم بين حين وآخر ، فأنا أقدر صداقتكم وأشكركم على حفاوتكم ، فهذه هى المرة الاولى التى أطلق فيها العنان لمشاعرى منذ سنوات ! »

ثم غادر البيت مسرعا !

وقال ايمانويل على أثر خروج الكونت :

— ان الكونت دى مونت كريستو رجل غريب الاطوار !

فقال مكسمليان : « نعم .. لكنى أحسن عن يقين أن له قلبا نبيلًا ، وأنه يحبنا ! »

وقالت جولى : « لقد تغلغل صوته الى أعماقى ، وخيل الى مرتين أو ثلاثا أننى سمعته من قبل ! »

## درس فى السموم !

لم يبطئ الكونت دى مونت كريستو فى العودة الى زيارة مدام دى فيلفور . . ولم يكذ الخادم يعلن اسمه حتى عم الهرج والمرج انحاء البيت ، وطلبت مدام دى فيلفور - التى كانت فى الصالون وحدها وقتئذ - أن تحضر المربية ولدها كى يجدد شكره وامتنانه للكونت . . وكان الصبي - واسمه ادوارد - قد سمع اهله يتحدثون عن هذه الشخصية العظيمة طيلة اليومين السابقين ، فبدل جهده كى يخف اليه سريعا ، لا طاعة لأمه أو تقديرا لفضل الكونت عليه ، بل بدافع الفضول المحض . . ورغبة فى أن يجد فى شخصه ما يصلح لأن يتخذه فيما بعد مادة لتعليقاته السليطة التى تطلق لسان أمه بلومه وتأنيبه من حين لآخر ، وإن كانت معجبة بذكائه

وبعد تبادل التحيات المألوفة التفتت الى ابنها ادوارد قائلة : « ماذا تفعل اختك فالتين ؟ . . دع أحدا يبلغها أنى أريدها لاتشرف بتقديمها للكونت » فسألها الكونت : « الك ابنة أيضا يا سيدتى ؟ . لا بد أنها صغيرة السن ؟ »

فأجابته الزوجة الشابة : « أنها ابنة مسيو دى فيلفور من زوجته الاولى . . وهى فتاة رائعة »

فقاططها الصبي ادوارد وهو ينتزع بضع ريشات من ذيل ببغاء كانت تتصايح فوق قفصها الذهبى : « لكنها متهوسة ! »

فصاحت به أمه : « صه يا ادوارد ! » . ثم أضافت تحدثت ضيفها : « هذا الولد الشقى اللعين مصيب مع ذلك الى حد ما ، وهو يردد ما سمعنى أقواله متأللة مائة مرة . ذلك أن الآتسة دى فيلفور - برغم كل ما نبذله من أجلها - ذات طبيعة سوداوية وميل الى الصمت والانزواء ، الامر الذى يغض من جمالها . ولكن ما الذى يعوقها ؟ . اذهب يا ادوارد وادعها » فقال ادوارد : « انهم يبحثون عنها فى المكان الذى لن يجدوها فيه كما هو شأنهم دائما ! »

فسأله : « أين يبحثون عنها ؟ »

فأجاب : « عند جدى فوارتبييه . . وأنا على يقين من أنها ليست هناك ! »

فسأله : « وأين هى إذن ؟ . . اذا كنت تعرف مكانها فلم لا تقول ؟ »

فأجاب : « أنها تحت شجرة الكستناء الكبيرة ! »

فمدت الأم يدها الى الجرس كى ترشد الخدم الى مكان الفتاة . ولكن هذه

سرعان ما ظهرت مقبلة ، وقد بدت عليها السكابة ، بحيث كان الفاحص المدقق يستطيع أن يلمح في عينيها آثار دموع قد جففت !

كانت « فالتين » فتاة طويلة القامة رشيقة القد ، في التاسعة عشرة من عمرها ، ذات شعر كستنائي ، وعينين زرقاوين عميقتين ، ومظهر وقور يوحى بالاستقراطية الهادئة التي كانت تميز أمها . وكانت أصابعها البيضاء الدقيقة وعنقها العاجي وخداها المصطبغان بالوان وظلال شتى ، تذكر الناظر اليها بالحسان الانجليزيات اللواتي قارنهن الشعراء بالبهجات ذوات الجلال !

وحينما دخلت الفتاة الحجرة ، وراحت الى جوار زوجة أبيها الرجل الذي سمعت كثيرا من الاحاديث عنه عمدت الى تجيته دون أى ارتباك صياني ، بل دون أن تغض من بصرها ، وبرشاقة ضاعفت انتباه السكونت اليها ، فنهض ليرد لها التحية !

وحين قدمتها له زوجة أبيها باسمها ، اردف ادوار أخوها يكمل التعريف وهو يرمقها بنظرة مأكرة : « وهذا مسيو دي مونت كريستو ملك الصين وامبراطور الهند الصينية . »

وهنا سحب وجه أمه واستبد بها الغضب على الغلام الشقي ، لكن الكونت ابتسم في غير غضاظة ونظر الى ادوار في تسامح جعل قلب الأم يسترد فرحته وتحمسه . ثم واصل حديثه فقال وهو ينقل بصره بين مدام دي فيلفور وفالتين : « ألم أتشرف من قبل بلقائكما ؟ لقد دار هذا بخاطري منذ البداية ، وحين دخلت الأنسة أضاف مرآها شعاعا جديدا من الضوء على ذكرى مشوشة في ذهني ؟ ! »

فأجابت السيدة دي فيلفور : « لست أعتقد ذلك يا سيدى ، فان الأنسة دي فيلفور ليست شغوفة بالمجتمعات ونحن لا نخرج الا نادرا ! » فقال : « اذن . . لم يكن المجتمع موضع لقائي بالأنسة أو بك يا سيدتى ، أو بهذا الغلام المرح الجذاب . . ثم ان مجتمعات باريس غريبة على تماما ، فاني لم احضر الا منذ أيام . . ولكن ربما كان ذلك اللقاء في ايطاليا . . كانت الأنسة تسير في الحديقة ، وذهب ابنك يطارد طاووسا ! »

وهنا تدخل الغلام ادوار فقال بعد أن أوما موافقا : « نعم . . نعم يا امام ، وقد أمسكت بذلك الطاووس وانتزعت ثلاث ريشات من ذيله . . الا تذكرين ؟ »

واستطرد الكونت : « أما أنت يا سيدتى فبقيت في ظل الكرامة . . الا تذكرين أنك وأنت جالسة على مقعد حجرى ، في غيبة الأنسة دي فيلفور وابنك ، تحدثت فترة من الوقت الى شخص ما ؟ »

فأجابت الزوجة الحسنة وقد صعد الدم الى وجهها : « نعم . . هذا صحيح . . أذكر أنني تحدثت الى رجل يرتدى عباءة طويلة من الصوف . كان طبيبا على ما أذكر ! »

فقال الكونت : « تماما يا سيدتى ، وذلك الرجل أو الطبيب لم يكن سوى ! . كانت قد انقضت مدة على وجودى فى الفندق ، وقد استطعت خلالها أن أشفى خادمى من حمى أصابته ، وأشفى صاحب الفندق من داء اليرقان ، فاكسبت بذلك صيتا ذائما هناك . وقد تحدثنا يومئذ يا سيدتى فترة طويلة من الوقت ، فى موضوعات شتى مثل ( بيروجنتو ) ، و ( رافاييل ) ، والعادات ، والأزياء .. كما تحدثنا عن علم مزج السوائل ، وذكرت لى أن اشخاصا معينين فى ( بيروجنا ) يحتفظون بسرهم »  
فقالت المرأة متعجلة ، فى شيء من القلق : « نعم ، هذا صحيح .. أذكر ذلك الآن ! »

واستطرد الكونت فقال فى هدوء تام : « .. لست أذكر جميع الموضوعات التى تكلمنا فيها يومئذ يا سيدتى ، لكنى أذكر بوضوح أنك وقعت فى الخطأ الذى وقع فيه غيرك بصدد براعتى فى الطب فاستشرتني بشأن صحة الأنسة دى فيلفور »

وفى تلك اللحظة دقت الساعة السادسة ، فالتفتت ملأم دى فيلفور الى فالتين وقالت لها فى انفعال : « الساعة السادسة الآن .. هل لك أن تدهبى لترى هل جددك يريد تناول مشائه ؟ »

فنهضت فالتين وغادرت الغرفة ، بعد أن حيت الكونت ، دون أن تجيب بكلمة .. فقال الكونت : « أواه يا سيدتى ، هل بسببى أبعدت الأنسة دى فيلفور عن الغرفة ؟ »

فقالت : « كلا ! . انها الساعة السادسة وهى الموعد المحدد لاعطاء المسيو نوارتييه الوجبة الاجبارية التى تعينه على الاحتفاظ بما بقى من قواه .. . انك على علم يا سيدى بحالة الانحلال التى أصيب بها والد زوجى ، اليس كذلك ؟ »

فقال : « نعم ، لقد حدثنى مسيو دى فيلفور عنها مرة .. انها حالة شلل على ما أذكر ؟ »

فقال : « نعم ، ان الكهل المسكين لا يقوى على اية حركة .. . ولم يبق محتفظا بنشاطه فى جسمه غير عقله ، ولو أنه بدأ يضعف ويختلج كنور الصباح الذى يوشك أن ينطفىء .. ولكن اغفر لى يا سيدى كلامى فى متاعبنا البيتية . لقد قاطعتك فى اللحظة التى كنت فيها تحدثنى عن براعتك فى الكيمياء ! »

فقال : « كلا يا سيدتى ! . لم أقل ذلك تماما . وما درست الكيمياء الا على اثر اعتزامى العيش فى الأجواء الشرقية ، كى انهج نهج الملك ميتريداتس الذى .. »

وهنا قطع الصبى كلامه وقال وهو ينتزع بعض الصور الجميلة من

« اليوم » ثمين : « أهو الملك ميتريداتس الذى كان يفطر كل صباح بكأس من السم المزوج بالكريمة ؟ ! »

فهمت به وهى تنتزع اليوم الصور من قبضته :

— أسكت أيها الشقى ! . لقد صرت لا تحتمل . انك نزعجتنا وتقطع حديثنا ، فاتركنا والحق بأختك فالتين فى غرفة جدك  
ثم نهضت فقامت الغلام من يديه حتى الباب . وتبعها الكونت بعينيه وهو يحدث نفسه : « ترى .. هل تغلق الباب خلفها ؟ »

وأغلقت مدام دى فيلفور الباب بإحكام بعد خروج الصبي ، فتظاهر الكونت بأنه لا يلحظ حركتها ، ولما عادت الى مقعدها أخذت تلقى على ما حولها نظرة فاحصة .. فاستطرد الكونت قائلا : « لقد قاطعت الغلام وهو يذكر فذلكلة تاريخية تثبت مدى اهتمام معلمه بتثقيفه .. »

فقالت الأم فى شيء من الزهو : « انه ذو قابلية للعلم ، وهو لا ينسى أى درس يلقي عليه .. لكن عيبه الوحيد انه شديد العناد . ولما ناسبة هذا الذى قاله ، هل تصدق حقا ان ميتريداتس كان يستعمل تلك الوسائل ، وأنها كانت ذات اثر حقيقى ؟ »

فقال : « نعم اعتقد ذلك يا سيدتى ، لأنى أنا نفسى قد جربتها كى آمن شر الموت بالسم فى رحلاتى المتعددة فى نابولى ، وبالرمو ، وأزمير .. أعنى فى مناسبات ثلاث كنت فيها سأفقد حياتى لولا تلك الوسائل الاحتياطية ! »

فقالت : « اننى اذكر الآن انك اشرت الى شيء من هذا القبيل خلال حديثنا فى بيروجيا .. اليس كذلك ؟ . كما اذكر انى سألتك يوما : هل السموم تحدث اثرها فى أهل الشمال وأهل الجنوب على حد سواء ، فأجبت بأن الشماليين بطبعهم أميل الى البرود والكسل ، وهذا يجعل قابليتهم للتسمم اخف من قابلية أهل الجنوب ذوى الطبايع النشطة والحيوية »

فقال : « هذا صحيح ، ولقد رأيت بعينى أفرادا من الروس يتناولون أعشابا خاصة ، لو تناولها انسان من العرب او سكان الشرق الأوسط لقتلته فوراً ! »

فسألته فى اهتمام : « اتعتقد هذا حقا ؟ .. أعنى هل خطر هذه الأعشاب أشد على من يعيشون فى جو لا تكثر فيه الأمطار والغيوم ، لأن هذه تجعل الأجسام أقل قابلية لامتناس السموم ؟ »  
فأوما الكونت موافقا وقال :

— نعم ، ولا ريب يا سيدتى .. لذلك ينبغى ان يحصن ضد السم من لم يألفه من قبل لكى يتعوده جسمه !

فقالت : « استطيع ان أفهم ذلك .. ولكن كيف تعود نفسك السم ؟ . أعنى كيف عودت نفسك فى المرات السالفة ؟ »

فقال : « هذا سهل جدا .. فلو فرضنا أنك عرفت سلفا نوع السم



الذى سوف يدس لك .. وليكن هو ( البروسين ) مثلا .. ثم تناولت في اليوم الاول مقدارا منه ، وفي اليوم الثانى ضعف هذا المقدار .. وهكذا لمدة عشرة ايام فانك تصيرين قادرة على ان تتعاطى مقدارا كبيرا منه دون ان يصيبك ضرر يذكر .. بينما لو اعطيت هذا المقدار نفسه لانسان لم يتناول المقادير الصغيرة السابقة فانه يقتله !! وهكذا يمكنك في نهاية الشهر ان تشربى الماء من اناء واحد مع شخص آخر ، فيموت هو .. في حين لاتشعرين انت بغير مضايقة بسيطة .. !»

فقلت مدام دى فيلفور في لهجة من تمنع في الفكر : « لقد طالما قرأت تاريخ ميتريداتس ، واعدت قراءته ، لكى كنت اعتبره بمثابة اسطورة خرافية ! »

فقال : « كلا يا سيدتى ! انه - بعكس اكثر ما يرويه التاريخ - صحيح تماما ! .. لكن ما تستفسرين عنه ليس فيما يبدو ثمرة فضول طارىء ، فمنذ عامين سالتنى هذه الاسئلة نفسها ، وقلت له يومئذ ان تاريخ ميتريداتس قد شغل فكرك زمنا ؟ »

قالت : « هذا صحيح ، فقد كان علم النبات والجيولوجيا أحب العلوم الى في زمن الدراسة .. وأنا اميل بطبعي الى العلوم التى تخاطب الخيال كالشعر ، والعلوم التى تخضع للأرقام مثل الجبر .. ولكن استمر ، فحديثك يلد لى جدا ! »

فقال الكونت : « الأغرب من ذلك يا سيدتى ان الشرقيين لا يستخدمون السم كدرع الوقاية - كما فعل ميتريداتس - بل كخنجر للعدوان ! .. فالعلم في ايديهم لا يكون سلاحا دفاعيا فقط ، بل للهجوم ايضا ، وهكذا يحميهم من خصومهم ويخلصهم منهم في الوقت نفسه .. فهم بواسطة الآفون وست الحسن ( البلادونا ) وغيرها من العقاقير يقيمون الى الأبد كل من يخشون ان يبقوا ساهرين ! .. وما من امرأة من نساء المضرين والأتراك واليونان اللواتي نسميهم هنا ( النساء الغاضلات ) لا تعرف كيف كيف تستعين بالكيمياء على قضاء اغراضها ، بحيث تدهش الطبيب المحترف ، وتذهل العالم النفساني الذى يتلقى اعترافات الناس ! »

فتساءلت مدام دى فيلفور وقد لمعت عيناها بوهج غريب : « حقا ؟ ! » .. بينما استطرد الكونت فقال :

- اما عندنا نحن فان اى ساذج تملكه شيطان الحقد او الطمع ورغب في التخلص من عدو او قريب ، يذهب عادة الى حانوت البقال أو الصيدلى منتحلا لنفسه اسما زائفا - يؤدي الى افتضاحه في الواقع اكثر مما لو ذكر اسمه الحقيقي ! - ثم يتناع خمسة جرامات او ستة من الزرنيخ ، بحجة ان الفيران تزعج نومه ! .. واذا كان الشخص مأكرا فانه يحصل على هذه الكمية من حوانيت مختلفة ، يكرر في كل منها القصة ذاتها ، فيضع نفسه تحت رحمة شهود عديدين متفقى الشهادة .. ثم يسقى خصمه جرعة من السم تكفى لقتل أضخم فيل أو حوت ، وتجعله يصرخ مستغيثا فيجمع

حواله اخيران وسكان المنطقة .. ثم لا يلبث ان يصل رجال البوليس والمباحث ، وفي اثرهم الطبيب الشرعى الذى يشرح الجثة فيجد في امعائها من بقايا الزرنبخ ما يملا ملعقة! .. وفي اليوم التالى تصدر الصحف جميعا وفي صدرها كل البيانات ، واسم القاتل والقاتل فيهرع البقالون والصيادلة ليشهدوا ضد المتهم الذى يساق الى المحاكمة كما يساق الكباش الى الذبح ، ثم يصدر ضده الحكم وينفذ فيه الاعدام .. او - اذا كانت امرأة - تسجن مدى الحياة! .. هذه هى الطريقة التى تفهمون بها انتم اهل الشمال علم الكيمياء ... لكن ( ديرو ) كان فى الواقع ابرع من ذلك!

فقالت المرأة ضاحكة : « ماذا تنتظر منا يا سيدى ؟ .. نحن نفعل ما فى مقدورنا .. وليس جميع الناس على علم بأسرار وسائل أسرة بورجيا وأسرة مديتشي ! »

فاجاب الكونت وهو يهز كتفيه : « هل تبغين ان اذكر لك سبب هذه الحماقات ؟ .. انها مسارحكم التى الف النظارة فيها ان يروا الممثل يخرج محتويات فارورة باكملها ، فيسقط ميتا على الفور .. وبعد خمس دقائق يسدل الستار ويتفرق المتفرجون دون ان يفكروا فيما يحدث عادة فى مثل ذلك الحادث من حضور مفتشى المباحث واستجوابهم المتهم ، ثم الاقتصاص منه .. وهذه الروايات غير المتقنة تؤثر فى ذوى العقليات الضعيفة فيتوهمون ان الامور تجري على هذا المتوال .. ولكن ابتعدى عن فرنسا وتوغلى جنوبا الى حلب او القاهرة ، او حتى الى نابولى وروما .. فلسوف تجددين هناك اناسا يملكون بجانبك فى الطريق ، منتصبى القامة ، باسمى الثغور ، متوردى الوجه .. ولكن لو راهم ( اسمودىوس ) لقال على الفور : « هذا الرجل قد دس له السم منذ ثلاثة اسابيع ، وسوف يموت بعد شهر ! »

وهنا سألته مدام دى فيلفور : « اذن فقد اكتشفوا مرة اخرى اسرار علم السموم ، الذى قيل انه فقد فى بيروجيا ؟ »

فقال : « نعم يا سيدتى .. وهل تفقد البشرية يوما شيئا ؟ .. ان السموم تحدث اثرها بصفة خاصة فى عضو من الجسم دون آخر .. فهناك سم يسبب سعالا مثلا ، والسعال يحدث التهابا فى الرئتين ، او شيئا من هذه الامراض المميتة المنصوص عليها فى كتب الطب ، وهى وان لم تكن مميتة بطبيعتها فان اطباء الاغبياء - الذين هم عادة جهلة بالكيمياء - كفيلون بان يزيدوا الداء استفحالا .. ثم يموت المريض الذى قتل ببراعة وفن ، دون ان يصل الى علم العدالة شىء عن الجريمة ! »

فقالت الزوجة الشابة وقد اجلسها الانتباه جامدة فى مكانها بلا حراك : « هذا امر مخيف جدا ، لكنه شائق فى الوقت ذاته .. واعترف بانى كنت احسب هذه الافايس من ابتداع القرون الوسطى ! »

فقال الكونت : « انها لكذلك حقا ، ولكن تحسينات كثيرة ادخلت عليها فى عصرنا الحاضر .. فما جدوى الزمن بل ما جدوى مكافآت التفوق

والأوسمة والنباشين والجرائد العلمية اذا هي لم تأخذ بيد المجتمع نحو  
كمال اوفى ؟ .. على ان الانسان لن يبلغ درجة الكمال المطلق حتى يتعلم  
كيف يخلق ويهلك ، وهو يعرف كيف يهلك .. وهذه نصف المعركة ! »  
وهنا بدا على مدام دي فيلفور الانهماك في التفكير ، ثم قالت :  
— انه لمن حسن الحظ ان تلك المواد لا توجد وتركب الا عند الكيميائيين ،  
والا لقتل الناس جميعا بعضهم بعضا بالسم !  
فقال الكونت في غير مبالاة : « عند الكيميائيين والمولعين بالكيمياء ! »

واستطردت المرأة وهي تحاول جاهدة التخلص من افكارها الملحة : « ثم  
ان الجريمة مهما يتم تدبيرها ببراعة فانها تبقى آخر الامر جريمة يعاقب  
عليها القانون ، وحتى ان افلتت مرتكبها من حكم القانون فلن تغفل عنها عين  
الله الساهرة .. ان الشرقيين أقوى جنانا منا في مسائل الضمير ، ولا جحيم  
عندهم .. هذا هو الفارق ! »

فقال : « الواقع يا سيدتى ان هذا شك خليك بأن يراود ذهننا طاهرا مثل  
ذهنك ، لكنه لا يلبث ان يتبدد امام المنطق السليم .. فهناك اشخاص  
قليلون يعتمد الواحد منهم الى اعماد سكينه في قلب مخلوق بشرى مثله ، او  
يدس له مثل تلك الكمية التي تحدثنا عنها من الزرنيخ كى يزيله من الوجود  
ويمحوه محو .. ومثل هذا القاتل المتوحش يكون شاذا او غبيا وخارجا على  
المألوف ، ولكى يبلغ هذه الدرجة من التوحش يجب ان يغلى دمه في عروقه  
ويرتفع نبضه ، وتستثار مشاعره الى اقصى حد .. ولكن او فرضنا انه  
استعاض عن الكلمة الخشنة بمرادفها الأكثر نعومة ، وبدلا من ان يرتكب  
جريمة القتل الفظيعة يكتفى بابعاد خصمه عن طريقه ببساطة ، دون عنف  
او خشونة ، ودون لجوء الى الآلام التي تجعل من الضحية شهيدا ومن  
المعتدى جزارا .. بل دون دم ، أو تأوهات ، أو هزات عنيفة .. ودون  
احساس بوطاة اللحظة المروعة الحاسمة ، لحظة ارتكاب الجريمة الفاصلة بين  
الحياة والموت .. عندئذ يصبح في امكان الشخص ان ينجو من قبضة القانون  
البشرى الذى يقول : ( لا ترعج المجتمع ) .. وتلك هي الطريقة التى يدبر  
بها الشرقيون هذه الامور وينجحون فيها ، حيث لا يقيم الناس اعتبارا  
للزمن ولا يستعجلون النتائج !

فقالت مدام دي فيلفور بصوت منفعل وتنهدة محتنقة : « ولكن .. يبقى  
هناك عقاب الضمير ! »

فاجاب مونت كريستو : « نعم ، من حسن الحظ ان عقاب الضمير يبقى ،  
واولا ذلك لكائنات الحياة تعسة شقية لا تطاق .. فعلى اثر كل فعل يتطلب  
اجهاد النفس في التبرير والتخريج يتولى الضمير وحده انقاذنا ، فهو يزودنا  
بألف عذر وعذر ، يكون قبوله في يدنا وحدنا .. على ان هذه الأعداء التى  
تفعل فعل السحر فى جلب الناس الى أجفاننا لا تكاد تجدنا نفعاً حين  
نمثل امام المحكمة كى نحاكم عن جريمتنا ! .. ومن قبيل ذلك مثلا ان ضمير

ريتشارد الثالث خدمه أجل خدمة بعد أن قتل ولدى ادوارد الرابع - فقد رآه يلقى في روعه أن هذين الولدين اللذين ورثا عن أبيهما القاسي المسبب مساوئهم وصفاته البغيضة يقفان حجر عثرة في سبيل ارتقائه العرش وانتقاده الشعب الإنجليزي من مظالمهما! وكذلك كان ضمير (ليدى مابث) - في رواية شكسبير - خير شفيع لها حين أرادت أن تمنح ابنها - وليس زوجها - عرش البلاد!.. أن الحب الأموى فضيلة عظيمة وحافز قوى ، بل أنه من القوة بحيث يبرر أشياء كثيرة!..»

وبقيت مدام دي فيلفور تضحى صامتة الى هذه المبادئ والآراء الرهيبة ثم قالت له :

« هل تعلم يا عزيزى الكونت أن لك منطقاً مقنعاً شديداً الخطر ، وإنك كيميائى بارع ، فإن الدواء الذى أعطيته لابنى في ذلك اليوم قد أعاده فوراً الى وعيه!.. »

فقال لها : « الواقع أن قطرة واحدة من ذلك الاكسير أعادت الطفل المغمى عليه الى وعيه ، ولكن ثلاث قطرات كانت كفيلة بأن تقذف الدم الى رتيبه بعنف يحدث سرعة هائلة في نبضه .. وكانت ست قطرات كافية لأن توقف تنفسه. وتحدث له اغماء أخطر من الذى أصيب به يومئذ .. أما لو أعطيته عشر قطرات فأنها تقتله!.. اولادك رين يا سيدتى كيف اختلطت القارورة من جواره حين لمسها بيده ؟ »

فقالت : « هل كان السائل الذى تحويه سما فظيحا الى هذا الحد ؟ »

قال : « كلا يا سيدتى!.. ولنبدأ أولا بالتفاهم على أن كلمة سم لا وجود لها ، لأن الطب يستخدم أعنف السموم فيجعل منها وفقا لطريقة استعمالها احسن الادوية وأفضلها للعلاج ! »

فسألته : « إذن ماذا كان السائل الذى بها ؟ »

فأجاب : « لم يكن سوى مستحضر ناجع الأثر من تركيب صديقى البارع الراهب ( اديلمونت ) الذى علمنى طريقة استعماله »

فقالت : « إذن فهو مفيد في معالجة التشنجات العصبية ؟ »

فقال : « نعم يا سيدتى ، كما رأيت بنفسك .. وأنا أستعمله كثيرا في العلاج ، مع مراعاة منتهى الحذر طبعاً »

فقالت : « الواقع اننى في حاجة الى استشارة مثل الدكتور اديلمونت كى يتدع لى دواء لنوبات الاغماء العصبى التى تتنابى ، فيجعلنى اتنفس بسهولة ويهدئ تأثيرتى وانزعاجى الذى مبعثه الخوف من أن أموت يوما محتقة خلال توبة من تلك النوبات .. وحتى يتيسر لى ذلك العلاج ، ونظرا الى أن صديقك الراهب قد يكون مستعداً للحضور الى باريس خصيصاً من أجلى ، فانى مضطرة لأن أستمّر في استعمال دواء مسيو ( بلانشين ) المضاد للتشنجات ، فضلاً عن قطرات ( هوفمان ) وأقراص ( انغنا ) .. واليك بعض الأقراص التى ركبته خصيصاً من أجلى .. »

وفتح الكونت الصندوق الصغير الذى قدمته اليه ، واختبر رائحة الاقراص بمقدرة الهاوى الخبير بما تحوى من مركبات .. ثم قال : « انها قوية الاثر ، ولكن لما كانت تؤخذ من طريق الفم فان تناولها يتعذر على الانسان اثناء اغمائه ، ولهذا افضل عليها دوائى ! »

فقال : « بلا شك ، وانا ايضا افضله ، بعد ما رايت من قوة تأثيره .. لكنك تعتبره سرا بطبيعة الحال ، ولست من التطفل بحيث اطلبه منك ! »

فقال : « لكنى من الشهامة بحيث اتطوع لتقديمه لك يا سيدتى ! »

وبدا السرور والاعتباط فى وجه مدام دى فيلفور ، بينما واصل الكونت كلامه فقال :

— ان جرعة صغيرة منه علاج نافع ، اما الجرعة الكبيرة فسم قاتل .. القطرة الواحدة تكفى لرد الحياة الى الجسم كما زابت ، اما خمس قطرات فانها تقتل .. ويزيد فى خطورتها انها لو وضعت فى كأس من النبيذ مثلا لا تبين لها رائحة مطلقا !



وهنا دقت الساعة السادسة والنصف ، وأعلن الخادم وصول سيده من صدقات مدام دى فيلفور جاءت لتناول العشاء معها .. فقالت ربة البيت لضييفها الكبير :

— لو كانت هذه هى زيارتك الثالثة أو الرابعة يا سيدى الكونت .. ولو كان لى شرف الخطوة بصدافتك ، بدلا من أن تكون لى سعادة العرفان بجميلك فقط .. لأصررت على دعوتك للبقاء وتناول العشاء معنا ، لكنى أخشى ان يشوب رفضك الدعوة الآن صداقتنا فى بدايتها ؟ »

فقال : « اشكرك ألف شكر يا سيدتى .. لكنى فى الواقع مرتبط بموعد لا أستطيع ان اتحلل منه ! »

فقالت : « اذن فالى اللقاء ، ولا تنس الدواء .. ! »

فقال : « لن انساه يا سيدتى ، لائى لكى انساه يجب أن انسى الحديث الطلى الذى كان بيننا طيلة ساعة كاملة ، وهذا أمر مستحيل فى نظرى ! »

ثم نهض محيا وانصرف ، بينما بقيت مدام دى فيلفور شاردة الفكر لحظة ، تحدث نفسها : « انه رجل غريب الأطوار ، واعتقد انه هو نفسه الطبيب ( اديلمونت ) مبتكر طريقة تركيب الدواء ! »

اما الكونت كريستو فقد فاقت نتيجة المواجهة كل ما كان يرجوه ، فحدث نفسه وهو منصرف من البيت : « هذا بديع ! .. انها تربة خصبة وانا واثق ان البذرة التى بذرتها لن تموت ! »

وفى صباح اليوم التالى ارسل قنيصة الدواء .. وفاء بوعدة !

## اب.. وابن... زائفان !

نهض الكونت دى مونت كريستو لاستقبال ضيفه الغريب وابتسره بقوله : « دعنى أتذكر : ألسنت المركيز بارتليميو كافالكانتى البكباشى بالجيش النمسوى سابقا ؟ » لقد أرسلك الاب بوزونى.. أليس كذلك ؟ » وأوما الضيف موافقا ، وقال وهو يناول الكونت خطابا مغلقا : « وقد حملنى الى فخامتك هذا الخطاب ! »

فتناول منه الكونت الخطاب وقرأ فيه : « البكباشى كافالكانتى ، من نبلاء ( لوتشا ) وسليل أسرة كافالكانتى الشهيرة بفلورنسا .. يملك إيرادا قدره نصف مليون فرنك ، وهو شخص لا ينقصه من أسباب السعادة غير أن يسترد ابنه الحبيب الضائع الذى سرق منه فى طفولته اما بواسطة عدو له من أسرته النبيلة واما بواسطة الغجر .. وقد جددت أمله حين ذكرت له أن فى مقبورك أن ترد اليه ابنه الذى يبحث عنه دون جدوى منذ خمسة عشر عاما ! »

ثم أردف الكونت قائلا : « ان فى مقدورى حقا أن أصنع لك ذلك ... »

أرد اليك ابنك أندريا ! »

فقال الضابط فى برود تام : « لقد حسبت ذلك .. ولعله هنا ؟ »

فقال الكونت : « نعم .. ولكن ينبغى أن تتمالك عواطفك ريثما أعد الشاب للقائك ! »

.. ثم مضى الكونت الى غرفة جانبية، حيث كان يوجد شاب أنيق المظهر جليل الهيئة ، وصل منذ نصف ساعة .. فخاطبه بقوله : « أعتقد أنى أتحدث الى الكونت اندريا كافالكانتى ؟ »

فكرر الشاب الاسم وراءه وهو ينحنى : « الكونت اندريا كافالكانتى ! »

— وأنت تحمل خطاب تقديم موجه الى وموقع عليه بامضاء « السندباد البحرى » ، أليس كذلك ؟ .. انه صديق حميم لى .. وهو ثرى انجليزى ذو شذوذ يبلغ حد الجنون ، واسمه الحقيقى اللورد ويلمور .. فهلا تكرمت بأن تعطينى بعض المعلومات عن نفسك وأسرتك ؟

— بلا شك ، أنا الكونت اندريا كافالكانتى ابن البكباشى بارتليميو كافالكانتى سليل أسرة كافالكانتى التى ورد ذكرها فى الكتاب الذهبى لمدينة فلورنسا.. وأسرتنا برغم أنها ما تزال تتمتع بالثراء وإيراد أبى يصل

الى نصف المليون - الا انها عانت كثيرا من المتاعب والاحداث السيئة ، فأتا مثلا قد اختطفت في سن الخامسة بمساعدة معلمى الخائن ، بحيث انقضت على منذ ذلك التاريخ خمسة عشر عاما لم أر فيها الشخص الذى كان السبب المباشر فى وجودى ٠٠ ومنذ بلغت رشدى وصرت سيد نفسى لم أتوان عن البحث عن والدى بكل الوسائل ولكن دون جدوى ٠٠ حتى تلقيت أخيرا هذا الخطاب من صديقك المذكور وفيه أن أبى موجود فى باريس ، وأن على أن أتصل بك كى ترشدنى الى المعلومات الخاصة به !

- لقد أحسنت اذ نفذت تعليمات صديقى السندباد البحرى بدقة ، فان أباك موجود هنا حقا ، وهو يبحث عنك كما تبحث عنه !

- حقا ٠٠؟ هل أبى هنا حقا ؟!

- نعم ، أبوك البكباشى برتلميو كافالكانتى بعينه !

وعندئذ تبذل تعبير الرعب الذى كسا وجه الشاب لدى سماع النبأ لأول وهلة ، ثم قال : « آه يا سيدى ، لقد مضت سنوات طويلة منذ افترقنا ، بحيث لم أعد أذكر شكل أبى على الاطلاق ! »

- سوف تراه الآن ٠٠ انه مليونير ، ابراده السنوى ٥٠٠ ألف فرنك ، سوف يمنحك منها خمسين ألفا كل سنة طيلة مدة بقائك فى باريس ، على أن تتسلم نصيبك الشهري منها من بنك ( دانجلر ) الذى هو من أكبر البيوت المالية الباريسية

- وهل يعتزم أبى البقاء فى باريس طويلا ؟

- بضعة أيام فقط ، فان خدمته العسكرية لا تسمح له بالتغيب أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على أكثر تقدير !

وهنا بدا على أندريا السرور بقرب رحيل أبيه ٠٠ بينما قال الكونت : « انسى لن أعوق لقاءكما المرتقب وقتنا آخر ، فهل أنت متأهب لمعائقة أبيك؟ ادخل اذن الحجرة المجاورة أيها الصديق ، فترى أباك مشوقا الى رؤيتك » وانحنى اندريا للكونت محييا شاكرا ، ثم دخل الحجرة ٠٠ أما الكونت فقد انتظر حتى أغلق الشاب الباب وراءه ، واذا ذاك مضى هو الى صورة كبيرة معلقة على الحائط فأزاحها فى رفق حتى انكشفت له وراءها ثغرة خفية تسمح للناظر خلالها برؤية ما يدور فى الغرفة المجاورة ٠٠ فرأى الشاب يتقدم نحو الكهل قائلا بصوت نعال - تعمد أن يسمعه للكونت فى الحجرة الأخرى

- آه ، أبى العزيز ! أهذا حقا أنت ؟

فقال الضابط فى لهجة الجد : « كيف أنت يا ابنى العزيز ؟ »

وعندئذ أردف الشاب وهو يأخذ ذراع الضابط فم ذراعه كمن يعرف منذ زمن : « أبها العزيز مستر كافالكانتى ، كم دفعوا لك كى تمثل دور أبى ٠٠ انى سأصسارك بسرى كى تصارحنى بسرك ، انهم يدفعون لى

خمسين ألف فرنك في السنة كي أكون ابنك !  
- وأنا بدوري يدفعون لي مثل هذا المبلغ لأمثل دور أبيك !  
.. واختار الكونت هذه اللحظة كي يدخل الحجرة . فلما سمعا مقبض  
الباب يفتح ألقى كلاهما نفسه في أحضان الآخر وراحا يتبادلان القبلات ..  
وفي خلال عناقهما دخل الكونت فابندزهما بقوله : « والآن أيها السيدان  
طاب يومكما ، فاني منصرف ! »  
فتساءل كافالكاتني : « متى يكون لنا شرف رؤية فخامتكم مرة أخرى ؟ »  
فأجابه . « يوم السبت ، اذا شئتما .. وسبوق أتناول العشاء في منزل  
فني ( أوتوى ) شارع النافورة رقم ٢٨ . وقد دعوت كثيرين ، بينهم  
مسيو دانجلر ، ويسرني أن أعرفكما اليه فهو الذي سبدفع لك يا أندريا  
مربك الشهري ! »  
وعندئذ انحنى الاثنان للكونت مودعين . ثم غادرا المنزل !

### وصية مشلول

مسيو مكسميليان موريل الى حديقة دار مسيو دي فيلفور . وقد سادها  
السكون وحجبتها أشجار الكستناء العالية المحيطة بها عن الانظار .  
ولبت بعض الوقت قلقا يترقب ظهور فالتين دي فيلفور من بين الأشجار .  
وبرهف سمعه ليسمع وقع خطاها فوق الممشى المفروش بالحصى .. ولم  
تمض دقائق حتى أقبلت فالتين للقاءه ، ووقفت ازاءه يفصل بينهما سور  
الحديقة المرتفع ثم ابتدرته قائلة : « طاب مساؤك يا مكسميليان ، أعلم أنني  
توكتك تنتظر ، لكن أوجيني دانجلر كانت معي فعاقنتني . كانت تحدثني  
عن نفوزها من الزواج من مسيو دي مورسيرف ، فضارحتها أنا أيضا  
بنفوري من فكرة الزواج من مسيو ديبيناى ! »  
فنبأها : « هل الآنسة دانجلر تنفر من الزواج بالمسيو مورسيرف لانها  
تحب شخصا آخر ؟ »  
فأجابت : « كلا ! فقد ذكرت لي أنها لا تحب أحدا . وأنها تعارض  
الزواج ذاته ، وتفضل أن تعيش حرة بلا قيود .. حتى انها لتتمنى أحيانا  
أن يفقد أبوها ثروته كي تحترف الفن مثل صديقتها الآنسة لويز دارميني  
.. لماذا تبتسم ؟ »  
- دعنا من اضاعة وقتنا في الحديث عنها ، فاني أريد أن نتحدث عنك  
أنت !  
- هذا صحيح ، ويجب أن نسرع ، فليس أمامنا غير عشر دقائق نقضيها  
معا .. نعم أنت علي حق ، فليست سوى صديقة فقيرة لك . وآية حياة  
أفرضها عليك يا عزيزي المسكين مكسميليان ، أنت الذي خلقت للسعادة !  
اني لألوم نفسي لوما مريرا !!



- ما هذا الذى تقولين يا فالنتين؟ وماذا يهيك من الأمر ما دمت أنا قائما بهذه الحال ، وما دمت شاعرا بأن لقاءك ولو لحسن دقائق ، وسماع بعض كلمات من فمك العذب يعوضانى حتى عن هذا الانتظار الطويل الموحج ؟  
انى لا اعتقد اعتقادا جازما أن السماء ما كانت لتخلق قلبين منسجمين مثل قلبينا ، وتسمح لنا - بمعجزة - بأن ننشأ معا ، لو أنها كانت تريد أن تفرق بيننا آخر الأمر !

- كلماتك رقيقة ومشجعة يا مكسمليان .. انها سوف تمنحنى على الأقل سعادة جزئية !

- ولكن ما الذى يلجئك الى أن تفارقينى هكذا سريعا ؟

- لست أدري التفاصيل بالضبط ، وكل ما أعرفه أن مدام دى فيلفور قد أرسلت فى طلبى لأمر يتعلق بجزء من ميراثى .. لينهم يأخذون ثروتى فليست بى حاجة اليها .. ولعلمهم لو أخذوها يكفون عن ازعاجى ويتكونون فى سلام وسكينة .. وانى لعلى يقين من أنك تحبين حينذاك مثلما تحبين اليوم ، أليس كذلك يا مكسمليان ؟

- انى أحبك دائما ..! وماذا يهمنى من الغنى أو الفقر ما دامت حبيبى فالنتين بجانبى ؟ آه كنت أوشك أن أذكر لك أننى قابلت مسيو مورسيرف منذ أيام ، وكان قد تلقى خطابا من صديقه دابيناي يخبره فيه بأنه عائد توا

وهنا شحب وجه فالنتين واتكأت بيدها على سور الحديقة قائلة :

- رباه ! لو كان الأمر كذلك ..! .. ولكن لا .. ان المفاوضات قد لا تأتى من طريق مدام دى فيلفور ، فقد خيل الى أنها عارضت ذلك الزواج ، وان لم تشأ أن تصرح بذلك علانية !

- أظن أنها تعارض زواجك من مسيو دابيناي وحده .. أى أنها سترحب بأى اقتراح آخر ؟

- كلا يا مكسمليان ، انها تعارض فكرة الزواج ذاتها .. وحين فكرت منذ نحو عام فى أن أعزل الدنيا والجا إلى أحد الأديرة ، سمعت خفية إلى تنفيذ هذه الفكرة ، بل لقد أقنعت أبى بقبولها ، ولولا توسلات جدى المسكين لتفنت عزمى يومذاك .. انك لا تستطيع أن تتخيل التعبير الذى يبدو فى عيني الشيخ الفانى حين ينظر الى .. أنا المخلوق الوحيد الذى يحبه ويبادله الحب !

- حبيبتى فالنتين .. انك للملاك كريم .. ولست أدري أى عمل طيب عملته حتى أستحق منك حبك وثقتك ؟ .. ولكن حدىتنى بربك .. أية مصلحة لمدام دى فيلفور فى أن تبقى أنت بغير زواج ؟

- ألم أقل لك منذ لحظة اننى غنية ، وغنية جدا ..! لقد ورثت عن أمى

ما يدر على سنويا نحو خمسين ألف ريال ، فضلا عن ايراد مماثل سوف يتركه لى جدى وجدتي - لأمى - المركز والمركيزة دى سسانت ميران ٠٠  
وفضلا عما يعتزمه مسيو نوارتييه - جدى لأمى - من جعلى وريثته الوحيدة ٠٠  
وهكذا يصبح أخى ادوار - الذى لن يرث شيئا عن أمه - فقيرا بالنسبة لى ٠٠  
أما لو دخلت الدير فسوف تؤول كل ثروتى هذه الى أبى ، ثم الى أخى ادوار ، ابنها !

— ما أغرب أن تكون بهذا الطمع امرأة مثل مدام دى فيلفور !  
— انها لا تحب المال لنفسها بقدر ما تحبه لابنها ٠٠ وما تعتبره أنت رذيلة يغدو فضيلة من وجهة نظر الحب الأموى ٠٠ هل تسمع ٠٠؟ انهم ينادوننى !

ثم صعدت فالتنن فوق مقعد خشبى ومدت يدها الى حبيبها من خلال السور ، فتلقى مكسمليان اليد الممدودة نحوه بغطاء ونشوة فائقتين ، ثم طبع عليها قبلة حارة تذكىها العاطفة ٠٠ واذا ذاك ارتدت اليد الى داخل السور ، ثم رأى الشاب محبوبته تهرع عائدة الى المنزل !



فى الوقت الذى جرى فيه ذلك الحديث بين فالتنن ومكسمليان كان المسيو دى فيلفور وزوجته قد دخلا حجرة أبيه مسيو نوارتييه ٠٠ وبعد أن أوماً بالتحية الى الشيخ المسن المشلول ، وقفا بجانبه يتحدثان مع (باروا) الذى قضى فى خدمته خمسة وعشرين عاما

وكان المسيو نوارتييه قد انتهت حياته العامة والسياسية بوصفه من حزب نابليون منذ انفجر أحد الأوعية الدموية فى مخه ، فقضى عليه بأن يظل بقية حياته حبيس مقعده المريح ذى العجلات الذى كان يوضع طيلة النهار فى مواجهة امرأة كبيرة يستطيع المريض أن يرى أكثر أجزاء المسكن منعكسة على صفحاتها ، كما يرى كل شخص يدخل الحجرة وكل شئ يدور حوله !

وبرغم ان مسيو نوارتييه كان فى جلسته أشبه بالجثة الهامدة ، فقد ألقى على الداخلين نظرة سريعة ذكية ، أدرك بها من طريقتهما الحائرة فى تحيته أنهما جاءا ليتحدثا اليه فى أمور مالية ذات طابع هام ! ولم يكن قد بقى للمسكين من حواسه غير حاستى النظر والسمع ، اللذين تركز فيهما كل نشاطه وحده ذهنه ، فصارت النظرة منه تغنى عن حركة الذراع ونبرة الصوت ومرونة الجسم ، فى التعبير عما يريد أن يفصح عنه ٠٠ ولو أن لغته هذه لم يكن يفهما بوضوح غير أشخاص ثلاثة : ابنه دى فيلفور ، وحفيدته فالتنن ، وخادمه باروا !

وكان دى فيلفور قد أرسل ابنته الى الحديقة ثم أشار الى الخادم باروا



« ومدت فالتين يدها الى مكسميليان من خلال السور ، فطبع عليها قبلة حارة »<sup>٨</sup>

بمغادرة الحجرة ، وجلس بعد ذلك عن يمين أبيه المشلول ، بينما جلست زوجته الى يساره . . . واستهل حديثه بقوله : « اننا نفكر فى تزويج فالتين يا أبى . . . وسوف يتم الزواج فى مدى ثلاثة أشهر »

. . . وهنا أضافت مدام دى فيلفور : « لقد كنا واثقين من أن هذا النبأ سوف يفرحك ، ولاسيما أنك تخص فالتين بحبك وحنانك . . . ولم يبق الا أن نذكر لك اسم الشخص الذى وقع عليه اختيارنا : انه شاب يملك الثروة الطائلة ، والمكانة الرفيعة فى المجتمع ، وكل الصفات الكفيلة بإسعاد فالتين . . . وهو ليس بالشخص الذى تجهله أنت تماما ، انه فرانز دى كينيل ، بارون ديبيناي !

وبدا الغضب فى عيني نوارتييه، واحتبست فى حلقه صيحة حنق وحزن ، بينما استطردت المرأة : « وهذا الزواج يصادف هوى من نفس المسيو ديبيناي نفسه وأسرته ، وأقرب الاحياء من أقربائه اليه هما عمه وعمته - فقد ماتت أمه عند ولادته وقتل أبوه سنة ١٨١٥ ، أى بعد سنتين من موت أمه - وهكذا يمكن القول بأن الفتى نشأ سيد نفسه وليس لأحد سلطان على رأيه أو اختياره لشريكة حياته »

وأردف فيلفور قائلاً : « ان مصرع أبيه كان مأساة غامضة ، وقد نجا القتل من العقاب ، وان حامت الشبهة حول أكثر من واحد ! »

ثم عادت الزوجة فقالت : « والآن يا سيدى أستأذنك فى الانصراف . . . هل تريدنى أن أرسل اليك ادوارد ليونسك بعض الوقت ؟ »

فحرك الشيخ المشلول أهداب عينيه مرات ، علامة الرفض . . . وعندئذ سألتها المرأة : « اذن . . . هل أرسل اليك فالتين ؟ » فأغمض عينيه ، علامة القبول !

وهنا انحنى له الزوجان وغادرا الغرفة ، بعد أن أوصيا الخدم باستدعاء فالتين تلبية لرغبة جدما ، وكانا يعلمان أنها ستجد عناء كبيرا فى تهدئة تآثرته . . . !

دخلت فالتين بعد خروج أبيها وزوجته من الحجرة بقليل ، وأدركت من أول نظرة الى جدما أنه قلق ، وأن فى ذهنه كلاما كثيرا يريد أن يفضى به اليها . . . فصاحت جزعة : « جداه . . . ماذا حدث ؟ هل حدثاك عن تزويجى ؟ »

فأجابها الرجل بنظرة غاضبة : « نعم »

- أنك لا تحب مسيو ديبيناي ؟

فأجابتها عيناه : « لا ، لا ، لا ، لا . . . ! »

وعندئذ ارتمت الفتاة على ركبتيها وأحاطت رقبة جدما بذراعيها قائلة : « وأنا أيضا لا أحبه ! » فلمعت فى عيني الشيخ نظرة فرح !

ثم سألته : « هل تعتقد أنك تستطيع مساعدتى يا جدى العزيز ؟ »

فأغمض عينيه مرات يعنى أنه يستطيع هذه المساعدة ، ثم رفع بصره الى السماء اشارة الى أنه يريد شيئا ، فسألته فالتنن : « ماذا تريد يا جدى العزيز ؟ » . ثم راحت تردد على مسمعه الاشياء التى رجحت أن تكون مبتغاه ، لكنه أجابها عن كل منها باشارة الرفض من عينيه . ففكرت فى تجربة طريقة أخرى ، وبدأت تسرد عليه الحروف الابجدية بالترتيب ، حتى أبدى حركة الموافقة عند نطقها بحرف « الميم » . فقالت جدلة : « اذن فالشيء الذى تريده يبدأ اسمه بحرف الميم . ترى : هل ميمه مفتوحة ؟ أم مكسورة ؟ أم مضمومة . واذا أدركت من نظرتة أنه يريد شيئا يبدأ بحرف الميم المضمومة ، نهضت وأحضرت قاموسا وراحت تنقل أصابعها بين كلمات الميم المضمومة فيه ، الى أن أوما جدها بعينه موافقا عند كلمة « مسجل عقود » . فدفقت الفتاة الجرس وطلبت استدعاء أحد مسجلي العقود ! »

وبعد ثلاثة أرباع الساعة ، دخل « باروا » وبصحبه مسجل العقود المطلوب . ثم دخل فى أعقابهما مسيو فيلفور ، وبعد تبادل التحيات التقليدية قال الابن يحدث المسجل :

— ها أنت ذا ترى الشخص الذى أرسل فى استدعائك . ان جميع أعضاء جسمه مصابة بالشلل ، حتى صوته . ونحن نجد صعوبة كبيرة فى فهم ما يريد أن يقول »

وهنا أوما المريض الى حفيدته بنظرة آمرة ، فهمت قصده منها ، فقالت للمسجل على الفور : « سيدى ، انى أفهم كل ما يريد جدى أن يقوله »

فأجابها المسجل : « لكى تكون الوصية نافذة ، ينبغى أن أستوثق من رغبات موكل . ان عجز الجسم لا يؤثر فى صحة التصرف ، اذا كان العقل سليما ! »

فقالت له الفتاة : « سوف ترى يا سسيدي أن جدى مالك لجميع قواه العقلية ونشاطه الذهني . وفى وسعك أن تتفاهم معه بالطريقة التى أتفاهم بها أنا معه . انه فى مقام الموافقة يغمض عينيه ، وفى مقام الرفض يحرك أهدابه عدة مرات . والآن تستطيع أن تتفاهم معه بسهولة ! »

وهنا نظر الجد الى حفيدته نظرة شكر وامتنان لم تغب عن فطنة المسجل نفسه ، فقال يسأله : « لقد سمعت وفهمت ما قالته حفيدتك ، فهل توافق على مغزى الاشارتين اللتين تحدثت عنهما ، كوسيلة للتعبير عن آرائك ؟ »  
ولما أغمض الشيخ عينيه علامة الموافقة ، التفت المسجل الى المسيو دى فيلفور قائلا :

— انها طريقة شاذة فى التفاهم ! »

فقال هذا منتهزا الفرصة : « نعم ، وأعتقد انها ستكون شاذة فى تسجيل الوصية ، فلست أفهم كيف يمكن ذلك بلا تدخل من فالتنن ، ولعل لها

مصلحة في الوصية تجعلها لا تصلح مفسرة لاثقة للتعبير عن رغبات جدها الغامضة غير الصريحة ! »

وهنا حرك المشلول أهدابه محتجا ، فسأله دى فيلفور : « ماذا تعنى يا أبى ؟ » أليس لثنتين مصلحة في الوصية ؟ »

وأوما الشيخ نافيا أن لها مصلحة فيها ، فقال مسجل العقود لدى فيلفور : « سيدى ٠٠ أن ما بدا لي مستحيلا منذ ساعة واحدة قد صار الآن ميسورا معقولا ، وسوف تكون الوصية شرعية نافذة اذا قرئت في حضور سبعة من الشهود وقرأها الموصى وسجلها المسجل أمام الشهود ! »

ثم التفت الى الشيخ الموصى وسأله : « هل تعرف مقدار ثروتك بالضبط ؟ » فلما أجاب باغماض عينيه دلالة على الموافقة واصل المسجل كلامه فقال :

— سأذكر لك عدة أرقام ، فإذا بلغت الرقم الصحيح فعليك أن تنبهني بإشارة الموافقة ٠٠ هل ثروتك ٣٠٠ ألف فرنك ، كلا ؟ ٠٠٩ اذن أهى ٤٠٠ ألف ؟ تقول : كلا أيضا ؟ ٠٠ اذن هى ٦٠٠ ألف ؟ ٧٠٠ ألف ؟ ٨٠٠ ألف ؟ ٩٠٠ ألف ؟

وهنا أشار المسيو نوارتييه اشارة الموافقة ، فكرر المسجل سؤاله :  
— هل تملك ٩٠٠ ألف فرنك ؟ حسنا ٠٠٩ حسنا ٠٠١ وهل هى عقارات ؟ كلا ؟ اذن أسهم وسندات ؟ حسنا يا سيدى ، وهل الاسهم فى حيازتك ؟  
وهنا نظر نوارتييه الى خادمه ( باروا ) نظرة فهم الاخير معناها فخرج من الحجرة ثم عاد بعد حين يحمل صندوقا صغيرا ٠٠ فسأل المسجل الموصى :  
« هل تسمح لنا بفتح هذا الصندوق ؟ »

فاغمض المشلول عينيه علامة الموافقة ٠٠ فلما فتحو الصندوق وجدوا فيه أسهما وأوراقا مالية قيمتها ٩٠٠ ألف فرنك بالضبط ، فقال المسجل :  
— واضح أن المسيو نوارتييه محتفظ بقواه العقلية ونشاطه الذهني كاملا !

ثم التفت الى الموصى يسأله : « الى من تريد أن تترك هذه الثروة ؟ »  
٠٠ فقالت مدام دى فيلفور مقاطعة : « أوه ! ليس ثمة شك كبير فى هذا الصدد ، فان مسيو نوارتييه يحب حفيدته الاتنة دى فيلفور  
وهنا التفت المسجل يسأل نوارتييه : « اذن فأنت تترك هذه الثروة لحفيدتك الاتنة دى فيلفور ؟ »

وتأهب المسجل لان يسجل موافقة الموصى على ذلك ٠٠ وكانت لثنتين خلال ذلك قد انزوت فى أحد أركان الغرفة وأطرقت تبكى ٠٠ فنظر جدها اليها نظرة تفيض رقة وعظفا ٠٠ ثم حرك أهدابه مرات ، علامة الاجابة عن سؤال المسجل بالنفى !

وكانت مفاجأة ٠٠ بددها سؤال المسجل للموصى : « اذن ، هل تبغى

ترك ثروتك لحفيدك ادوار دى فيلفور ؟ »

لكن الشيخ حرك أهدابه أيضا بما ينم عن الرضى البات !

فعاد المسجل يسأله : « أترضى ذلك أيضا ؟ » اذن ربما يكون قصدك الايضاء بثروتك لابنك مسيو دى فيلفور ؟ ولا هذا أيضا ؟ »

وهنا انتقلت نظرة المشلول بسرعة من فيلفور وزوجته ، الى حيث استقرت على يد فالتين . . فسألته فى دهشة :

— يدى ؟ نعم ؟ ثم صاحبت الفتاة : « آه ، فهمت . . أنت تقصد زواجى ، أليس كذلك يا جدى العزيز ؟ »

فكرر الجد اشارة الموافقة ثلاث مرات ، وهو ينظر الى حفيده نظرة عرفان بالجميل لكونها فهمت مراده . . بينما قال فيلفور : « حقا ان هذا أمر شاذ للغاية ! »

فأجاب المسجل : « اسمح لى يا سيدى أن أقول ان الأمر على العكس ، فالمعنى الذى يقصده المسيو نوارتييه واضح تماما فى نظرى ، وفى وسعنى أن أربط تسلسل الافكار التى تدور فى ذهنه بسهولة ! »

وهنا سألت فالتين جدتها : « أنت تريدنى ألا أتزوج من مسيو دينيائى ؟ »

فأجابتها ايماءة عين جدتها مؤمنة على كلامها

وعندئذ استطرد المسجل يسأله : « وأنت تبغى تجريد حفيدتك من الارث لانها خطبت الى رجل بلا موافقة منك ؟ حسنا ! . . هل اذا عدلت الفتاة عن الزواج من ذلك الرجل تصبح وريثتك الوحيدة ؟ »

فأومأ الشيخ المشلول موافقا !

ثم ساد صمت عميق ، قطعه المسجل مستطردا :

— كيف تبغى أن توزع ثروتك فيما لو أصرت الانسة دى فيلفور على الزواج من مسيو فرانز ؟ هل تريد تخصيصها للاعمال الخيرية ؟ نعم ؟ . . لكنهم قد يشيرون نزاعا حول تنفيذ الوصية بعد وفاتك ؟ كلا ؟

وهنا تدخل فيلفور فى المناقشة قائلا : « ان أبى يعرفنى ويثق من أن رغباته سوف تعتبر مقدسة فى نظرى . . ثم انه يدرك تماما أنى بحكم مركزى لا أستطيع اتخاذ موقف عدائى نحو الطبقات الفقيرة ! »

وهنا ومضت عيننا نوارتييه ببريق الانتصار . . فسأل المسجل دى فيلفور : « وماذا تعتزم اذن يا سيدى ؟ » فأجاب هذا : « لا شئ . . لقد اتخذ أبى قرارا وأنا أعلم أنه لا يغير رأيه مطلقا ، فلم يبق أمامى غير الإذعان . . ثم غادر دى فيلفور الغرفة على الأثر ، مصحوبا بزوجته ، تاركين للمشلول أن يفعل ما يشاء ! . . »

وفى اليوم نفسه سجلت الوصية بحضور الشهود ، وأقرأها الموصى ، وختمت أمام الجميع ثم سلمت الى مسيو « ديشان » المشرف على تنفيذ وصايا الأسرة

## مناورات فى البورصة

غادر الكونت دى مونت كريستو باريس فى اليوم التالى لتسجيل الوصية، متخذاً الطريق المؤدى الى « أورليان » ، فبلغ برج « مونتيرى » الواقع فى أعلى بقعة من السهل المعروف باسمه .. وعند سفح التل ترجل الكونت وبدأ يتسلق ممراً ملتوياً يؤدى الى حديقة صغيرة .. حتى وجد نفسه وجهاً لوجه أمام رجل فى نحو الخمسين من عمره يقطف ثمار « الفراولة » ويضعها على أوراق العنب .. فابتدرة الكونت قائلاً وهو يبتسم ابتسامة تنم عن الشعور بالمطف : « هدىء من روعك يا صديقى .. انى لست مفتشاً، بل سائحاً حضر مدفوعاً بفضول يكاد يأسف الآن عليه اذ يراك توشك ان تضيع جانباً من وقتك معه »

فقال الرجل : « هل حضرت يا سيدى لثرى البرقية ؟ »  
فقال الكونت : « نعم .. اذا لم يكن ذلك مخالفاً للقواعد .. لقد قيل لى انك أنت نفسك لا تفهم دائماً الاشارات التى تكرر ها .. »  
فاجاب الرجل وهو يبتسم : « هذا صحيح يا سيدى ، وهذا ما افضله ، لانه يريحنى من المسئولية ويجعلنى اشبه بالآلة لا أكثر ولا أقل .. وما دمت أعمل فلن يطلب منى احد شيئاً آخر ! »  
وصعدا الى غرفة البرق ، فى الطابق الثالث ، فنظر الكونت الى المقبضين الحديدين اللذين تدار بهما الآلة ، ثم قال : « هذا أمر مسهل للغاية ، وهل أنت حقاً لا تفهم شيئاً من هذه الاشارات ؟ »  
فقال الرجل : « هناك اشارات توجه الى خاصة .. وهى دائماً تتكرر ، دون تغيير ما ، ونصها : ( لا جديد .. أمامك ساعة .. أو غدا ! ) .. وهكذا ترى انى لا يمكن أن أفهم شيئاً مطلقاً من هذه الاشارات ؟ »  
فقال الكونت : « هذا أمر بسيط ، ولكن انظر .. ألا يخاطبك مراسلك الآن ؟ .. ماذا يقول ؟ هل فهمت شيئاً ؟ »

فقال الرجل : « انه يسألنى انا مستعد ؟ . ومتى أجبته بالاشارة التى تنبىء باستعدادى ، فان مراسلى - الذى الى اليمين - يفهم ذلك أيضاً، بينما مراسلى الذى الى اليسار يأخذ أهيته بدوره ! »

فقال الكونت : « انه ابتكار ينم عن الذكاء الخارق ! »  
فقال الرجل مزهواً : « سوف ترى .. انه سيتكلم خلال خمس دقائق »  
وهنا حدث مونت كريستو نفسه قائلاً : « امامى اذن خمس دقائق .. »



انها أكثر مما يلزم .. » ثم استطرد يسأل الرجل :  
— هل أنت شغوف بفلاحة الحدائق يا سيدى ؟. وهل يسرك أن يكون لك  
بدلاً من هذه الحديقة التى طولها عشرون قدماً بستان مساحته فدانان ؟  
فقال الرجل : « انى لكفيل بأن أجعل منها جنة أرضية ! »  
فقال الكونت : « اذن .. انت توافق لقاء هذا على تغيير بسيط أرده في  
رسالة مراسلك ؟! »

فتساءل الرجل : « ماذا تعنى يا سيدى ؟. ان هذا لا يمكن أن يحدث  
ما لم تقهرنى على القيام به ! »

فقال الكونت : « اعتقد أن في وسعى أن أقهرك ! »

ثم أخرج ما جيبه ظرفاً ، مد يده به الى الرجل قائلاً :  
— هالك خمسة وعشرين ألف فرنك ، تستطيع أن تشتري بخمسة آلاف  
منها منزلاً صغيراً جميلاً تحيط به أرض مساحتها فدانان ... وبقية المبلغ  
تدري عليك إيراداً سنوياً قدره ألف فرنك !  
— منزل له حديقة مساحتها فدانان ؟. وماذا يطلب منى أن أفعل مقابل  
ذلك ؟

— لا شيء سوى أن ترسل هذه الاشارات الى وزير الداخلية !  
وأخرج مونت كريستو من جيبه ورقة كتب عليها ثلاث اشارات موضح  
أمام كل منها رقم ترتيبها بالنسبة الى الاشارتين الاخرين !  
وبعد حوار قصير ، نفذ الرجل ما طلب منه وقد أحتقن وجهه وتصبب  
العرق من جبهته ، وأرسل الاشارات الثلاث الى وزير الداخلية كما طلب  
الكونت !

وبعد وصولها الى الوزير بخمس دقائق ، أمر سكرتيره « دبراى » بأعداد  
عربته وهرع الى منزل « دانجلر » .. وحين لم يجده في البيت سأل زوجته  
البارونة : « هل يملك زوجك أسهما إسبانية ؟ »  
فقالت : « اعتقد ذلك .. وأذكر أن عنده منها ما قيمته ستة ملايين من  
الفرنكات !

— اذن يجب أن يبيعها فوراً بأى سعر ، فلقد فر « دون كارلوس » من  
« بورج » وعاد الى أسبانيا !

وهرعت البارونة الى زوجها ، الذى هرع بدوره الى وكيله . وأمره ببيع  
تلك الاوراق المالية فوراً بأى ثمن .. وحين رأى في البورصة أن دانجلر يبيع  
ما عنده هبط سعر الاسهم الاسبانية فى الحال .. وقد خسر دانجلر فى البيع  
خمسماية ألف فرنك ، ولكنه تخلص من جميع أسهمه الاسبانية .. وفى  
الليلة نفسها ، نشرت جريدة « لوميساجير » النبأ التالى :

« من مراسلنا بالبرق : غافل الملك دون كارلوس حراسه فى «بورج» وعاد  
الى أسبانيا مخترباً حدود قطلونيا ، فهبت برشلونة لمؤازرته ونصرتة ! »

وفي تلك الامسية لم يكن للناس من حديث غير بعد نظر دانجلر وحظه  
المواتى الذى جعله يبيع كل اسهمه الاسبانية قبل انهيار اسعارها بساعات ،  
فلم يخسر فيها غير خمسمائة الف فرنك ، بينما خسر الذين لم يبيعوا  
اسهمهم والذين اشتروا اسهمه خسارة مروعة تجعلهم في عداد المفلسين !

وفي صباح اليوم التالى نشرت صحيفة « لومنتيور » التأكيد التالى :

— لم يكن للنبا الذى نشرته « لوميساجير » أمس عن فرار الملك دون  
كارلوس من منفاه والثورة التى شبت في برشلونة أى نصيب من الصحة . .  
فالملك ما زال في « بورج » لم يرجعها ، وشبه الجزيرة ينعم بسلام وسكينة  
تامين . . وقد نتج الخطأ عن رسالة برقية أسىء تفسيرها بسبب الضباب  
الذى كان منتشرًا أمس !

وعلى اثر نشر هذا التأكيد عادت اسعار الاسهم فارتفعت الى اكثر مما  
كانت قبل الهبوط ، فبلغت خسارة دانجلر من البيع مليون فرنك !

وما وقت الساعة الخامسة مساء حتى وصل الكونت دى مونت كريستو  
الى منزله الريفى في « أوتوى » ، يتبعه « على » خادمه العربى الامين . وفي  
تمام الساعة السادسة سمع وقع حوافر جواد عند مدخل البيت . . وكان  
« مكسيمليان موريل » هو الفارس القادم !

وفي اللحظة نفسها وصلت عربة تجرها جواد مطهمة يحف بها جوادان  
آخران يمتطى صهواتهما رجلان ، هبط أحدهما — وكان « دبراى » سكرتير  
وزير الداخلية — وتقدم نحو باب العربة ففتحه ومد يده لراكبتها البارونة ،  
فأخذت يد الشاب بطريقة لم تغب عن فطنة الكونت دى مونت كريستو .  
ثم لاحظ الكونت أيضا أن البارونة دسست في يد الشاب ورقة صغيرة ، وقد  
فعلت ذلك في سر وسهولة ، شأن المرأة التى ألفت هذه المناورات !  
وفي اعقاب البارونة هبط دانجلر من العربة وقد شحبت وجهه كأنه خارج  
من قبره لا من عربته !

ثم ألت البارونة على الفناء المحيط بها وعلى واجهة المنزل نظرة استطلاع  
سريعة لم يغب مغزاها على الكونت ، وراحت تصعد السلم وهى تقمع  
انفعالها جاهدة !

وعلى اثر ذلك أعلن رئيس الخدم وصول « اليكباشى بارتميو كافالكاتنى »  
و « الكونت اندريا كافالكاتنى » . . ودخل الاثنان يخطلان في ثيابهما الجديدة  
الانيقة !

وفجأة شحبت وجه « برتوشيو » وكيل الكونت دى مونت كريستو ،  
حين وقع بصره من خلال باب الدخول المفتوح على مصراعيه ، على المرأة  
التي تصعد السلم ، فهتف هامسا لسيده : « رباه ! . . هذه المرأة ذات التوب  
الابيض والجواهر الثمينة . . ! »

فسأله سيده : « مالها ؟ . . انها مدام دانجلر ! »

— لست اعرف اسمها ، لكنها هى بعينها العشيقة التى رأتها في هذه

الحديقة بالذات ليلة الجريمة .. المرأة التي كانت تنتظر مولودا ، والتي رايتها من خلال السور تتمشى بين الأشجار في انتظار ...  
- في انتظار من ؟

وثقل لسان بورتشيو في حلقة ووقف شعر رأسه فزعا ، وهو يحملق في الداخلين ويشير نحو المسيو دى فيلفور كما يشير الى شبح قائم من بين القبور : « في انتظار هذا .. اذن فانا لم اقتله ؟ »

فقال له الكونت : « طبعاً ما دمت تراه حيا امامك الآن فانت لم تقتله ! . انك قد طعنته بين الضلعين السادس والسابع ، حسب مألوف عادتكم ايها القرويون ، في حين كان ينبغي ان تطعنه في مكان يعلو او يهبط قليلا عن ذلك الموضع .. فان هؤلاء المحامين يتشبثون بالحياة أكثر من سواهم ! .. والان انظر الى المسيو اندريا كافالكانتى ، الشاب ذى السترة السوداء : ! »

وكاد بروتوشيو يصرخ دهشة ، لو لم تسكته نظرة جازمة من سيده ، فاكتمل بأن غمغم « بنديتو ! » .. واذا ذاك قال له الكونت متجاهلا كل ما مضى : « الساعة الآن السادسة والنصف ، وقد امرت باعداد العشاء في هذه الساعة ، ولست احب الانتظار ! » .. ثم تركه وعاد الى ضيوفه ، بينما استند بروتوشيو الى الجدار حتى تماثل نفسه فمضى متجها الى غرفة الطعام ! وبعد خمس دقائق فتح بروتوشيو باب القاعة المفضى الى الصالون على مصراعيه وصاح : « العشاء معد ! »

وهنا نهض الكونت دى مونت كريستو فقدم ذراعه الى السيدة دى فيلفور ، وقال يخاطب زوجها : « هل لك ان ترافق البارونة دانجلر الى المائدة ؟ »

وبعد الفراغ من العشاء الفاخر ، تناول الكونت دى مونت كريستو ذراع البارونة دانجلر وقادها ودى فيلفور الى الحديقة ، حيث وجدوا دانجلر يتناول قدحا من القهوة وقد جلس بين كافالكانتى الاب وكافالكانتى الابن .. فقال الكونت بعد أن مهد لخدمته :

- لكم ان تصدقونى او لا تصدقوا .. لكنى اعتقد ان جريمة ما قد ارتكبت في هذا المنزل ! »

فهتفت السيدة دى فيلفور : « خذ حذرك ، فان قاضى التحقيق هنا ! » فاجاب الكونت على الفور : « اذا كان الامر كذلك فسانتهر فرصة وجوده كي اعلن ما عندى امام شهود .. تعالوا من هذا الطريق يا سادة ، تعال يا مسيو دى فيلفور ، فان ما سألغته ينبغي ان يعلن في مواجهة السلطات المختصة ! »

ثم اخذ ذراع دى فيلفور من ناحية ، وذراع البارونة دانجلر من الناحية الاخرى ، وقادهما الى ظل احدى الأشجار الكثيفة ، فتبعهما الباقون .. ثم قال الكونت فجأة وهو يديق الارض بقدمه :

- هنا .. في هذه البقعة بالذات ، كان يستانى يحفر الارض كي يزودها

بتربة جديدة خصبة تعين هذه الاشجار القديمة على الازدهار ، فعشر على  
هيكل صندوق صغير من الحديد ، بداخله بقايا جثة طفل وليد ! »  
واحس الكونت دي مونت كريستو بذراع البارونة دانجلر يتصلب ، وذراع  
دي فيلفور يرتجف ، بينما تسأل البكباشي كافالكاتني في براءة : « وبماذا  
يقضي القانون هنا على قتلة الاطفال الحديثي الولادة ؟ »  
فاجابه دانجلر : « بالاعدام طبعاً ! »

واذ رأى الكونت أن الشخصين اللذين أعد من أجلهما هذا المشهد يعجزان  
عن تحمل وطأته ، ورغبة منه في أن يتدارك الامر عند هذا الحد مؤقتاً ، قال  
في بساطة متقنة :

— هيا أيها السادة تناول القهوة ، لقد كدنا ننسأها !

ولم يتكلم أندريا الا قليلاً خلال العشاء ، فقد كان فتى ذكياً ، خشي أن ينطق  
بحماسة ما أمام هذا الجمع الحاشد من عليّة القوم ، الذين كان من بينهم رجل  
القانون والمالي الكبير . . . الخ — وكان دانجلر قد ثقل بصره بين الاب والابن  
اللذين تبدوا عليهما مظاهر الثراء الفاحش ، فخيل اليه أنه في حضرة أمير من  
أمراء بلد شرقي بعيد قد أحضر ابنه ليتم تعليمه في باريس ! . . فلما انتهت  
العشاء راح دانجلر يستجوب عميلي بنكه الحديد ، عن أسلوبهما في المعيشة ،  
بحجة التحدث في « الأعمال » . . فأبدى كلاهما من اللطف والدمائة في  
الاستجابة لفضوله ما أدهشه

وفي خلال الحديث خاطبه كافالكاتني الاب قائلاً في أدب مفرط :

— سوف يسرنى أن أشرف غداً يا سيدتي بزيارتك بصدد بعض الاعمال  
فاجابه دانجلر : « وسوف يسعدني ان أستقبلك »

ثم عرض عليه البارون أن يأخذه في عربته الى حيث يقيم بفندق « دي  
برانسن » . . مالم يحرمه ذلك من صحبة ابنه . . فأجاب الضابط على هذه  
العبارة الأخيرة بقوله :

— ان ابني قد ألف ان يعيش بعيداً عني ، وان لكل منا عربته وجياده ،  
بحيث يستطيع ان يذهب ويجيء مستقلاً عن الآخر !

وهكذا استقل الاب عربة دانجلر وجلس الى جواره

اما الابن فقد نادى حوذيّه وراح يعنفه لانه وقف بعربته امام الباب  
الخارجي لا الداخلي ، الامر الذي سيكلفه ان يمشي على قدميه ثلاثين خطوة  
حتى يبلغ مكانها ! . . واذا فرغ الشاب من هذا التأنيب وتأهب للركوب ،  
احس يداً توضع على كتفه ، فلما التفت طالعه وجه رجل قد لوحته الشمس  
ذى لحية كثة وعينين براقيتين وأسنان حادة مدببة كأسنان الذئب أو ابن  
آوى ، وقد ربط رأسه بمنديل احمر ، وارتمى فيأباً قدرة ممزقة لا تكاد  
تستر عظامه النحيلة الشبيهة بهيكل عظمى . . وكانت يده التي وضعها  
على كتف الشاب بالغة الضخامة ، فدعر لرؤيته وتراجع متسائلاً : « ماذا  
تريد مني ؟ »

فاجابه الرجل ذو المنديل الأحمر :

— أغفر لى يا صديقى ازعاجى اياك ، لكنى أريد أن اتحدث اليك ، وأن  
تجنبنى مشقة العودة الى باريس على قدمى ، انى جائع جدا . . ! ولم أتناول  
عشاء فاخرا مثلك ! وهانذا لا اكاد أقوى على الوقوف . . ومن ثم أريد أن  
تحملنى معك فى عربتك . . فهل فهمت يا سيد « بنديتو » ؟  
ولدى سماع هذا الاسم فكر الشاب فى الأمر لحظة ، ثم اتجه الى حوزيه  
قائلا :

— هذا رسول كلفته بمهمة وقد جاء ليبلغنى انباءها . . . فاذهب أنت  
بأية وسيلة أخرى واتركنا فى العربة وحدنا

وانسحب الخوذى متعجبا ، بينما انطلق الرجلان بالعربة ، حتى غادرا  
حدود « أوتوى » ، وإذ ذاك تلفت الشاب حوله ليستوثق من أن أحدا  
لا يمكن أن يراه أو يسمعه ، ثم عقد ذراعيه فوق صدره ، وابتدر الرجل  
الغريب قائلا :

— لماذا جئت تزعج حياتى ؟

فقال الرجل : « دعنى أسالك أولا لم خدعتنى ؟ . . لقد ذكرت لى عند ما  
افترقنا فى (بون دى فار) أنك ذاهب الى اقليمى ( بيدمونت ) و (توسكانى) . .  
لكنك بدلا من ذلك جئت الى باريس ! »

فقال له الشاب : « اذن أنت تتجسس على حركاتى ؟ . . دعنى أحذرك  
يا سيد ( كادروس ) من مغبة ذلك . . والآن حدثنى ماذا تريد منى ؟ »  
فقال كادروس : « أعتقد انى أستطيع العيش بمبلغ مائة فرنك فى الشهر ،  
لكنى لو حصلت على مائة وخمسين أكون أسعد حالا »

وهنا مد اليه الشاب يده بمائتى فرنك وقال له : « فى وسعك أن تمر  
على وكيلى فى بداية كل شهر فيعطيك مثل هذا المبلغ . . والآن وقد حصلت  
على مبتغاك ، وصرنا متفاهمين . . أقفز من العربة وأغرب عن وجهى ! »



فى اليوم التالى أمر داتجلر حوزيه بأن يحمله فى عربته الى المنزل رقم  
٣٠ بشارع الشانزليزيه ، حيث يقيم الكونت دى مونت كريستو . وهناك  
استقبله مرجبا وقال له :

— أنك تبدو متعبا محطما يا عزيزى البارون ، بحيث يزعجنى أمرك . .

— لقد طاردنى سوء الحظ خلال الأيام الأخيرة ، فتوالت على الأنساء  
السيئة . . وقد بلغنى اليوم تبأ جديد ، هو أن ماليا آخر فى « تريسته »  
قد أشهر أفلاسه !

— حقا ؟ ترى هل يكون هذا المالى « جاكوبو مانفريدى » ؟

- هو بعينه !.. هل تصدق ان يفلس مالى مثله كان طيلة السنوات  
 الطويلة التى تعاملت معه خلالها مثالا للانتظام فى الدفع ، دون أى ملاحظة  
 - اذن فقد خسرت ما يقرب من المليونين هذا الشهر ؟  
 - نعم ، ولهذه المناسبة حدثنى عما يطلب منى أن أفعله لسيو كافالكانتى ؟  
 - اذا كان أحد قد أوصاك به وكانت التوصية موثوقا بها ، فلا بأس بأن  
 تعطيه ما يطلب من مال  
 - لقد قدم لى هذا الصباح صكا بمبلغ أربعين ألف فرنك مسحوبا عليك  
 ومجولا منك الى ، وهو بتوقيع « بوزونى » .. وقد صرفت قيمته له فوراً  
 بالطبع .. ولكن هذا ليس كل شيء ، فقد فتح عندى حساباً لابنه هذا  
 الصباح أيضاً !  
 - هل لى ان أسالك كم يعطى ابنه من المال ؟  
 - خمسة آلاف فرنك شهرياً !  
 - اى ستين ألفاً فى السنة ؟.. لقد صدق ظنى فى مبلغ تقبیر الرجل  
 وشحه .. كيف يعيش شاب مثله بخمسة آلاف فرنك فى الشهر ؟  
 - ولكن فى وسع الفتى اذا أراد أن يحصل على بضعة آلاف أخرى !  
 - اياك أن تدفعها له ، فلن يسددها الأب لك .. انك لا تعرف هؤلاء  
 الأثرياء المحدثين ، انهم غاية فى البخل !  
 - الا تثق بكافالكانتى ؟  
 - انا ؟.. انى أدفع ستة ملايين من الفرنكات بضمان توقيعه لا غير !  
 فقال دانجلر فى عدم مبالاة : « آه ، ان النبلاء يتزاجون فيما بينهم ، فهم  
 يحبون أن يوحّدوا ثرواتهم ! »  
 - هذا طبيعى ، بلا شك .. ولكن كافالكانتى مبتكر ، لا يفعل ما يفعله  
 الآخرون .. وقد أحضر ابنه الى فرنسا لينتقى له زوجة !  
 - آه ، اذن فسوف يجد له أميرة من بافاريا او بيرو ، فهو يطمع فى تاج  
 او ثروة طائلة !  
 - كلا ، بل ان هؤلاء السادة العظام الذين يعيشون فى الجانب الآخر من  
 الألب غالباً ما يتزوجون من أسرات بسيطة .. ولذا لا احسبك تفكر فى  
 الأنسة دانجلر ، الا اذا أردت أن يموت اندريا مذبحاً بيد البرت المسكين !  
 فقال دانجلر وهو يهز كتفيه : « البرت ؟. آه .. انه لن يعبأ بالأمر كثيراً  
 فيما اعتقد ! »  
 - كيف ؟. اليس خطوبة له ؟  
 - لقد تحدثنا فى الأمر ، انا وأبوه الميسو دى مورسيرف .. لكن مدام  
 دى مورسيرف والبرت ..  
 - لا احسبك تعنى انها لن تكون صفقة موفقة !

— انى افضل مسيو اندريا كافالكانتى على مسيو البرت دى مورسيرف ،  
فرغم انى لم اولد يارونا من النبلاء ، فان اسمى الحالى هو اسمى الاصلى  
الحقيقى على اية حال ، اما هو فليس اسمه مورسيرف .. ان مورسيرف  
كان صيادا حقيرا يدعى فرناند مونديجو !  
— اذن لماذا فكرت فى اعطائه ابنتك ؟

— لان كلا من فرناند ودانجلر قد صار نبلا وغنيا ، مساويا للآخر فى  
مركزه الادبى ، فيما عدا ان هناك بضعة اشياء تقال عنه ولا تقال عنى انا  
مثلا !

— هذا الذى تقوله يذكرنى بانى سمعت اسم فرناندو مونديجو يقرن  
فى بلاد اليونان باسم على باشا !  
— هذا هو السر الذى انا على استعداد لان ادفع اى ثمن فى سبيل  
الوقوف عليه !

— الامر غاية فى السهولة .. اكتب اذا شئت الى وكيلك فى « بانينا »  
واساله عن الدور الذى لعبه فرنسى يدعى فرناند مونديجو فى كارثة على  
باشا !  
فقال دانجلر وهو ينهض مسرعا : « انت على حق .. ساكتب اليه  
اليوم ! »



اقتيدت مدام دانجلر خلال ممر خاص نحو مكتب مسيو دى فيلفور ،  
فوجدته جالسا فى مقعده يكتب ، وظهره الى الباب .. ولم يتحرك حين  
سمع الباب يفتح والحاجب يقول للزائرة : « تفضللى بالدخول يا سيدتى » .  
ثم يغلّق الباب من جديد .. لكن خطوات الحاجب لم تكذب تبعد حتى نهض  
قاضى التحقيق فأغلق خشب النوافذ والستائر وفحص كل ركن فى الغرفة ،  
ثم قال :

— مضى زمن طويل منذ كانت لى متعة التحدث اليك على حدة يا سيدتى  
.. وانه ليحزننى اننا لم نلتق اليوم الا لتبادل حديثا مؤلما ، فاستجمعى  
كل شجاعتك يا سيدتى ، فانك لم تعرفى بعد غير طرف من الموضوع !  
وكانت البارونة تعرف مبلغ هيدوء دى فيلفور الطبيعى فى الاحوال  
العادية ، فافزعها ما بدا من انفعاله بحيث فتحت فاهها لتصبح ، لكن  
الصبيحة اختنقت فى حلقها .. بينما استطرد هو فقال :

— ارايت كيف بعث ماضينا الرهيب من مرقده فى أعماق ضمائرنا حيث  
دفن .. كى يمثل امامنا الآن مثل الشبح فيجلل وجوهنا بالعار ويكسوها  
شجوب الاموات ؟

فقال له هرمين : « انها المصادفة ولا شك ! »

— المصادفة ؟ . كلا يا سيدتى ! لا يوجد شىء اسمه المصادفة !

— بل يوجد .. أليست المصادفة التي كشفت كل ذلك ؟ . أليست هي التي جعلت الكونت دى مونت كريستو يتناع هذا البيت بالذات ، ويحفر أرض الحديقة في ذلك الموضع بالذات ، فيعثر على الطفل التعس مدفوناً تحت الشجرة ؟ .. ذلك المخلوق البريء المسكين الذي ولد منى ولم أستطع حتى أن أقبله مرة واحدة ، والذي طالما بكيته بدموعي الحارة ؟ »

فاجابها دى فيلفور في صوت أجوف : « كلا يا سيدتى .. وهذا هو النبأ الرهيب الذي أصارك به اليوم .. لم يوجد شيء مدفوناً تحت الشجرة ، لم توجد جثة طفل .. انك لا ينبغي أن تبكى ، بل يجب أن ترتجفي هلعاً .. ! »

— إذن فأنت لم تدفن طفلي المسكين هناك ؟ . لماذا إذن خدعتنى ؟ . أين وضعته ؟ قل لى .. أين ؟

— هناك ! ولكن أصغى الى .. ولسوف ترئين لحال شخص حمل العبء الثقيل وحده طيلة عشرين عاماً .. العبء المفجع الذي يوشك أن ييؤك لك بسرره الآن ، دون أن يلقى أبسط جزء منه على عاتقك ! فمئذ عدت الى وعيى بعد أن شفيت من طعنة ذلك الكورسيكى اللعين ، جعلت همى أن أبحث عن جثة الطفل ، فعمدت الى الاستفسار فوراً عن مصير البيت الذي كنا نلتقى فيه ، وحين علمت أن أحداً لم يقطنه منذ تركناه هرعتم اليه من فورى ، فلم أدع موضعاً من الحديقة لم أضربه بفأسى ، آملاً أن تصطدم الفأس بسطح الصندوق الحديدى ، ولكن دون جدوى ! .. لم أعرش بشيء ! .. فجعلت أسألك نفسى : « ما الذى يجعل ذلك الرجل يأخذ جثة الطفل ؟ ان الأجسام الميتة لا تقتنى بل تعرض على قاضى التحقيق كي يستقى منها الأدلة التى يريدونها ثم تدفن .. لكن شيئاً من هذا لم يحدث ! »

فتساءلت هرمين وهى ترتعد فى عنف : « إذن ما الذى حدث ؟ »  
— شيء أفظع وأقسى عاقبة .. قد يكون القاتل وجد الطفل حياً فانقذه ! «  
وهنا اطلقت البارونة دانجلر صيحة ثاقبة وامسكت يد دى فيلفور هائفة :

— ابنى كان حياً ؟ .. هل دفنته حياً ؟ دفنته دون أن تستوثق من موته ؟ . رباه !

— لست أدري ، وانما انا افترض ذلك ، كما افترض أى فرض آخر .. !  
وزاغت عينا الرجل ، ودلت نظرته على أن عقله الثاقب قد بلغ حافة اليأس والجنون .. وراح يغمغم : « اذا كان الأمر كذلك » وصح هذا الفرض فاتناً نكون قد هلكنا .. يكون الطفل ما يزال على قيد الحياة ، ويكون هناك شخص يعرف سرنا .. وما دام الكونت دى مونت كريستو قد تحدث أمامنا عن طفل وجد فى الحديقة ، فى حين أن ذلك الطفل لا يمكن أن يكون قد وجد .. إذن فهو الذى يقف على سرنا ! »



وبعد بضعة أيام كان دى فيلفور جالسا في بيته مكتئبا ، حين سمع صوت عجلات تدنو من الباب ، ثم تلاه وقع خطوات تصعد السلم .. وفتح الباب بعد ذلك ، فدخلت منه عجوز تحمل معطفها على ذراعها وقبعاتها في يدها .. وكان منظرها مؤلما بشعرها الأبيض ؟ وجبينها الأصفر ، وعينيها اللتين غضنتهما الشيوخة وكادت تختفيان وراء أجفانها التي قرحها البكاء !

وهتفت المرأة في لوعة : « اواه يا سيدى !.. اية كارثة حلت بى !.. اننى سأموت حزنا بلا شك ! »

فنهض دى فيلفور وخف لاستقبال حماته - الاولى - متسائلا : « ماذا حدث ؟ ما الذى أزعجك ؟ هل مسيو دى سانت ميران معك ؟ »

فأجابت المركيزة العجوز دون مقدمات ودون أى تعبير على وجهها ، من فرط ذهولها : « ان مسيو دى سانت ميران قدم مات »

فترجع دى فيلفور وهو يضم يديه صائحا : « مات ؟.. هكذا فجأة ؟ »

فقالت المركيزة : « منذ اسبوع خرجنا معا في العربة بعد الغداء . وكان زوجى متوعل الصحة منذ أيام ، لكن فكرة رؤية عزيزتنا فالتين مرة أخرى أمدته بالشجاعة ، فأغفل أمر مرضه .. وعلى بعد ستة فراسخ من مرسيليا ، بعد تناول الاقراص التى ألف تناولها ، نام نوما عميقا الى درجة شعرت معها انه نوم غير طبيعى .. لكنى ترددت مع ذلك في إيقافه ، ولو انى لاحظت احتقانا في وجهه وعنفا غير عادى في نبضات عروق صدغه !.. ولم البث أن أغفيت انا بدورى ، ثم صحت بعد حين على حشرجة كالتى تصدر من شخص يتالم من كابوس .. وفجأةلقى رأسه الى الخلف بشدة ، فاستعملت الأملح التى تزيل الاغماء .. لكن كل شيء كان قد انتهى ! ولم نصل الى « ايكس » حتى كان جثة هامدة ! »

وكان دى فيلفور يصفى الى القصة وقد ففر فاه من فرط ذهوله .. ولم ينطق بحرف !



وفي مساء اليوم التالى غادر دى فيلفور المنزل ومعه الطبيب .. وقال القاضى لرافقه : « اواه يا عزيزى !.. لقد اعلنت السماء الحرب على بيتى !.. يا لها من ميتة فظيعة ، اية كارثة ! لا تحاول مواساتى ، فما من شيء يستطيع أن يخفف من فداحة حزنى ، ان الجرح عميق وحديث ! »

فأجابه الطبيب : « يا عزيزى دى فيلفور ، ما صحبتك الى هنا كي اواسيك ، بل على العكس ، فان وراء الخطب الذى اصابك خطبا آخر امر وادهى . لقد ماتت المركيزة دى سانت ميران من جرعة قوية من «بروسين» الستركنين » لعلها قد أعطيت لها خطأ »

فتناول دى فيلفور يد الطبيب وقال : « هذا مستحيل .. لا بد انى احلم ! »

— هل للمركيزة دى سانت ميران اعداء ؟

— لست اعلم ان لها اى اعداء

— الا يحتمل ان يكون الخادم باروا قد اخطأ فاعطاها جرعة نانت معدة لسيده ؟

— لا ادرى .. ولكن كيف يكون دواء مسيو نواتييه ساما للمركيزة ؟

— هذا امر غاية فى البساطة ، فهناك سموم تغدو ادوية للعلاج فى بعض الحالات ، ومنها حالة الشلل .. وقد وصفت لمسيو نواتييه فى آخر زيارة ست جبات من البروسين ، وهى جرعة يحتملها هو لانه اخذ من المادة جرعات سابقة صغيرة ، لكنها لو اعطيت لأول مرة لاي انسان لقتلته فوراً !

— ولكن ليس هناك يا عزيزى اى اتصال بين جناح مسيو نواتييه وجناح المركيزة دى سانت ميران ، ولم يدخل باروا مخدع حمايتى قط !

— يا عزيزى دى فيلفور ، لو كان فى طاقة الطب ان ينقذ المركيزة دى سانت ميران لانقذتها ، لكنها قد ماتت .. وواجبى الآن ينحصر فى حماية الأحياء ، فلندفن هذا السر الرهيب فى أعماق قلوبنا ، وأنا على استعداد — فيما لو ارتاب احد فى الأمر — ان أعزو سكوتى عن التبليغ الى جهلى .. وفى اثناء ذلك عليك ان تشدد رقابتك ، فلعل الشر لا يقف عند هذا الحد . وحين تكتشف المجرم — اذا عثرت عليه — سأقول لك : « أنت قاضى تحقيق وأعرف بواجبك ! »



## سر مصرع الجنرال

على أثر الجنادة المزدوجة للمركيز والمركيزة دى سانت ميران ، عاد دى فيلفور بصحبة فرانز دييناي الى حى سانت أونوريه ، فمضى القاضى الى مكتبه مباشرة ، دون أن يعرج على حجرة زوجته أو ابنته .. وهناك قدم للشاب مقعداً وهو يقول له :

— مسيو دييناي ، اسمح لى أن أذكرك فى هذه اللحظة بأن الفقيدة قد أعربت ، وهى على فراش الموت ، عن رغبتها فى الا يتأخر زفاف فالتين عن موعدة . وليس فى هذا الأمر ما يجافى الذوق كما قد يبدو لأول وهلة ، فان تنفيذ رغبات الموتى اول ما يجب لهم على الأحياء ! فقال الشاب : « كما تشاء يا سيدى ! » . وواصل دى فيلفور كلامه فقال :

— اذن أرجو أن تتكرم بالانتظار نصف ساعة ريثما تهبط فالتين من غرفتها .. وسأرسل فى استدعاء مسيو « ديشان » كى تقرأ عقد الزواج ونوقع عليه قبل أن نفترق .. ولسوف تصعب السيدة دى فيلفور فالتين الليلة الى ضيعتها على أن تلحق بهما بعد أسبوع !

وحين حضر مسجل العقود ابتدر فرانز بقوله : « ينبغي أن أخبرك يا سيدى ، بنساء على طلب مسيو دى فيلفور ، بأن زواجك المرتقب من الأنسة دى فيلفور قد غير عواطف مسيو نوارتييه نحو حفيدته ، فجردها من ثروته التى كانت سترتها ! . واضيف الى ذلك أن الموصى — الذى لا يملك غير حق التصرف فى جزء من ثروته فقط — قد تصرف فى ثروته كلها ، الأمر الذى يجعل الوصية قابلة للطعن والالغاء ! »

وهنا أردف مسيو دى فيلفور : « نعم ، لكنى أبادر فأنبه مسيو دييناي الى أن وصية ابن لن يتازع فيها خلال حياتى ، فان مركزى يحول دون تجريحها ! »

ولم يكد الشاب يفرغ من هذا القول حتى فتح الباب وبرز على عتبة « باروا » وقال : « سادتى . أن مسيو نوارتييه يرغب فى أن يتحدث الآن الى مسيو فرانز دييناي ! »

فالتفت دى فيلفور الى ابنته وقال لها : « فالتين .. يجب أن تذهبي لتبحثى هذه النزوة الجديدة من جانب جدك ! »  
فنهضت الفتاة على لمجمل وأسرعت نحو الباب مغتبطة ، ولكن صوت

أيها ما لبث أن لاحقها إذ غير رأيه فقال : « انتظري .. سأذهب معك ! »  
وكان نوارتييه متأهباً للقائهم ، فلما دخل الأشخاص الثلاثة الذين كان  
ينتظرهم ، نظر إلى الباب .. فأغلقه خادمه وأذ ذلك همس دى فيلفور  
في أذن ابنته ، التي عجزت عن إخفاء فرحتها : « اصغى إلى .. إذا أراد  
مسيو نوارتييه أن يتخذ أى إجراء يؤخر موعد زواجك فأنى أمتنع من أن  
تفهمى أشارته ! »

وأوماً نوارتييه إلى فالتين كي تقترب ، وأدركت هى من أول إشارة أن  
جدها يريد مفتاحاً .. ثم استقرت عيناه على درج في خزانة صغيرة تقع  
بين النوافذ ، ففتحت الدرج ، ووجدت مفتاحاً ، وهنا أدار الشيخ المشلول  
عينيه نحو منضدة مكتب صغيرة مهملة منذ سنوات ، بحيث ما كان أحد  
ليعتقد أنها تضم أوراقاً ذات قيمة ... ففتحتها الفتاة وأخرجت منها  
حزمة من الأوراق مربوطة برباط أسود ، تناولها فرانز وقرأ على غلافها  
هذه العبارة : « تسلم عقب وفاتى إلى الجنرال « دوران » ، الذى سوف  
يوصى بالحزمة إلى ابنه بعد أن ينبهه إلى ضرورة المحافظة عليها باعتبارها  
تضم مستندات هامة ! »

ثم فض فرانز الحزمة وقرأ بصوت مسموع وسط سكون الحجرة :  
« صورة من محضر جلسة نادى أنصار يونابرت الكائن بشوارع سان جاك ،  
يوم ٥ فبراير سنة ١٨١٥ »

وعندئذ توقف فرانز عن القراءة وقال : « ٥ فبراير سنة ١٨١٥ .. انه  
اليوم الذى قتل فيه أبى ! »

فلم ينبس دى فيلفور أو فالتين بكلمة ، بينما أوما الشيخ المشلول إلى  
الشباب كى يواصل القراءة .. لكن هذا قال وكأنه يحدث نفسه : « لقد  
اختفى أبى عند مغادرته هذا النادى ! » .. فلما استحثته عين المريض ،  
قرأ :

« يعلن الموقعون على هذا المحضر أنهم قد تلقوا يوم ٤ فبراير خطاباً من  
جزيرة ( البا ) يوصى بأن يضم النادى إلى عضويته ( الجنرال فلافيان دى  
كينيل ) الذى خدم الإمبراطور من سنة ١٨٠٤ إلى ١٨١٤ وما زال يخص  
بمواطنه أسرة نابليون ، بفض النظر عن لقب البارون وضيفة دابيناى اللتين  
منحه إياهما لتوه الملك لويس الثامن عشر ! .. ومن ثم طلب المجتمعون إلى  
المرشح الجديد أن يحضر الجلسة التى تعقد في اليوم التالى - ٥ فبراير -  
فلما حضر بدأ الحاضرون باستجوابونه عن عواطفه السياسية ، لكنه اكتفى  
بالقول أنها واضحة من الخطاب المرسل من جزيرة البا .. فحاول الرئيس  
أغراءه بأن يتكلم بمزيد من الوضوح والتحديد .. وحين شدد المجتمعون  
عليه الخناق قال : ( لم تمض أيام على إعلانى ولائى للملك لويس الثامن  
عشر ، بحيث يصعب على أن أحث بعهدى فأنضم إلى الإمبراطور  
السابق ! ) .. وكان الرد من الوضوح بحيث لا يدع مجالاً للشك في حقيقة

عواطف الرجل .. فنهض الرئيس وقال يخاطب الجنرال : ا سيدى ان كلامك يدل بوضوح على ان سلطات جزيرة البها خدعت فيك وخدعتنا ، ونحن لن نجبرك على ان تسامدنا ضد ضميرك ، لكننا سترغمك على ان تتصرف تصرفا كريما ! . فأجاب الجنرال : ( تقصدون ان اقف على مؤامرتكم ولا ابلغ عنها ؟ انى اسمى هذا اشتراكا معكم فيها .. وهكذا ترون انى اكثر صراحة منكم ! ) .. فأجابه الرئيس : ( ان احدا لم يرغمك على حضور هذا الاجتماع ، وانت من الفطنة بحيث تدرك موقفنا الحالى . وصراحتك تملى علينا الشروط التى ينبغى ان نفرضها عليك ! ) .. فنظر الرجل فيما حوله فى قلق ثم تذرع بكل صلابة وقال : ( اننى لن اقسم بيمين الولاء ) .. وعندئذ قال له الرئيس فى هدوء : ( اذن يجب ان تموت ! ) .. ونهض الرئيس فاشار الى ثلاثة من الاعضاء كى يتبعوه ، ثم ركب الجميع العربى مع الجنرال بعد ان عصبوا عينيه .. حتى بلغوا ذلك الجزء من رصيف ( اورم ) الذى يقود سلمه الى النهر ، وهناك وضع المصباح على الارض ووقف الخصمان متواجهان .. ثم بدأت المباراة .. وبرغم ان الجنرال دينناى كان من ابرع رجال الجيش فى المباراة ، فانه سقط ميتا بعد خمس دقائق .. وعندئذ القيت جثته فى النهر وعاد الشهود من حيث اتوا . وهكذا يتبين ان الجنرال مات فى مباراة شريفة وليس فى كمين غادر كما اشيع ، وقد حررنا هذا المحضر وذيلناه بتوقيعاتنا اثباتا لهذه الحقيقة خشية ان يجيء اليوم الذى يتهم فيه احد ظلمنا بقتل الرجل عمدا او بخرق قواعد الشرف واصول المباراة بالتوقيعات : بورير .. ديشامبى .. ليشاربال »

وهنا قال دينناى يحدث نوارتييه : « سيدى ، ما دمت على علم بكل هذه التفاصيل التى يقرها شهود شرفاء ، وما دمت تهتم بأمرى - برغم انك اظهرت هذا الاهتمام فى صورة عكسية سببت لى مزيدا من الاسى - فلا تضن على باجابة مطلب واحد آخر . اذكر لى اسم رئيس ذلك النادى ، حتى اعرف على الاقل اسم قاتل ابى »

ثم التفت الى فالتين وقال لها : « آنتسى ، ضمى جهلك الى جهدى كى نكتشف اسم الرجل الذى جعلنى يتيما فى سن الثانية من عمرى ! »

لكن فالتين بقيت جامدة صامته ، بينما نظر نوارتييه الى القاموس ، فتناوله فرانز وهو يرتجف فى عصبية وراح يكرر على مسمع الريض جميع الحروف الأبجدية على التتابع حتى اوقفه هذا عند حرف « ا » ثم عند حرف « ن » ثم حرف « ا » .. وهى الحروف التى تكون كلمة « انا » .. فهتف فرانز مدعورا : انت ؟ . انت يا مسيو نوارتييه الذى قتلت ابى ؟ « فأجاب نوارتييه وهو ينظر الى الشاب نظرة ذات جلال :

- « نعم ! » واذا ذاك تهالك فرانز على مقعد هناك خائر القوى ، بينما فتح دى فيلفور الباب ولا بالفرار ، فقد راودته فكرة اخماد البقية الباقية من الحياة فى قلب الشيخ المسن الرهيب !

## فى سوق الرقيق

جلس الكونت دى مونت كريستو والبرت دى مورسيرف - بعد عودتهما من حفلة استقبال فى بيت دانجلر - يتناولان الشاي فى صالون منزل الكونت ، ثم تطلع مورسيرف نحو الباب الذى كانت تنبعث من ورائه أصوات تشبه أنغام القيثارة ٠٠ فقال له الكونت كريستو :

- لقد قسم لك يا عزيزى الفيكونت أن تسمع الكثير من الموسيقى هذا المساء ٠٠ فانك لم تكذب تنجو من بيانو الانسة دانجلر حتى لاحقتك قيثارة « هايدى » !

فقال ألبرت : « هايدى » ٠٠ يا له من اسم ساحر ! هل هناك حقا نساء يخمنن اسم هايدى ، فى غير شعر بيرون ؟ »

- بلا شك ٠٠ ان اسم هايدى اسم نادر فى فرنسا ، لكنه شائع منتشر فى « البانيا » وجزيرة « ابيروس » ٠٠٠ وقد ولدت وارثة لكنوز لا تعد كنوز « ألف ليلة وليلة » بالقياس اليها شيئا مذكورا !  
- لا بد اذن انها أميرة ؟

- أنت على حق ، بل انها من أعظم أميرات بلدها !  
- اذن كيف صارت جارية لك وهى أميرة عظيمة ؟  
- انها نتائج الحرب يا عزيزى الفيكونت ، وتقلباتها ونزواتها  
- وهل اسمها الكامل وشخصيتها سر من الاسرار ؟  
- هل تعرف تاريخ على باشا والى يانينا ؟  
- على باشا ؟ ٠٠٠ أوه ، نعم ٠٠ انه الوالى الذى كون أبى ثروته وهو فى خدمته

- هذا صحيح ، لقد نسيت ذلك ٠٠ اذن فلتعلم أن هايدى هى ابنة على باشا من الحسناء « فاسيليكي »  
- وكيف صارت جارية لك ؟

- لقد اشتريتها ذات يوم وأنا مار فى سوق القسطنطينية  
- هذه مصادفة رائعة ٠٠ ولهذه المناسبة هل لى أن أطمع فى أن تقدمنى لها ؟  
- أقبل ذلك بشرطين : أولهما ألا تبوح يوما بأنى منحتك هذه

الفرصة .. والثانى ألا تخبرها قط بأن أباك كان يوما فى خدمة أبيها !  
- حسنا ! .. انى أقبل هذين الشرطين !



جلست هايدى فى انتظار زائريها فى الحجرة الاولى من جناحها ، وهى حجرة الاستقبال .. وكانت عيناها الواسعتان تفيضان دهشة وترقبا ، فقد كانت هذه هى المرة الاولى التى يسمح فيها الكونت دى مونت كريستو لانسان بزيارتها ! وكانت جالسة على أريكة فى زاوية من الحجرة ، وقد عقدت ساقيها تحتها على الطريقة الشرقية

وقال ألبرت بالاطالية : « يا مضيفى العزيز ، وسيدتى السنيورة ، اغفرا لى غيائى الظاهر ، فانى جد حائر .. ومن الطبيعى أن أكون كذلك ، فأنا الآن فى قلب باريس ، ومع ذلك أحس كأنى نقلت فجأة الى الشرق .. لا كما رأته عيناي ، بل كما رسمه خيالى .. آه يا سنيورة لو أننى كنت أستطيع أن أتكلم باليونانية ، لكان حديثك الطلى ، بالاضافة الى المناظر الساحرة الخيالية التى تحيط بى ، يمنحنى سهرة ممتعة يستحيل على أن أنساها !

فأجابت هايدى فى هدوء : « انى أعرف قليلا من الايطالية يتيح لى أن أجاذبك الحديث بها .. واذا كنت مولعا بكل ما هو شرقى فسوف أبذل جهدى كى أتيح لك ما يرضى ذوقك أثناء وجودك هنا ! »

فقال ألبرت للكونت بصوت خافت : « اسمح للسنيورة يا كونت أن تسرد على طرفا من تاريخها ، لقد منعتنى من الاشارة الى اسم والدى على مسمع منها .. ولكن لعلها تشير اليه من تلقاء نفسها أثناء الحديث ، وأنت لا تستطيع أن تتصور كم يلد لى أن أسمع اسم أسرتنا تنطق به هاتان الشفتان الجميلتان ! »

وهنا التفت الكونت الى هايدى ، ثم قال لها باليونانية ، وعلى وجهه تعبير أمر : « حدثينا بقصة مأساة أبيك ، ولكن دون أن تذكرى اسم الحائن ولا تفصيل الحيانة ! »

فتنهدت هايدى من قلب مكلوم ، وكست وجهها سحابة من الحزن .. ثم قالت : « تريدنى اذن أن أسرد تاريخ أشجائى الماضية ؟ حسنا ! .. كنت فى الرابعة من عمري حين أيقظتنى أمى فجأة ذات ليلة ، وكنا فى قصر يانينا ، فلم أكد أفتح عيني حتى رأيت عينيها مغرورتين بالدموع .. ثم انتزعتنى من الفراش الوثير الذى كنت نائمة عليه ، دون أن تنبس بكلمة ، كى نلوذ بالفرار .. وقد قيل لى بعدئذ : ان حامية قصر يانينا التى أضناها العمل المتواصل ، قد استسلمت لخورشيد باشا الذى أرسله السلطان للقبض على أبى .. وبعد قليل كنا جميعا فى ( الملجأ ) الذى أعده أبى من

قبل وأطلق عليه اسم «المخبأ» ، بعد أن أرسل الى السلطان كتابا مع ضابط فرنسي كان يوليه ثقته الكاملة ! »

فسألها ألبرت : « ألا تذكرين اسم هذا الضابط يا سنيورة ؟ »  
وهنا تبادل الكونت مع هايدى نظرة سريعة لم يلحظها الشاب ، فأجابت قائلة :

— لست أذكره الآن ، ولكن اذا تذكرته أثناء حديثنا فسوف أذكره لك !  
وهنا كاد ألبرت ينطق باسم أبيه ، لولا أن ذكره الكونت بوعده السابق بإشارة تحذير بسبابته ، فلاذ بالصمت . . . بينما استأنفت الفتاة كلامها فقالت :

— كان المخبأ الذى لجأنا اليه جزيرة صغيرة تتوسط احدى البحيرات .  
وكان هناك كهف تحت الارض فأخذت اليه مع أمي وحاشيتنا من النساء . . .  
وكان فى الكهف ستون ألف حافظة تحوى ٢٥ مليون جنيه من الذهب ،  
ومائتا برميل من البارود بها ثلاثون ألف رطل من البارود . . . والى جوار  
البراميل وقف وكيل أبى الوفى المفضل « سليم » يحرس الكهف ليل نهار  
وفى يده حربة مزودة بثقاب دائم الاشتعال . . . وكان لديه أمر بأن ينسف  
الكهف بكل من فيه وما فيه حتى ان كان أبى بداخله فى اللحظة التى يتلقى  
فيها الاشارة المتفق عليها من قبل !

« وذات يوم أرسل أبى يدعونا اليه ، وكانت أمي قد قضت ليلتها  
مؤرقة تيمكى ، وهى فريسة لاشد حالات التعاسة . . . فوجدنا الباشا هادئا  
ولكن أكثر شحوبا من المألوف . . . وابتدر أمي قائلا : ( تشجعى يا فاسيلكى ،  
فالיום يصل المرسوم السلطانى الذى يقرر مصيرى . . . فاذا كان قد منحنى  
عفوا كاملا فسنعود منتصرين الى يانينا . . . أما لو كانت الانباء مريية ،  
فينبغى أن نفر الليلة ! )

« فقالت له أمي : ( وماذا تصنع اذا حال عدونا دون هذا الفرار ؟ ) . . .  
فأجابها وهو يبتسم : ( لا تقلقى بشأن ذلك ، ففى هذه الحالة يتكفل سليم  
وحريته بحسم الموقف . انهم سوف يسرون برويتى ميتا ، لكنهم لن يسروا  
بأن يموتوا معى ! )

« كان ذلك فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبرغم أن النهار كان  
مشرقاً فى الخارج ، كنا داخل الكهف فى ظلمة تامة ، فيما عدا بصيص من  
الضوء فى ركن منها ، ينبعث من حربة سليم . . . كان أشبه بنجمة وحيدة  
فى سماء معتمة ! . . . وفجأة سمعنا صيحات عالية ، تبينا فيها رنين الفرح ،  
وتجاوب الحراس فى الخارج باسم الضابط الفرنسى الذى أوفده أبى الى  
السلطان ، فأدركنا جميعا ان الرجل عاد يحمل ردا مرضيا

« وازداد الضجيج ، واقتربت خطوات تهبط السلم الى داخل الكهف ،  
وأعد سليم العدة لاشعال البارود فى حالة حدوث ما يستلزم ذلك . . .  
وعندئذ ظهر فى مدخل الكهف شخص لم يتبين سليم وجهه بسبب الظلام ،



فصاح به : ( من أنت ٠٠٩ حذار أن تتقدم خطوة أخرى ! ) ٠٠ فأجابه الآخر  
عائفا : ( عاش السلطان ! لقد منح جلالته على باشا وزيره عفوا كاملا ٠٠  
ولم يرد اليه حياتها وحدها ، بل رد اليه أيضا ثروته وممتلكاته ! )

« وهنا سأله سليم : ( باسم من تتكلم ؟ )

« فأجاب : ( باسم سيدنا على باشا )

« فقال له سليم : ( إذا كنت قادما من عند على باشا نفسه ، فأنت تعرف  
العلامة التي يجب أن تظهرها لي ؟ )

« وقال الضابط : ( نعم ٠٠ ها أنذا أحمل اليه خاتمه ! ) ٠٠ ثم رفع  
يده فوق رأسه ليظهر العلامة ، لكن المسافة كانت بعيدة والضوء أضعف  
من أن يسمح لسليم بتمييزها ٠٠ فقال له : ( لست أرى ما في يدك ٠٠  
ولن أسمع لك بأن تقترب ، بل لن أقرب أنا منك قبل أن تضع الشيء الذي  
تحمله في الضوء الذي يشع هناك ، ثم تنسحب ريثما أفحصه )

« ووضع الرسول العلامة في المكان الذي عينه له سليم ، ثم انسحب ٠٠  
فاقترب سليم من المكان ، وتناول العلامة وتأملها مليا ثم قبلها وهتف قائلا:  
( انها هي ٠٠ انها خاتم سيدي ! ) ٠٠ ثم ألقي الشعلة من يده وداسها  
بقدمه فأطفأها ٠٠ وعندئذ أطلق الرسول صيحة ظفر وصفق بيديه ٠٠  
وسرعان ما ظهر فجأة أربعة من جنود ( خورشيد ) وسقط سليم على الفور  
مصابا بخمس طعنات ثم تقدم الضابط والجنود الأربعة والخوف يكسو  
وجوههم شحوبا ، وراحوا يفتشون أنحاء الكهف ليستوثقوا من زوال خطر  
الحريق والانفجار ٠٠ وعندئذ انقضوا على حقائب الذهب ينهبونها !

« وفي تلك اللحظة حملتني أمي بين ذراعيها ، ثم هرعت في سكون  
عبر ممرات وسرايب خفية لم يكن يعرفها غيرنا ، حتى وصلت إلى سلم آخر  
يفضي إلى مدخل مستقل من مداخل الكهف ، وهناك كانت تسود المكان  
ضجة واضطراب شديدان ٠ كان جنود خورشيد يملأون الحجرات السفلى ٠  
وفيما كانت أمي توشك أن تفتح بابا صغيرا سمعنا صوت أبي يصبح مهددا  
فنظرنا من خلال فرجات بين الأخشاب ، وإذا أبي يقول لبضعة أشخاص  
يحمل أحدهم في يده ورقة مكتوبة بأحرف من ذهب : ( ماذا تريدون ؟ ) ٠  
فأجابوه : ( نريد أن نبلك ارادة صاحب الجلالة هل ترى هذا الفرمان ؟ ٠٠  
إن جلالة السلطان يطلب رأسك فيه ! ) ٠٠ وأطلق أبي ضحكة مدوية خفيفة ،  
ثم أطلق مسدسة فصرع اثنين من الجنود ٠ وفي هذه اللحظة بدأ إطلاق النار  
من الجهة المقابلة ، واخترقت الرصاصات الحوايط من كل جانب ، ورغم  
ذلك بدا أبي جليل المظهر وهو يكر على خصومه فيفرغهم ويلجئهم إلى الفرار ،  
وكان في الوقت نفسه يصيح بحارسه : ( سليم ! سليم ! أد واجبك ! )  
٠٠ فأجابه صوت كأنه صادر من جوف الأرض : ( لقد مات سليم ، وأنت  
قد ضعت يا علي ! ) ٠٠ وفي هذه اللحظة نفسها دوى المكان بانفجار قوى ،  
وتناثرت أرض الحجرة التي كان فيها أبي ، وكان الجنود يطلقون النار من

أسفل) ٠٠ وعندئذ مد أبى أصابعه وهو يزأر بشسدة الى الثغرات التى أحدثتها الطلقات فى أرض المكان وانتزع واحدا من الألواح الخشبية ٠ وعلى الفور انطلقت من جوف الارض عشرون طلقة قوية وتدافعت ألسنة اللهب كأنما يقذف بها بركان فالتهمت محتويات الغرفة ٠٠ وخالل هذا الضجيج المروع والصرخات المفزعة انطلقت طلقتان واضحتان تبعتهما صرختان حادثان جعلتا الدم يتجمد فى عروقى ٠٠ فقد أصابتا أبى ، ورغم ذلك ظل واقفا ، متشبثا بالنافذة ٠٠ بينما حاولت أمى اقتحام الباب ، كى تموت بجانبه ، لكنه كان مغلقا من الداخل ٠٠!

« وهنا تداعت فجأة أرض المكان بأكملها ، فسقط أبى على إحدى ركبتيه ، وفى اللحظة عينها امتدت نحوه عشرون يدا مسلحة بالخنجر والمسدسات ٠٠ عشرون هجمة ركزت كلها ضد شخص واحد ، فاختفى والذى وسط اعصار من النار والدخان ، حتى لكأن الجحيم قد فغر فاه تحت قدميه ٠٠ وشعرت بنفسى أسقط الى الأرض ، بينما أغمى على أمى! ٠٠ وحين أفأقت من اغماؤها كنا نمثل أمام خورشيد ، فهتفت به أمى : ( اقتل ، ولكن ابق لأرملة على باشا شرفها ! ) ٠٠

« فأجابها : ( لست أنا الذى ينبغي أن تلجئى اليه ٠٠ بل ينبغي أن تلجئى الى سيدك الجديد ! ) ٠٠ قال هذا وهو يشير الى شخص بجانبه كان قد ساهم أكثر من سواه فى قتل أبى ! »

ولاحظ ألبرت أن هايدى ازدادت لهجتها حدة وهى تنطق بهذه العبارة ٠ ثم استطردت فقالت :

— على أن هذا الشخص لم يجرؤ على الاحتفاظ بنا ، وهكذا باعونا الى بعض تجار الرقيق المسافرين الى القسطنطينية ، فعبرنا بلاد اليونان حتى وصلنا الى أبواب عاصمة السلطان ونحن بين الموت والحياة ٠ وكانت تحيط بالبوابة جمهرة من الناس أفسحت لنا طريقا لنمر ٠ وفجأة حانت من أمى نظرة الى شئ كانوا جميعا يتأملونه ، فأطلقت صرخة مروعة وسقطت على الأرض وهى تشير الى رأس كان معلقا فوق البوابة ، وتحت لوحة كتب فيها ( رأس على باشا والى يانينا )

« ولم أكد أقرأ ما فى اللوحة حتى صرخت فى مرارة ، وجاؤلت أن أرفع أمى عن الأرض ، لكنها كانت جثة هامدة ٠٠! ومن ثم أخذت الى سوق الرقيق حيث اشتراى ثرى أرمنى تولى تعليمى وتثقيفى فأحضر لى المعلمين والاساتذة ، فلما بلغت الثالثة عشرة باعنى الى السلطان « محمود »

وسكنت هايدى ، فقال الكونت متمما قصتها : « ومنه اشتريتها أنا ! » أما ألبرت فبقى بعض الوقت مأخوذا مشدوها من كل ما سمع ، الى أن قال له الكونت : « هيا ، أفرغ قدح القهوة الذى أمامك ٠٠ فقد انتهت القصة ! »

## شراب قاتل !

لو أتبع لفالتين أن ترى اضطراب خطوات فرانز والانفعال الذى بدأ على وجهه حين غادر حجرة مسيو نوارتييه ، لأشفقت عليه ، برغم كل شئ !

وكان دى فيلفور قد غمغم ببضع عبارات متقطعة ثم انسحب الى حجرة مكتبه ، حيث تلقى بعد ساعتين الخطاب التالى : « بعد الامور التى انكشفت هذا الصباح ، لابد أن يقدر مسيو نوارتييه دى فيلفور استحالة عقد أى صلة بين أسرته وأسرته فرانز ديبيناي . وانه ليدهش مسيو ديبيناي ويصدمه أن مسيو دى فيلفور - الذى ظهر أنه كان على علم بكل الظروف التى انكشف أمرها هذا الصباح - لم يبادر الى اخطاره بها قبل الآن ! » وفى اليوم التالى دعا نوارتييه مسجل العقود وجعله يلغى الوصية الاولى ويسجل بدلا منها وصية أخرى يترك فيها كل ثروته لحفيده فالتين، بشرط ألا تنفصل عنه مدى حياته . . . وعندئذ شاع فى كل مكان أن الأنسة دى فيلفور وريثة المركز والمركيزة دى سان ميران ، قد استردت رضا جدتها ، وأنها سوف تصبح ذات ايراد يبلغ ثلاثمائة ألف ريال

وفى الساعة التاسعة من ذلك الصباح ارتدى ألبرت دى مورسيرف سترة سوداء ومضى فى خطوات سريعة مضطربة فى اتجاه دار الكونت دى مونت كريستو فى الشانزلزيه . . . وفيما هو يعبر شارع « ممر الأرامل » رأى عربة الكونت واقفة أمام حانوت لاسلحة الرماية هناك ، ثم خرج الكونت فى هذه اللحظة من الحانوت فابتدره الشاب من دون أن يؤدى له التحية المفروضة : « انى سوف أبارز اليوم ، وقد جئت أرجو منك أن تكون شاهدى ! »

فأجابه الكونت : « هذه مسألة أخطر من أن تناقش فى الطريق . . . فلندع الحديث فيها حتى نصل الى البيت ! »

ثم استقل كلاهما عربة الكونت الى منزله فبلغاه بعد دقائق . . . وهناك أخذ الكونت ضيفه الى حجرة مكتبه . . . وبعد أن جلسا قال له : « فلنتحدث الآن فى الأمر بهدوء . . . من الذى تعتزم مبارزته ؟ »

- بوشان . . . فقد نشر فى صحيفته فى الليلة الماضية . . . ولكن انتظر واقرأ بنفسك . . .

وأعطى ألبرت الصحيفة للكونت ، فقرأ فيها الفقرة التالية : « تلقينا من مراسلنا فى يانينا ما يكشف الستار عن حقيقة كنا نجهلها حتى الآن ،

وهي أن القلعة التي كانت تحمي المدينة قد سلمت الى الاتراك بواسطة ضابط فرنسي يدعى ( فرناند ) كان الوالى على باشا قد وضع فيه ثقته الكاملة ! »

وقال له الكونت بعد أن أتم القراءة : « ماذا يهمك من أن قلعة يانينا سلمت بواسطة ضابط فرنسي ؟ »

فقال ألبرت : « ان أبى الكونت دى مورسيرف هو الضابط المقصود ، فان اسمه الاول فرناند ! »

فقال الكونت مهدئا نائرة الشاب : « ما أظن أن فى فرنسا من يعرف ان الضابط فرناند والكونت دى مورسيرف اسمان لشخص واحد ؟ ثم من ذا الذى يعنى الآن بقلعة يانينا وقد سقطت سنة ١٨٢٢ أو سنة ١٨٢٣ ؟ ولم يعد أحد يذكر عن ذلك شيئا بعد مضى هذا الوقت الطويل ؟ »

ولكن الشاب بقى نائرا وقال : « هذا يدل على حقارة الفرية . لقد سكتوا كل هذا الوقت ثم جاءوا الآن فجأة فبعثوا الحوادث التي كانت قد تسببت لیتخذوها مادة للفضيحة يطمخون بها مركزنا الرفيع . انى ذاهب الى ( بوشمان ) الذى نشرت صحيفته هذا النبأ وسوف أصر على مطالبته بتكذيبه ! »

وتناول مورسيرف قبعته وغادر الغرفة الى حيث استقل عربته واتجه بها فورا الى مكتب الصحفي بوشمان . فاستقبله هذا مرحبا وهو يطلق صيحة دهشة لرؤية صديقه يقذف بالصحف التي على المكتب الى الارض ويدوسها مقدمه فى انفعال . بينما استمر هو يصيح به وهو يمد يده لمصافحته « هيه ، هيه ، يا عزيزى ألبرت ، هل فقدت وعيك ؟ أم هل جئت لتتناول الافطار معي ؟ »

فجابه الشاب : « بوشمان ، لقد جئت أحدثك فى شأن نبأ نشرته صحيفتك أمس وينبغى أن تكذبه فورا . ولكن يبدو أنك تجهل تماما علاقتي بهذا الخبر »

— هذه هي الحقيقة وأقسم بشرفي

ثم أخذ بوشمان يبحث عن نسخة من الصحيفة ، فقال له ألبرت : « اليك نسختي فقد أحضرتها معي ! »

فتناول بوشمان الصحيفة وقرأ النبأ الذى أشار اليه صديقه ، فلما فرغ من ذلك سأل : « هل الضابط المشار اليه قريبك ؟ »

— انه أبى ، مسيو فرناند مونديجو — الكونت دى مورسيرف — الذى حارب فى عشرين معركة وحصل على أوسمة الشرف ، من الجروح والاصابات التي يحاولون الآن اعتبارها وصمات عار !

فهز بوشمان رأسه أسفا وقال :

— اهو والدك ؟ هذا أمر آخر ! فى هذه الحالة أستطيع أن أفهم سبب

غضبك يا عزيزى ألبرت • لكن الخبر المنشور ليس فيه ما يدل على أن الضابط فرناند هو والدك !

فقال ألبرت وقد استبد به الغضب والحنق : « سوف أرسل اليك شهودى ، ولك أن تتفق وإياهم على مكان اللقاء وموعده ونوع السلاح ! »  
فقال : « حسنا ! - اننى أقبل أن أبارزك ، لكنى أطلب مهلة قدرها ثلاثة أسابيع ، وسوف أجيئك فى نهايتها لأقول لك : ( لقد كان النبأ كاذبا وسأكذبه ) •• أو لأقول : ان الخبر المنشور لا شك فى صحته •• ثم أستل سيفى من غمده أو مسدسى من جرابه - حسبما تشاء - لأبارزك ! »  
فصاح ألبرت وهو ينهض لينصرف : « ثلاثة أسابيع ! •• انها سوف تمر كأنها ثلاثة قرون ! »

وقبل أن يغادر مكتب بوشان ، صب غضبه على كومة من الصحف راح يطوح بها فى أرجاء الغرفة بعصاه !

وفىما هو فى عربته لمح مكسميليان موريل يسير فى الطريق بخطى سريعة ونظرة مشرقة ، فحدث نفسه قائلا : « انه لسعيد ولا شك ! »  
ولم يخطئ فى رأيه ، فقد كان مكسميليان سعيدا جدا فى تلك اللحظة ، اذ كان فى طريقه الى مسيو نوارتييه الذى أرسل يدعوه لسبب لا يعلمه ! ••  
وحين وصل الى الدار أدخله الخادم باروا من مدخل خاص ، ثم أغلق عليه باب حجرة سيده ، وسرعان ما سمع الشاب حفيف ثوب يعلن قدوم فالتين •• وابتدرته الفتاة قائلة :

- مسيو موريل •• لقد اعتزم جدى أن ينتقل من هذا البيت ، وقد شرع باروا يبحث له عن مسكن ملائم !

فسألها : « وماذا تفعلن أنت يا آنسة دى فيلفور ، وهو لا غنى له عنك ؟ »  
فأجابت بقولها : « انى لن أترك جدى ! • هذا شيء مفهوم فيما بيننا ، ولسوف يكون مسكنى قريبا من مسكنه •• واذا وافق أبى على ذلك فسوف أترك البيت على الفور •• أما اذا لم يوافق فسوف أضطر الى الانتظار حتى أبلغ سن الرشد بعد نحو عشرة شهور ، وعندئذ أغدو حرة وتكون لى ثروة مستقلة أستطيع بفضلها ، وبموافقة جدى ، أن أنجز وعدى لك ! »  
ثم التفتت الى جددها وقالت له : « هل أحسنت التعبير عن رغبتك يا جداه ؟ »

فاوما المشلول موافقا ، بينما هتف الشاب وقد استبدت به رغبة فى أن يجثو على ركبتيه خاشعا أمام نوارتييه وفالتين : « رباه ماذا فعلت فى دنياى كى أستحق كل هذه السعادة ! ؟ »

وأشار نوارتييه الى ابريق يحوى شراب الليمون وبجانبه كأس فارغة ، وكان الابريق مملوءا حتى آخره تقريبا ، باستثناء القدر الذى شربه منسدا حين •• فقالت فالتين للخادم الوفى : « هيا يا باروا ، خذ بعض هذه

« الليموناة » فاني أراك تشتهيها !  
فأجاب باروا : « أعترف يا آنستي بأنى أكاد أموت ظمأ ، وما دمت قد  
تعطفت فأذنت لى فى ذلك فلسنت أزعم انى سامانع فى أن أشرب قليلا منها ،  
نخب صحتك ! »

وفىما كانت فالتين ومكسميليان يتبادلان تحية الوداع فى حضور جدها ،  
سمعا جرس الباب الخارجى يدق ، فنظرت الفتاة الى ساعتها ٠٠ وفى هذه  
اللحظة دخل باروا ، فسألته فالتين : « من القادم ؟ »

فأجاب الخادم وهو يكاد يترنح كمن يوشك أن يسقط : « انه الدكتور  
داڤرينى ! »

واذ ذاك سألته سيده : « ماذا بك يا باروا ؟ » ٠٠ لكنه لم يجب ، بل  
حملك فى سيده بعينين جاحظتين ، وهو يستند بيده الى قطعة من الاثاث  
كى يتجنب السقوط ٠٠

وازدادت حدة الاعراض التى بدت على الخادم بالتدريج ، فاستدار وخطا  
بضع خطوات ثم سقط عند قدمى نوارتييه

وفى هذه اللحظة أقبل مسيو دى فيلفور على صوت الضجيج ٠٠ بينما  
صاحت فالتين بزوجة أبيها وهى تصعد السلم لملاقاتها : « تعالى بسرعة ،  
وأحضرى معك زجاجة الاملاح المنبهة ! »

فاجابتها السيدة دى فيلفور فى صوت خشن غاضب وهى تهبط السلم  
وقد أمسكت بأحدى يديها مندبيلها ثمسح به وجهها ، وأمسكت باليد الأخرى  
زجاجة الاملاح المنعشة : « ماذا حدث ؟ » ٠٠ واتجهت بنظرتها الاولى لى  
دخولها الغرفة نحو نوارتييه ، الذى كان وجهه - باستثناء الانفعال الذى  
لا بد يحدثه فيه مثل هذا الحادث - ينم عن اكتمال العافية ٠٠ وعندئذ  
نقلت المرأة بصرها الى الخادم المحتضر ، فشحب وجهها على الفور وعادت  
تنظر الى سيده ٠٠

وفى أثناء ذلك هتفت فالتين بمكسميليان : « اذهب أنت بأسرع  
ما تستطيع ، وابق حيث أنت حتى أرسل فى طلبك ٠٠ اذهب ! »

ونظر الشاب الى نوارتييه مستأذنا فى الانسحاب ، فمنحه العجز اذنه  
وهو محتفظ بهدوئه المألوف ، فقبل الشاب يد فالتين مودعا ، ثم غادر  
المنزل عن طريق السلم الخلفى ٠٠ وفى اللحظة التى ترك فيها الحجرة دخلها  
فيلفور والطبيب قادمين من باب آخر ، وكان الخادم المصاب يبدو كأنما  
استترد بعض وعيه ، فاشترك الرجلان فى حمله الى أريكة مريحة ٠٠ وهتف  
دى فيلفور :

— انظر ، انظر يا دكتور ٠٠ ها هو ذا يعود الى رشده ثانية ، انى لا أعتقد  
فى الواقع أنه أمر ذو بال ! »

فأجابه الطبيب بابتسامة ساخرة وهو يستجوب المريض الذى أفاق :

« بماذا تشعر يا بارو ؟ » ماذا أكلت اليوم ؟  
فأجاب بارو . « لم أكل بعد ، وإنما شربت قدحا من شراب الليمون  
الذى يخص سيدى ! »  
- وأين هذا الشراب ؟  
- لقد أعدته منذ لحظات الى المطبخ !

فهرع الطبيب نحو السلم الخلفى المؤدى الى المطبخ ، وكاد أثناء اندفاعه  
يصطدم بالسيدة دى فيلفور التى كانت بدورها متجهة الى المطبخ ، فصاحت  
تستوقفه . لكنه لم يعبأ بها وهبط الدرجات الأربع الباقية فى قفزة واحدة  
ثم اقتحم المطبخ فوجد الابريق وقد بقى فيه نحو ربع الشراب ، فأخذه فى  
يده وعاد الى الغرفة التى كان فيها ، وأثناء عودته صادف السيدة فيلفور  
صاعدة الى غرفتها فى خطوات بطيئة !

وسأل الطبيب الخادم المصاب : « هل هذا هو الابريق الذى شربت منه ؟ »  
فأجابه : « نعم »

وصب الطبيب قطرات من الشراب فى راحة يده ثم تذوقها وبصقها فى  
المدفاة . « بينما صاح به بارو : « أغثنى يا دكتور ، النوبة ستعود ثانية »  
فأجابه الطبيب : « كلا أيها الصديق ! انك لن تلبث أن تستريح »  
فقال الخادم التعس : « آه ، انى أفهم ما تعنيه ، يا الهى ، ارحمنى ! »  
ثم أطلق صرخة مروعة وسقط على ظهره كأنما أصابته صاعقة . فجذبه  
الطبيب من ابطيه الى غرفة مجاورة ثم عاد ليأخذ ابريق شراب الليمون  
وقال مخاطبا دى فيلفور : « تعال هنا »

وحين جلسا فى الغرفة التى رقد فيها المصاب سأله دى فيلفور :  
- هل النوبة مستمرة يا دكتور ؟

فأجاب : « بل انه قد مات . لكن هذا ينبغي ألا يدهشك ، فقد سبقه  
كل من المركيز والمركيزة سانت ميران الى مثل هذا المصير العاجل الغريب ! »  
فصاح هذا فى رعب وفزع : « ماذا ؟ » أما زلت تحوم حول تلك الفكرة  
الرهيبه ؟

فأجابه الطبيب : « نعم يا عزيزى ، وسوف أظل كذلك دائما ، فان  
الفكرة لم تبرح ذهنى لحظة واحدة . ولكى تكون على ثقة من أنى لم أخطئ  
هذه المرة ، أرجو أن تصغى جيدا لما سأقول : هناك نوع من السموم يقتل  
دون أن يخلّف أثرا ، وأنا أعرفه جيدا وقد درسته فى جميع أشكاله ووسائل  
تركيبه وآثاره . وقد تبينت وجود هذا السم فى حالة بارو التعس ، كما  
تبينته فى حالة المركيزة دى سانت ميران ، وسوف أجزم بذلك أمام الله  
والناس ! »

فلم يجب فيلفور بكلمة ، واكتفى بأن ضم يديه وفتح عينيه الجاحظتين  
ثم غاص فى أقرب مقعد !

## الانتقام الالهى

انطلق الكونت دى مونت كريستو في طريقه الى داره الريفية في «أوتوى»  
يصحبه تابعه «على» وبعض خدمه الآخرين ، كما أخذ معه بعض جواده  
الجديدة ليستوثق من قدرتها

وبعد حين دخل عليه خادمه «بابيستين» يحمل خطابا على طبق من  
الفضة ، وقدمه له قائلا : «رسالة هامة عاجله !»

ففض الكونت الخطاب ، وقرأ فيه : «يهمنى أن أتبه الكونت دى مونت  
كريستو الى أن رجلا سيتسلل الليلة الى بيته في الشانزلريه بغية سرقة  
بعض الاوراق الهامة المفروض أنها في منضدة مكتبه الصغير»

وكان أول خاطر جال بذهن الكونت لدى قراءة الرسالة انها خدعة  
مكتشوفة يراد بها تحويل انتباهه الى خطر تافه في سبيل تعريضه لخطر  
أعظم ! فكاد يبلغ الأمر الى البوليس ، برغم نصيحة كاتب الخطاب . ثم  
خطر له أن السارق المجهول قد يكون خصما شخصيا له ، فحدث نفسه :  
«انه لا يريد أوراقى ، بل يريد قتلى» انه ليس سارقا ، وانما هو قاتل !

واذ ذاك نادى خادمه «بابيستين» وقال له : «عند الى باريس حالا واجمع  
خدمى جميعا وأحضرهم الى هنا !»

ثم أعرب الكونت عن رغبته قى أن يتناول طعامه وحده والا يخدمه خلاله  
غير تابعه «على» . واذا فرغ من تناوله ، بهدوئه واعتداله المأثورين .  
أشار الى «على» كى يتبعه ، ثم خرج من باب حائبي فاستقل عربته الى غابة  
بولونيا ، وهناك استدار - دون خطة مرسومة - نحو طريق باريس . فلما  
حان الغروب وجد نفسه تجاه داره فى الشانزلريه !

ودلف الى مخدعه ، ثم أشار الى على كى يقف هناك ، ومضى هو وحده الى  
غرفة الزينة ففحصها بدقة ، ووجد كل شئ فيها كما تركه ، ومنضدة المكتب  
الثمينة فى مكانها ، والمفتاح على درجها . فاغلقه بعناية وأخذ المفتاح عائدا  
الى باب المخدع ففتح مزلاجه المزدوج ودخل . وفى أثناء ذلك كان «على»  
قد جهز الاسلحة التى طلبها الكونت ، فتسلمها منه ثم وقف خلف نافذة  
من نوافذ المخدع موازية لنافذة غرفة الزينة ومطلّة على الشارع

وانقضت ساعتان على هذا المنوال ، ودقت ساعة الانفاليد مؤذنة  
بانتصاف الليل . ولم يكد صدى الدقة الأخيرة من دقائقها يتلاشى حتى خيل  
الى الكونت أنه سمع صوتا خفيفا صادرا من حجرة الزينة ثم تكرر



الصوت مرة ثانية ، فثالثة ، فرابعة . . . وعندئذ أدرك الكونت أن بدا بارعة ذات خبرة تحاول كسر زجاج النافذة بماسة ! . . . وكانت تلك النافذة مواجهة للفتحة التي يستطيع الكونت أن يرى خلالها ، من مكانه ما يجرى في غرفة الزينة . . . ومن ثم ركز بصره على النافذة ، فرأى في الظلام شبحا يمد يده من خلال الثغرة التي فتحتها في الزجاج فيفتح النافذة ، من الداخل ثم يثب منها الى الغرفة . . . فهمس الكونت : « يا له من جرى ! »

وفي تلك اللحظة لمس « على » كتف سيده ، مشيرا له من خلال النافذة المظلة على الطريق ، الى شخص يقف في الشارع فهمس الكونت : « اذن . . . هما شخصان . أحدهما يتسلل الى البيت والآخر يراقب مدخل الدار ! »

ثم أوصى على بالآ يدع الشريك الذي في الشارع يغيب عن بصره ، واستدار هو ليرقب الشخص الذي دخل حجرة الزينة . . . فرآه يتجه الى منضدة المكتب ويحاول فتحها بطائفة من المفاتيح المصطنعة مستعينا على اختيار المفتاح المناسب بضوء ( بطارية ) ما لبث ضوؤها الشاحب أن وقع على وجهه ويديه ، فحدث الكونت نفسه قائلا وهو يتراجع : « يا الهي ! »

وفي تلك اللحظة لمح الكونت تابعه « على » يرفع في يده آلة حادة اشبه بالفأس فهمس له : « لا تتحرك ، ودع فأسك ، فلن يهوجنا الاثر الى سلاح ! »

ثم همس له بضع كلمات أخرى ، مضى هذا على أثرها دون أن يحدث صوتاً ثم عاد بعد حين يحمل رداء أسود وقبعة مثقلة الأركان ! . . . وفي أثناء ذلك كان الكونت قد خلع سترته وصدره وقميصه ثم ارتدى درعا من الفولاذ وفوقه رداء رجال الدين الكهنوتي الاسود ، وأخفى شعره تحت جمة من الشعر المستعار كالتي يرتديها القساوسة ، وحين وضع فوقها القبعة المثقلة الأركان تحول الكونت في لحظة الى قسيس . . . ثم أخرج من أحد الادراج شمعة أضواءها . . . وفيما كان اللص مستغرقا في محاولة فتح القفل فتح الكونت الباب دون صوت وهو يحمل الشمعة بحيث يقع ضياؤها مباشرة على وجهه . . . فذعر اللص بينما قال له الكونت :

— طاب مساؤك يا عزيزي كادروس . . . ماذا تفعل هنا في هذه الساعة ؟

فهتف كادروس في دهشة وذعر : « الأيب بوزوني ! ؟ » . . . وأفلتت يده المفاتيح فسقطت على الأرض ، وراح يتطلع حواليه باحثا عن وسيلة للهرب ، فلاحظه الكونت قائلا : « أرى أنك ما زلت كما عهدتك دائما : قاتلا . . . ألم تقتل الجوهري الذي ابتاع منك الماسة التي أعطيتك اياها ؟ »

فأجاب في صوت مرتجف : « نعم ، هذا صحيح يا سيدي القس ! »

فعاد يسأله : « من الذي أخرجك من السجن ؟ »

فأجاب : « اللورد ويلمور ! »

فسأله : « أكان ذلك الثرى الانجليزى يتولى حمايتك ؟ »

فأجاب : « لا . . . لم يكن يحميني أنا ، بل كان يحمى شابا كورسيكيا

كان زميلي في السجن يدعى « بنديتو » ٠٠ وقد صار هذا الشاب الآن ابناً لثرى عظيم هو الكونت دي مونت كريستو الذى نحن فى بيته الآن ! »  
فقال له الكونت وقد أخذه العجب هو الآخر :

— بنديتو صار ابناً للكونت دي مونت كريستو ٠٠؟ كيف كان ذلك ؟  
فقال كادروس : « أعتقد ذلك ، فان الكونت قد أوجد له أبا زائفاً ، وصار يعطيه راتباً شهرياً قدره أربعة آلاف فرنك ، فضلاً عن نصف مليون فرنك تركها له فى وصيته ! »

فقال الكونت وقد بدأ يفهم : « ما هو الاسم الذى يحمله ذلك الشاب الآن ؟ ٠٠ »  
أتعنى أندريا كافالكانتى ذلك الشاب الذى استقبله صديقى الكونت دي مونت كريستو فى منزله ، والذى سيتزوج من الآنسة دانجلر ؟  
فاوماً كادروس موافقاً ، بينما واصل الكونت كلامه قائلاً :

— كيف تصدق ذلك أيها التعس ، وأنت تعرف حياته وجرائمه ؟  
فقال : « لم أشأ أن أقف عقبة فى سبيل صديق من زملائي ! »  
فرد عليه الكونت قائلاً : « أنت على حق ، واذن ٠٠ سأتولى أنا لا أنت ابلاغ هذه الحقيقة الى البارون دانجلر ٠٠ سأكشف له كل شيء ! »  
وغمغم كادروس قائلاً : « انك لن تفعل مثل هذا يا سيدى القس ! »

وفى مثل لمح البرق ، استل كادروس خنجره وطعن به الكونت فى صدره ! ٠ وشد ما كان عجبه وفزع ، حين ارتد الخنجر مكسوراً بدلاً من أن يشق صدر القس المزعوم . وفى اللحظة نفسها قبض الكونت بيسراه على معصم كادروس وضغط بقوة جعلت الخنجر يسقط من بين أصابعه المتقلصة . فأطلق صرخة ألم حادة ، لكن الكونت استمر يضغط معصم الشقى حتى اضطره الى أن يرتدى على الأرض وهو يتأوه ٠٠ وعندئذ وطأ الكونت رأسه بقدمه قائلاً : « لست أدري ما الذى يمنعنى من أن أسحق جمجمتك ! »  
فصرخ كادروس : « الرحمة ٠٠ الرحمة ! »

واذ ذاك سحب الكونت قدمه وقال له : « انهض ، خذ هذا القلم والورق واكتب ما أُمليه عليك »

فجلس كادروس وقد أذهلته قوة القس الحارقة ، وكتب :  
« سيدى ٠٠ ان الرجل الذى تستقبله فى بيتك ، والذى تعترم أن تزوجه لابنتك ، هو قاتل فرمى من السجن المؤبد فى طولون ، وقد كان يعرف باسم بنديتو ، وكان رقمه ( ٥٩ ) بينما كان رقمى أنا ( ٥٨ ) . وهو يجهل اسمه الحقيقى لأنه لم يعرف لنفسه أباً ! »

واستطرد الكونت فقال لكادروس : « هيا ٠٠ وقع على الخطاب ٠٠ واكتب العنوان : ( الى البارون دانجلر ، المالى الكبير ، شارع دى لاشوسيه دانتان )  
فكتب كادروس ما أُملى عليه ، وحين فرغ من ذلك صاح به الكونت وهو

يشير الى النافذة : « والآ آغرب عن وجهي .  
وحين خرج كادروس من النافذة وبدأ يهبط أدنى الكونت الشمعة منه ،  
كى يرى من فى الشارع أن شخصا كان يمسك الشمعة للص أثناء نزوله! .  
ثم تركه ومضى مسرعا الى مخدعه حيث أطل من نافذته ، فرأى كادروس  
يسير على الجدار متجها نحو الواجهة الجانبية للبيت - كمن يحاول الهروب  
من رفيقه الذى ينتظره فى أسفل - ثم ينزل على الانابيب بعد أن استوثق  
من أن صاحبه لم يره . . لكنه لم يكد يبلغ الارض حتى تلقاه هذا بطعنة  
حادة فى ظهره ، فصاح مدعورا : « النجدة ! »

وعلى أثر ذلك فتح باب الدار الخلفى ، وظهر منه الكونت فى ثياب القس ،  
ومعه على خادمه يحملان مصباحين ، وما لبثا أن نقلا الجريح الى إحدى  
الحجرات حيث فحص الكونت جراحه الفظيعة وقال محدثا نفسه : « يا الهى !  
ان انتقامك قد يتأخر أحيانا ، ولكن كى يتم آخر الأمر على أكمل وجه ! »  
بينما نظر على الى سيده فى انتظار تعليماته ، فقال له هذا : « استدع  
فورا قاضى التحقيق مسسيو دى فيلفور ، وهو يقطن فى شارع سـانت  
أونوريه . وعند مرورك بالمسكن أيقظ البواب وأرسله كى يحضر جراحا »

وحين فتح كادروس عينيه مرة أخرى قال للكونت : « لقد خذلى وقتلنى  
بعد أن أعد خطة اقتحام هذا البيت ، آملا بلا شك أن أقتل الكونت فيصبح  
هو وارثه ، أو أن يقتلنى الكونت فيستريح هو منى الى الأبد ! »

فقال له : « تستطيع أن تملى على اعترافك ثم توقع عليه بنفسك ! »

فلمعت عينا الجريح ارتياحا لفكرة هذا الانتقام السريع ، بينما كتب  
مونت كريستو هذه العبارة : « انى أموت مفتولا بيد الكورسيكى المدعو  
(بنديتو) رفيقى فى سجن تولوز ، رقم ٥٩ » . ثم أعطى الريشة لكادروس ،  
فاستجمع هذا كل قواه ووقع عليها . . ثم خر على فراشه وقد بدأ يحتضر

وهنا قال الكونت دى مونت كريستو وهو يقرب الضوء من وجهه :  
« انظر الى جيدا ! » . . ثم خلع الشعر المستعار وترك شعره الطبيعى يسقط  
على رقبته . . واذا ذاك هتف كادروس كالمصعوق : « أوه ، لولا شعرك  
الاسود لقلت انك ذلك الانجليزى ، اللورد ويلمور ! »

فقال له : « كلا ! . . لست اللورد ويلمور ، كما انى لست الأب بوزونى »  
ثم اقترب الكونت من الجريح وانحنى فوقه هامسا : « أنا . . أنا . . »  
ولفظت شفثاه شبه المغلقتين اسما بصوت خافت . . فأجفل كادروس  
مدعورا وحاول أن يتراجع ، ثم ضم يديه ورفعهما الى أعلى ، وهو يهتف :  
« أواه يا الهى ! اغفر لى أننى أنكرتك . . انك موجود ولا شك » . ثم  
تنهد تنهدة عميقة وسقط على ظهره . وما لبث أن لفظ نفسه الاخير !

## محاكمة في مجلس الشيوخ

استيقظ « البرت دي مورسرف » ذات صباح فإذا خادمه يعلن اليه قدوم الصحفي بوشان ، ففرك عينيه وأمر خادمه بأن يقود الزائر الى حجرة الاستقبال التي في الطابق الأرضي . . ثم ارتدى هونابه على عجل وهبط اليه فوجده يذرع الحجر ذهابا وحيثة ، ثم توقف حين شعر بدخوله ، فابتدره قائلا :

— ان قدومك الى هنا بلا انتظار لزيارتي لك اليوم يبدو فالأ طيبا . . فهل ترى استطيع أن اصافحك قائلا : ( اعترف يا بوشان بانك قد أسأت الى ، واسترد صداقتي ) . . ام انك ستلجئني الى أن اقترح عليك اختيار السلاح الذي يروقك ؟ !

فقال بوشان : « يا عزيزي البرت . . اني عائد لتوى من ( يانينا ) وقد كان يسرنى يا صديقى أن أعتذر اليك ، لكن ذلك النبا كان صحيحا مع الأسف ، وذلك الضابط الفرنسي فرناند ، الخائن الذي سلم قلعة الوالى وهو يعمل فى خدمته ، كان بعينه والدك ! . . واليك الدليل فى هذه الورقة ! »

ونشر البرت الورقة التى قدمها له صديقه ، وكانت اقرارا موقعا عليه من أربعة من كبار أهل يانينا البارزين ، يشهدون فيه بأن الكولونيل فرناند مونديجو الذى كان يعمل فى خدمة على باشا والى المدينة قد سلم القلعة مقابل مبلغ مليونى ريال ! وكانت التوقيعات الأربعة صحيحة وشرعية !

ولم يكد البرت يفرغ من قراءة الورقة حتى ارتمى متهاكما على مقعد فى الحجرة ولم يعد لديه أى شك فى أن اسم أسرته قد لطمخ بالعار الى الأبد ! وبعد فترة صمت كئيبة طويلة فاض به الحزن فأطلق لدموعه العنان !

ونفض بوشان بعد قليل للانصراف تاركا لالبرت تلك الورقة فتناولها هذا بيد مرتعشة وأحرقها ثم ألقى بها فى النار !

وبعد ثلاثة أيام نشرت صحيفة أخرى الفقرة التالية : « ان الضابط الفرنسي الذى كان فى خدمة على باشا والى يانينا ، وأشارت اليه صحيفة ( امبارسيال ) منذ ثلاثة أسابيع ، لم تقتصر فعلته على تسليم قلعة المدينة ، بل أنه باع ولى نعمته للأتراك . . وقد كان اسمه وقتئذ فرناند ، لكنه أضاف اليه فيما بعد لقبا من ألقاب النبلاء فصار يدعى الآن الكونت دي مورسرف ، وبات يعتبر فى مصاف الأمراء ! »

وهكذا بعث السر الرهيب من قره فجأة كالشبح المخيف . . وفى اليوم

نفسه ثارت ضجة كبرى في مجلس الشيوخ بين الأعضاء القورين بطبعهم ، فحرص كل منهم على أن يصل الى المجلس قبيل الموعد المعتاد ، وتبادل الجميع الحديث في الحدث المروع الذى سوف يسترعى انتباه الجماهير نحو واحد من زملائهم اللامعين .. وكان بعضهم يعيد قراءة النبا في الصحيفة ، والآخرون يعلقون عليه ويذكرون وقائع وملابسات تزيد التهمة توكيدا

وبقى الكونت دى مورسيرف وحده يجهل تلك الأنباء ، فانه لم يكن قد طالع الصحيفة التى نشرتها ، بل انفق الصباح في كتابة الخطابات وفي تجربة جواد جديد ! .. وهكذا وصل الى دار المجلس في الموعد المألوف وعلى وجهه سيماء المعتادة من العجرفة والوقاحة ، فهبط من عربته ، ومر خلال ممرات الدار ، ودخل قاعة الجلسة ، دون أن يلاحظ همهمة الحراس أو قطور زملائه نحوه . وكانت الجلسة قد بدأت منذ نصف ساعة ، وأمسك كل عضو في يده بصحيفة الاتهام .. ولكن كما هى العادة دائما - لم يشأ واحد من الأعضاء أن يأخذ على عاتقه مسئولية البدء بالمهاجمة .. وأخيرا نهض عضو له مكانته - وكان الد خصوم مورسيرف - فارتقى المنصة في صرامة توحى باقترب اللحظة الحاسمة ، ثم بدأ يتلو ما ورد في الصحيفة .. ولم يتنبه الكونت في البداية للمقدمة .. ولكن لم يكد المتكلم ينطق باسم ( يانينا ) واسم الكولونيل فرناندو مونديجو حتى شحب وجهه شحوبا مخيفا جعل كل عضو يتوجس شرا وهو يسلط عليه عينيه !

واعقبت تلاوة الاتهام موجة من الضجيج والاضطراب ، والهرج والمرج .. وعلق الجميع اسماعهم بعم المتكلم وهو يعلق على النبا ويختم كلمته مطالبا بتأليف لجنة تتولى اثبات الاتهام أو دحضه

وبلغ من مفاجأة مورسيرف بهذه الكارثة غير المتوقعة انه لم يجر جوابا ، فلم ينطق بغير بضع كلمات مبهمة وهو ينظر حواليه الى اعضاء المجلس في ذهول .. فعرض الرئيس اخذ الأصوات ، وأسفر الاقتراع عن الموافقة على وجوب التحقيق .. فسئل المتهم عن المهلة التى يطلبها لتحضير دفاعه ، فأجاب من فوره : « أنا اليوم تحت تصرفكم ! »

رأفت لجنة من اثني عشر عضوا لفحص أدلة الاتهام والنفي ، وتقرر ان تبدأ اللجنة عملها في الساعة الثامنة من ذلك المساء .. فطلب مورسيرف الاذن له في الانسحاب كي يجمع المستندات التى أعدها منذ زمن لمواجهة هذه العاصفة

وفي الموعد المحدد اجتمع اعضاء لجنة التحقيق ، ودخل الكونت دى مورسيرف يحمل في يده أوراقا . وكان هادىء الوجه ، حازم الخطى ، مفرط العناية بزيه العسكرى . وفي تلك اللحظة دخل حارس يحمل خطابا الى رئيس اللجنة ، فقال الرئيس وهو يقض الخطاب ، موجها كلامه الى الكونت دى مورسيرف : « لك أن تبدأ دفاعك يا مسيو مورسيرف »

فقدم الكونت مستندات تثبت أن والى يانينا كان يخصه بثقته الكاملة حتى آخر لحظة ، بحيث انه عهد اليه في مفاوضة السلطان بشأن حياته أو

موته !.. ثم قدم الكونت الخطاب الذي كان على باشا يختم به أوراقه الرسمية وخطاباته ، وقد أعطاه إياه كي يمكنه من الدخول عليه في أية ساعة بالليل أو النهار ، حتى وهو في جناح الحريم !.. ثم أوضح الكونت كيف أن مفاوضاته مع السلطان بشأن العفو عن الوالي قد فشلت ، فلما عاد ليدافع عن ولي نعمته ويدفع عنه الأذى وجده قد مات .. ثم قال الكونت :

— لقد بلغ من ثقة علي باشا بي أنه وهو يودعني قبيل سفري عهد الى في رعاية محظيته المفضلة وابنتها في حالة وفاته ! »

وكان رئيس اللجنة قد فض الخطاب الذي سلم اليه ، وقرأه باهتمام ، مرة بعد مرة وهو يرمق المتهم بنظرات حادة ، ثم خاطبه قائلا : « أنك ذكرت أن والي يلينا عهد اليك في رعاية ابنته وزوجته ، فماذا تم في أمرهما ؟ »

فأجاب مورسيف : « مما يؤسف له يا سيدي أن سوء الجذب لاحتقني في هذا الشأن كما حدث في مناسبات أخرى ، فحين عدت كانت « فاسيليكي » وابنتها « هايدي » قد اختفتا ، وقد سمعت فيما بعد أنهما سقطتا فريسة لأحزانهما ، وربما لفقرهما .. ولما لم أكن غنيا ، وكانت حياتي معرضة لخطر دائم ، لم أستطع مواصلة البحث عنهما ! »

وهنا تجهم وجه الرئيس والتفت الى أعضاء اللجنة قائلا :

— أيها السادة .. لقد سمعتم دفاع الكونت دي مورسيف . وبقي أن نسأله هل يستطيع أن يقدم لنا شهودا يثبتون صحة كلامه »

فأجاب الكونت : « الواقع يا سيدي ، أن جميع الذين كانوا يحيطون بالوالي أو الذين عرفوني في بلاطه قد ماتوا أو اختفوا »

وهنا استطرد الرئيس فقال :

— لعلك ترحب إذن بسماع شهادة شخص يعتبر نفسه شاهدا هاما في النزاع . أنه ولا شك قد جاء ليثبت براءة الكونت .. وهانذا اتلو الخطاب الذي تلقيته منه وهو : « سيدي الرئيس .. في استطاعتي أن أزود لجنة التحقيق بما يلقي الضوء على مسلك اللفتنانة جنرال الكونت دي مورسيف في « ايروس » ومقدونيا ، فلقد حضرت وفاة علي باشا ، وأعرف مصير فاسيليكي وهايدي ، ويسرني أن أضع نفسي تحت تصرف اللجنة ، بل وأطالب بمنحى شرف سماع شهادتي .. وسوف أكون في حجرة الانتظار بالجلس حين تسلم هذه الورقة اليكم ! »

وبعد خمس دقائق ظهر الحارس ومعه تلك الشهادة فنظر اليها الكونت دي مورسيف في دهشة ورعب .. وابتدرها رئيس اللجنة : « هل كنت شاهدة عيان للأحداث موضوع التحقيق ؟ »

فأجابت الحسناء المجهولة بذلك الصوت العذب الرنان المأثور عن الشرقيات : « نعم ، كنت في الرابعة من عمري ، ولكن لما كانت تلك الأحداث وثيقة الصلة بحياتي فقد وعيت جميع تفصيلاتها ! »

فسالها الرئيس : « من أية ناحية كانت الأحداث وثيقة الصلة بحياتك ؟ »  
فأجابت : « أننى أنا هايدى بنت على باشا والى بانينا من زوجته  
فاسيليكي ! »

فقال الرئيس وهو ينحنى لها فى احترام عميق : « هل تستطيعين اثبات  
هذه الصفة التى تدعينها لنفسك ؟ »

فقلت : « نعم أستطيع ذلك . . فهذه شهادة ميلادى موقع عليها من  
ابى وكبار موظفيه الرسميين ، وهذه شهادة معموديتى - فقد أنشأتنى أمى  
على دينها - ثم هذا خطاب مختوم من رئيس وزراء مقدونيا وايبروس . .  
وأخيراً - ولعله الدليل الأعظم - هذه وثيقة بيعى وبيع أمى الى التاجر  
الأرمنى ( الكوبر ) بواسطة الضابط الفرنسى الذى احتفظ لنفسه - فى  
مساومته الدنيئة مع الباب العالى - بزوجة ولى نعمته وابنته ثمنا لحياته  
اياه . . . وقد باعنا بمبلغ اربعمائة الف فرنك ! »

وأخرجت الفتاة الوثائق من حقيبة حريرية كانت تمسك بها تحت نقابها ،  
ثم سلمتها لرئيس اللجنة !

وغامت على وجه الكونت سحابة من الشجوب الخفيف ، واندفع الدم الى  
عينيه ازاء هذه الاتهامات الفاضحة التى أصغى اليها أعضاء اللجنة واجين . .  
بينما ظلت هايدى محتفظة بهدوئها الذى بدا أقسى من كل ثورة ثم شرع  
الترجم يقرأ بصوت مسموع ترجمة وثيقة البيع ، المكتوبة بالعربية !  
ولم ينطق الكونت دى مورسيرف بكلمة اثناء تلاوة هذه الوثيقة ، وقد  
تجلت تعاسته على وجهه واضحة الخطوط !

وقال الرئيس مخاطب المتهم : « ان الكونت دى مورسيرف يعلم يقينا ان  
عدالة المحكمة من عدالة الله ، وهى لاتعرف غير وجه الحق ، وعلى هذا ان تدع  
خصومك يسحقونك دون ان تتيح لك فرصة الدفاع عن نفسك ! هل تطلب  
مزيداً من التحقيقات والأدلة ؟ هل نرسل عضوين من اللجنة الى بانينا لهذا  
الغرض ؟ . . تكلم ، أجب ! »

فقال الكونت بصوت خائر : « ليس عندى ما أجيب به ! »

فقال له الرئيس : « هل تعنى ان ابنة على باشا صادقة فيما تقول ؟  
ونظر الكونت حواليه نظرة تلين قلوب الوحوش ، لكنها لم تستطع ان  
تنسى قضاته واجبههم . . وعندئذ شق سترته التى أحس أنها تخنقه ، وفر  
من القاعة كالمجنون لا يلوى ملى شئ !

وحين سكنت الجلبة التى أعقبت ذلك قال الرئيس مخاطب أعضاء اللجنة :  
« ايها السادة ، هل ترون ادانة الكونت دى مورسيرف باعتباره قد ارتكب  
جريمة الخيانة وما يلابسها من التصرفات التى تجعله غير مستحق لأن يكون  
عضواً فى هذا المجلس ؟ »

فوافق أعضاء لجنة التحقيق على ذلك بالاجماع !

## مبارزة لم تتم

حمل بوشان الى صديقه المحطم البرت دى مورسيرف انباء محاكمة ابيه ، فلما انتهى من سردها رفع الشاب وجهه الذى كسته حمرة العار وغسلته الدموع ، وامسك بذراع بوشان قائلاً :

— يا صديقى .. ان حياتى قد انتهت ! .. وبودى لو أعرف خصمى الذى يلاحقنى بهذه الكراهية العمياء لكى اقتله أو يقتلنى ! .. وانا أعتمد على صداقتك كى تساعدنى فى هذا البحث ، اذا لم يكن الاحتقار قد اقتلع هذه الصداقة من قلبك ! »

فقال له بوشان : « اذكر لك ما أحجمت عن الاشارة اليه لدى رجوعى من يائنا ! .. لقد توجهت اثناء قيامى بتحقيق الأمر هناك الى مدير البنك الرئيسى فى المدينة كى أسأله عن معلوماته .. وما كدت أشير الى الموضوع قبل أن اذكر اسم أبيك ، حتى بادرنى الرجل قائلاً : « اننى أعرف الأمر الذى جاء بك الى هنا . فقد سألتنى عنه منذ أيام عميل لى من رجال المال الباريسيين هو مسيو دانجلر »

فصاح البرت : « يا للشيطان .. آه ، انه هو حقا الذى طالما لاحق أبى بغيرته العمياء من المكانة التى بلغها .. ثم هناك فسخ مشروع زواجى من ابنته دون سبب ، الأمر الذى يزيد المسألة وضوحاً ! .. اذا كان دانجلر هو المسئول فسوف يموت احداً قبل أن تغرب شمس هذا اليوم ! »

فقال بوشان : « اذا كنت حقاً تعنى ما تقول فينبغى أن تنفذ هذا القرار فوراً . أعنى ان تذهب الآن لمقابلة دانجلر »

وبعد قليل كان خادم البارون دانجلر يعلن سيده برغبة البرت فى مقابلته ، لكن دانجلر — اذ تذكر حوادث اليوم السابق — أبى أن يستقبله .. على أن رفضه هذا لم يجده فتىلاً فان البرت كان قد تبع الخادم الى قرب باب الحجرة التى يجلس فيها سيده فلم يكذب بسماع كلمة الرفض حتى اقتحم الباب ، يتبعه بوشان .. فصاح به دانجلر : « سيدى .. اليس لى أن استقبل أو لا استقبل فى بيتى من أشاء ؟ .. ماذا تبغى منى ؟ ! »

فأجابه الشاب وهو يذنو منه : « ابغى أن اقترح لقاء فى مكان منعزل لا يزعجنا فيه أحد لمدة عشر دقائق ، هذا يكفى .. وبعدها لن يبقى على قيد الحياة سوى احداً فقط ! »

فأجابه دانجلر وقد شحج وجهه من الغضب والخوف :



— دعنى أحذرلك اذن ، فمن عادتى حيثما التقيت بكلب مسعور ،  
أقتله !.. هل هى غلطتى أن يجلب أبوك على نفسه العار ؟ »  
فقال البرت : « نعم أيها النذل التعس انها غلطتك !. من الذى كتب الى  
يائينا يستفسر عن الأمر ؟ »

فقال دانجلر : « أنا الذى كتبت بلا شك !. واحسب أن من حق كل أب  
يعتزم تزويج ابنته من شاب أن يستفسر ما شاء عن أسرة ذلك الشاب  
وماضيه !.. وأنا أجزم لك بأنه ما كان ليدور بخلدى قط أن أسأل أهل  
يائينا من تلقاء نفسى ! »

— اذن فمن الذى حثك على الكتابة ؟  
— ليس غير صديقك الكونت دى مونت كريستو  
— وهل عرف الكونت الرد الذى تلقىته ؟  
— نعم ، لقد عرضته عليه !

وأحس البرت أن دمه يصعد الى خفه ، ولم يعد لديه شك في أن الكونت  
دى مونت كريستو متحالف مع خصوم أبيه !.. ومن ثم أنتحى البرت  
بصدقه بوشان جانبا وصارحه بهذه الخواطر ، فقال له هذا :  
— أنت على حق ! أن مسيو دانجلر لم يكن غير عامل ثانوى في هذه المأساة  
المحزنة .. أما المسئول الاول الذى ينبغى أن تطلب منه ايضا حاقا فهو  
الكونت دى مونت كريستو !

وهنا التفت البرت الى دانجلر قائلا : « فلتعلم اذن أن هذا ليس فراق  
نهائيا بيننا ، الا اذا ثبت لى صحة كلامك . وانى اهب الآن لاطلب ايضا حاقا  
عن الأمر من الكونت دى مونت كريستو ! »

وعلم البرت أن الكونت موجود في دار الأوبرا فقصده الى هناك ، ولم يك  
ينتهى الفصل الثانى حتى اقتحم مقصورة الكونت يتبعه شاهده : بوشان  
وشاتو رينو .. فابتدره الكونت مرحبا : « طابت ليلتك يا مسيو دى  
مورسيف »

فأجابه البرت : « نحن لم نأت الى هنا يا سيدى كي نتبادل التحيات  
القائمة على الرياء والنفاق ، والأدب الزائف أو الصداقة المزعومة .. وانما  
جئنا لنتطلب ايضا حاقا ! »

فقال الكونت في هدوء : « الحق انى لست افهمك يا سيدى ، واذا كنت  
افهمك فلا مفر لى من أن أنبهك الى أن صوتك مرتفع أكثر مما ينبغى ..  
فانا المضيف هنا ، وأنا وحدى صاحب الحق في أن يعلو صوتى على صوت  
سواى .. فلتفادر مقصورتى حالا ! »

ثم اشار له نحو الباب ، في أروع مظاهر الوقار !  
فأجابه البرت وهو يضرب يده بفغازه : « حسنا !.. سأعرف كيف أجعلك  
تخرج من مكنك ! »

فقال الكونت في هدوء : « مرحى ، مرحى ، أرى أنك تريد أن تتشاجر معي ، لكني سأعطيك نصيحة واحدة في هذا الصدد يحسن بك أن تعيها جيداً . أنه لمن سقم الذوق أن تتظاهر بالتحدى ، فإن التظاهر لا يخدع كل إنسان يا مسيو دي مورسيرف ! »  
وعلى كل حال لتتفق من الآن ، ولتكن المباراة بالمسدسات ، في الساعة الثامنة ، في غابة فنسين !



وبعد حين استقل الكونت عربته ، وكان هادئاً باسم ، فوصل الى منزله بعد خمس دقائق . . ولم يكذب يدخل حتى نادى تابعه عليا وأبندره قائلاً :  
— احضر لي مسدساتي ذات الصليب العاجي . .  
وحين احضرها له تناول احدها فصوبه نحو طبق حديدي كان يتخذ هدفاً يتدرب عليه ، وفي هذه اللحظة طرق الباب ودخل خادمه بابتستان . . وقبل أن ينطق بكلمة رأى الكونت في الغرفة المجاورة امرأة تضع على وجهها نقاباً مقبلة في أثر الخادم ، فلما رأت المسدس في يد الكونت والسيوف التي على المنضدة أمامه اندفعت داخله . . واذا ذاك خرج الخادم واغلق الباب . . فدارت المرأة بعينها فيما حولها كأنما لتستوثق من أنهما وحيدان ، ثم انحنت كمن تتأهب للركوع ، وضمت يديها في توسل يائس وهتفت في ضراعة :

— ادمون ! . . أنك لن تقتل ابني يا ادمون !

فتراجع الكونت وأطلق آهة تعجب ، ثم ترك المسدس يسقط من يده وسألها :

— ما هذا الاسم الذي نطقت به يا مدام دي مورسيرف ؟

فصاحت وهي تزيج النقاب عن وجهها : « انه اسمك ! . . اسمك الذي أنا وحدي لم أنسه . . أن مدام دي مورسيرف ليست هي التي تتوسل إليك الآن . . بل مرسيديس ! »

فقال الكونت : « ان مرسيديس قد ماتت يا سيدتي ، ولست أعرف الآن امرأة بهذا الاسم ! »

فقالت : « كلا ! ان مرسيديس على قيد الحياة يا سيدتي ، وهي ما تزال تذكر ، فهي وحدها التي عرفتك حين رأتك ، بل عرفت بك بصوتك قبل أن تراك يا ادمون ! . ومنذ تلك اللحظة تتبع خطاك وراقبتك ، وخشيت بأسك ، ولست في حاجة الى أن أسأل عن اليد التي أنزلت الضربة التي يترنح تحت وطأتها الآن مسيو دي مورسيرف . . بل ان ابني بدوره قد استنتج من تكون ، وقد عزا المصائب التي دهمت أباه الى تدبيرك ! »

— أنت مخطئة يا سيدتى ، فهى ليست مصائب ، وإنما هى عقاب ! .  
ولست أنا الذى يضرب مسيو دى مورسيرف ، وإنما هى العناية الإلهية  
التي تعاقبه !

— ولماذا تمثل أنت العناية الإلهية ؟ لماذا تذكر أنت ما أرادت هى أن يطويا  
النسيان ؟ . ماذا يهمك من أمر يائينا وواليتها ؟ . ادمون ! . أى اذى الحقه بك  
فرناند مونديجو بخيائته لعلى باشا ؟

— آه يا سيدتى ، كل هذا امر يخص الضابط الفرنسى وابنة فاسيليكي  
ولا يخصنى أنا ، أنت محقة فى ذلك . . . وإذا كنت قد أقسمت لأنتقم لنفسى  
فإن هدف انتقامى لم يكن الضابط الفرنسى ، أو الكونت دى مورسيرف  
وإنما هو صياد السمك فرناند ، زوج مرسيديس سليلة عشيرة كاتالان . .

فصاحت الكونتيس : « آه يا سيدى ، يا له من انتقام رهيب من أجل  
غلطة كان القدر هو المسئول عن جعلى أرتكبها . . فالواقع اننى انا المذبذبة  
الوحيدة يا ادمون ، وإذا كنت تبغى الانتقام من أحد فليكن انتقامك منى أن  
التي لم يكن لى من قوة الخلق ما يمكننى من احتمال غيابك ووحدى . . ! »  
— ولكن . . من كان السبب فى غيابى ، وفى دخولى السجن ؟

— لست أعلم . . وصدقنى !

— اننى أصدقك يا سيدتى ، أو هذا ما أرجوه على الأقل ! . . لكننى سأذكر  
لك السبب . لقد اعتقلت وسحنت لانه فى اليوم السابق لموعده زواجى منك ،  
وفى مقهى ( لاريزرف ) ، كتب شخص يدعى دانجلر خطابا أرسله الصياد  
فرناند بنفسه الى الجهة الموجه اليها !

ثم مضى الكونت الى درج مكتبه ففتحه وأخرج منه ورقة حال لونها وبهت  
حبرها من طول الزمن ، فوضعها فى يد مرسيديس . ولم تكن سوى خطاب  
دانجلر الى قاضى التحقيق !

فقال مرسيديس بعد أن قرأتها ، وهى تمر بيدها على جبينها المبلل  
بالعرق :

— يا للفظاعة ! . . وكانت نتيجة هذا الخطاب أن . .

— كانت نتيجته ما تعرفينه جيدا يا سيدتى ، من اعتقالى على المائدة  
وايداعى السجن . . لكنك لا تعرفين كم بقيت فى السجن . لا تعرفين انى  
عشت أربعة عشر عاما فى زنزانة بقصر « ايف » ، على بعد بضعة  
كيلومترات منك ! . . لا تعرفين انى قضيت تلك المدة أجدها القسم كل  
صباح على أن انتقم . . ولو انى لم أكن أعلم وقتئذ أنك قد تزوجت من  
فرناند — جلادى — وأن أبى قد مات من الجوع !

فقال مرسيديس وهى ترتجف : « هل يمكن ذلك ؟ »

فأجابها الكونت : « هذا ما عرفته عند خروجى من السجن . . وهذا  
ما جعلنى أحرص على الانتقام لنفسى من فرناند ، وقد فعلت !

ونكست المرأة التعسة رأسها ، وتركت ذراعها تسقطان الى جانبها ،  
وتخاذلت ساقها تحتها . . ثم ركعت على ركبتيها متوسلة قائلة : « اصفح  
يا آدمون ، اصفح من اجلى انا التى ما زلت احبك ! »

فاندفع الكونت نحوها ورفعها عن الارض . . فلما جلست على مقعد  
نظرت الى وجهه المهيب الناطق بالرجولة ، وبالحزن والكراهية ولم تتكلم ،  
فسألها هو : « اتريدين الا اسحق تلك الشجرة اللعينة ، وان اتناول عن  
هدفى في اللحظة التى بلغته فيها ؟ . هذا مستحيل يا سيدتى . . مستحيل ! »  
فهمت الأم التعسة : « آدمون ! . عندما أتاديك باسم آدمون ، لم  
لا تناديني باسم مرسيديس ؟ »

— مرسيديس ؟ ! . . حسنا يا مرسيديس ! . انت على حق ولا شك  
فما زال لهذا الاسم سحره القديم . . وأنها المرة الاولى منذ زمن طويل التى  
انطق فيها به فى وضوح . . اواه يا مرسيديس ! لقد هتفت باسمك فى ظلمة  
اليأس والحزن والجنون . . مرسيديس ! . يجب ان انتقم لنفسى ، فقد  
تعذبت أربعة عشر عاما . . بكيت أربعة عشر عاما ، والآن اصارك باني  
ينبغى ان انتقم لنفسى !

— انتقم لنفسك يا آدمون ، ولكن دع انتقامك يحل بالمذنبين لا بالأبرياء . .  
انتقم منه ، ومنى ، ولكن ليس من ابنى ! »

— مكتوب فى التوراة ان ذنوب الآباء تقع على الأبناء حتى الجيلين الثالث  
والرابع . . فاذا كان الله ذاته قد أملى هذه الأحكام على نبيه ، فلماذا اكون  
انا ارحم من الله ؟

فاستطردت مرسيديس قائلة وهى تمد ذراعها نحو الكونت :

— آدمون ! . منذ عرفتك فى البداية عبت اسمك واحترمت ذكرك . .  
آدمون يا صديقى ! . لا تلتطخ الصورة النبيلة النقية التى تنعكس على مرآة  
قلبى ! . . لو عرفت الصلوات التى رفعتها الى الله من أجلك وقت أن كنت  
أحسبك حيا ومنذ رجعت انك مت ! . . لقد ظللت عشر سنوات أحلم كل  
ليلة بحلم واحد هو أنك حاولت الهرب من السجن بوضع نفسك فى كفن  
سجين آخر ميت ثم القيت من قمة قصر ايف فسقطت على الصخور  
وتحطمت جمجمتك ! . . آدمون ، اقسم لك برأس ابنى الذى الشمس الآن  
عفوك عنه انى لبثت ارى تفاصيل هذه الفاجعة المخيفة كل ليلة طيلة عشر  
سنوات ، وأسمع صرختك المروعة ورأسك يصطدم بالصخر ، فكنت  
استيقظ من نومى أرتجف من الفزع وانا أحس بقشعريرة كالبرد . .  
وهكذا ترى يا آدمون انى بدورى قد قاسيت آلاما مروعة . . والآن هاأنا  
أرى من أحببت على أهبة ان يقتل ابنى ! »

فاهت مرسيديس بهذه الكلمات فى لهجة أسى ويأس مريرة ، لم يستطع  
الكونت دى مونت كريستو ازاءها ان يقمع زفرة حسرة موجعة !

ان الأسد روض نفسه والمنتقم قد هزم ! . . ولم يلبث ان قال لها : « ماذا

تطلبين منى ؟. حياة ابنك ؟. حسنا ، انه سوف يعيش ! »  
وهنا اطلقت مرسيديس صيحة جعلت الدموع تلمع في عيني الكونت ،  
وقالت وهى تمسك بيده وترفعها الى شفتيها .  
- شكرا ! شكرا لك يا ادمون ! الآن حققت ظنى فيك ، فى الرجل الذى  
احببت على الدوام .. دعنى اعترف بذلك الآن !  
- ليس فى ذلك من بأس على كل حال ، فان ادمون المسكين لن يعيش  
طويلا كى يستمتع بحبك . ان الموت لن يلبث ان يعيده الى القبر ، شيئا  
يختفى فى الظلام !  
- ما تعنى يا ادمون ؟

- اعنى اننى ينبغى ان اموت ، فما أحسبك تفترضين ان فى مقدورى  
مواجهة الحياة لحظة واحدة بعد ان اهنت امام الملأ من فتى سوف ينتشى  
بصفحي كما لو كان انتصارا له ! .. ان اول شيء احببته بعدك يا مرسيديس  
هو كرامتى ، وتلك هى القوة التى جعلتنى اسمو على الآخرين .. والآن جئت  
انت فسحقتنى بكلمة واحدة منك .. لذلك ينبغى ان اموت !  
- لكنك تعدنى بشرفك ان المبارزة لن تتم ، اليس كذلك ؟  
- بل انها ستتم ، ولكن بدلا من ان يسيل دم ابنك على الارض ، سوف  
يسيل دمي انا !

فسهقت مرسيديس ، واندفعت نحو الكونت ، لكنها توقفت فجأة  
وقالت : « ادمون ! ما دمت قد نجوت من كل ما مر بك ، وما دمت قد  
رايتك ثانية على قيد الحياة ، فهناك اذن اله تعلقو ارادته ارادتنا .. وأنا  
أومن به من صميم قلبي ، وفى انتظار معونته اركن الى وعدك بأن ابني  
سيعيش ، اليس كذلك ؟

فاجاب الكونت وقد ادهشه تقبل المرأة لتضحيته المميتة دون تردد :  
- نعم يا سيدتى ، سوف يعيش !

- ادمون لم تبق لى غير كلمة واحدة أقولها لك : لئن كنت ترى أن وجهي  
قد ذبل ، وعيني قد انطفأتا ، وجمالى قد ذهب ، فلم تعد مرسيديس  
تشبه المخلوقة التى كانتها فيما مضى .. فانك ستري أيضا أن قلبي لم  
يتغير .. فوداعا اذن يا ادمون ، ليس لى منا أطلبه من السماء أكثر مما  
حببتى به . لقد رايتك ثانية يا ادمون ، ووجدتك نبلا عظيما كمهدى بك  
فى الماضى .. فوداعا يا ادمون ، وداعا .. وشكرا ! »

.. ثم فتحت مرسيديس باب حجرة المكتب واختفت قبل ان يفيق  
الكونت من الصدمة الموجهة التى أحدثها له حيوط انتقامه الرموق !  
وحين دقت ساعة الانفاليد ايدانا بحلول الساعة الاولى بعد الظهر ، كانت  
عربة مدام دى مورسيرف تتعد بها فى طريق الشانزليزيه .. بينما رقع  
الكونت دى مونت كريستو رأسه وهتف محدثا نفسه كمن يفيق من حلم :

— يالى من غبى!.. كيف لم أمزق قلبى وعواطفى فى هذا اليوم الذى اعترمت فيه ان انتقم لنفسى؟



وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى مضى الكونت وشاهده مكسمليان موريل الى مكان المبارزة ، حيث تقدم مكسمليان نحو «بوشان» و « شاتو رينو » شاهدى خصمه ، فانجنى الثلاثة بعضهم لبعض فى ادب ، ثم وصل البرت دى مورسيرف فقفز من جواده على بعد خطوات وانضم اليهم !

كان البرت شاحب الوجه غائر العينين ، شأن من لم يذق طعم النوم طيلة الليل .. وبعد ان شكر الحاضرين على تجشهم عناء الحضور قال :

— عندى كلمة اريد ان اقولها للكونت دى مونت كريستو امامكم جميعا ! فتقدم الكونت منه فى هدوء واتزان يتناقضان مع اضطراب خصمه ، ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات .. فقال البرت فى صوت محتجج :

— سيدى الكونت !.. لقد وجهت اليك اللوم على تصرفك بصدد مسلك مسيو دى مورسيرف فى « ابيروس » .. وكان من رايى بصرف النظر عن آثامه التى ارتكبها ان ليس لك حق فى مؤاخذته عليها !.. لكنى وقفت بعد ذلك على ما بدل رايى واقنعنى بانك تملك هذا الحق .. وليس غدر فرناند مونديجو بعلى باشا هو الذى من اجله التمس لك العذر ، وانما هو غدر الصياد فرناند بك انت ، والتعاسة البالغة التى لحقت بك بسببه .. وهانذا اقول علانية وعلى رؤوس الاشهاد أنك كنت محقا فى الانتقام لنفسك من أبى .. وانى — بوصف كونى ابنه — اشكر لك لأنك لم تقس عليه اكثر مما فعلت ! »

ومد الكونت كريستو يده الى البرت وقد تندت عيناه بالدموع ، فصافحه هذا فى احترام وتوقير اقرب الى الخشوع !.. بينما غمغم الكونت : « حقا ان الله موجود .. الآن فقط اكتمل ايمائى بانى مبعوث من السماء للانتقام ! »



عاد البرت الى منزل أبيه فى شارع هلدرو . وبعد ان القى نظرة ساخرة على كل أسباب الترف التى جعلت حياته منذ الطفولة سعيدة سهلة .. بدأ يجمع كل حاجياته مبتدئا بصورة أمه ، وأسلحته ، وتحفه ، ثم ترك فى أحد الأدراج المفتوحة جميع النقود التى كانت فى جيبه ، وكشفا بكل الاشياء التى تركها فى الخزان . وحين فرغ من ذلك سمع صووت عربة تقف أمام الباب ، ورأى أباه يستقلها ثم تسير مبتعدة به .. فاستدار



« ووقف الاثنان تفصل بينهما ثلاث خطوات »

الابن عن النافذة واتجه نحو حجرة أمه . وكأنما تحرك الاثنان بوحى فكرة واحدة ، فقد وجد أمه تفعل مثلما كان يفعل هو منذ برهة ! رأى كل ثيابها ومجوهراتها ونقودها مرتبة فى أدراجها ، وهى تجمع مفاتيحها . . . ففهم ألبرت مغزى ذلك ، وهتف بأمه وقد كاد تأثره يعجزه عن الكلام « أوه يا أمى ، لا يمكن أن تكونى اعتزمت مثل ما اعتزمته . . . لقد جئت لأودع بيتك ، وأودعك ! »

فأجابته قائلة: « أنا أيضا ذاهبة ! » وقد وطنت نفسى على أنك سترافقنى فهل ترانى خدعت فى ظنى ؟ »

— سأنفذ جميع رغباتك يا أمى العزيزة ، وما دام عزمك قد استقر على هذا القرار فلنتصرف بحكمة . لقد خرج أبى منذ هنيهة ، والفرصة الآن سانحة كى نذهب دون أن نقدم له ايضاحا ! »

— أنا على أتم استعداد يا ابنى !

وخرج ألبرت ليستدعى عربة ، وقد أعد فى ذهنه خطة الانتقال إلى مسكن مفروش متواضع فى شارع «دى سانت بير» . . . وحين عاد بالعربة وهبط منها لينادى أمه اقترب منه شخص مجهول وسلمه رسالة قائلا « انها من الكونت » ثم اختفى « برتوشيو » من حيث أتى !

ولم يكد الشاب يقرأ الرسالة حتى لمعت فى عينيه الدموع ، ودون أن ينطق بحرف سلم الرسالة إلى أمه ، فقرأت فيها : « عزيزى ألبرت . . . لقد اكتشفت خططك ، وأرجو أن أقنعك بوجهة نظرى . أنت حر فى أن تغادر بيت أبيك وتأخذ أمك إلى بيتك ، ولكن أذكر يا ألبرت أنك مدين لها بأكثر مما يستطيع قلبك المسكين النبيل أن يبذل لها . فاحتفظ بالصراع لنفسك واحتمل جميع آلامك ، ولكن جنب أمك محنة الفقر التى لا بد سستقترون بمحاولتك ، ولو فى البداية . . . فهى لا تستحق شيئا من النكبة التى حلت بها اليوم ، والله لا يحب أن يتألم البرىء من أجل المذنب . . . أنا أعلم انكما قد اعتزمتما مغادرة منزل شارع دى هيلدر دون أن تأخذا شيئا من أموالكما أو متاعكما . لا تسألنى كيف علمت بذلك ، وانما حسبك أنى علمت به وكفى . . . ! »



وكان الكونت دى مورسيرف قد توجه بعربته إلى دار الكونت دى مونت كريستو ، حيث أمر رب البيت بإدخاله إلى الصالون . وفيما كان هذا يدرع الحجرة للمرة الثالثة ، دخل مضيفه ، قائلا فى هدوء :

— أهذا أنت يا مسيو دى مورسيرف ؟ حسبت انى أخطأت السمع !

فقال دى مورسيرف وشفته تخرلجان فى انفعال عاقه عن الاستمرار فى الكلام : « نعم ، انه أنا ! »

— وهل لى أن أعرف سبب تشرفى بزيارتك فى هذه الساعة المبكرة ؟



- جئت لا أقول لك : اننى بدورى أنظر اليك باعتبارك عدوى .. جئت لا أقول لك انى أمقتك بوحى الغريزة ، بحيث يخيل الى أننى طالما عرفتكم ، وطالما كرهتكم .. وبالاختصار ، ما دام شباب اليوم لن يتبارزون ، فقد بقى علينا أن نفعل .. هل أنت مستعد ؟ .. أنت تعلم أننا سننظر نقتتل حتى يموت أحدا !

فأوما الكونت دى مونت كريستو موافقا ، وواصل دى مورسيرف كلامه فقال :

- اذن فلنبدا ! .. لسنا فى حاجة الى شهود !  
- هذا صحيح ، فنحن نعرف أحدا الآخر تمام المعرفة ..  
- بل بالعكس ، فنحن لا يكاد أحدا يعرف عن الآخر شيئا يذكر !  
وهنا شحب وجه الكونت دى مونت كريستو شحوبا مخيفا ، ولمعت عيناه بهريق كاللهب ، ثم اندفع نحو غرفة مجاورة وعاد بعد لحظات مرتديا سترة لبحار وقبعة ينسدل من تحتها شعره الأسود الطويل ، وقد عقد ذراعيه فوق صدره وتقدم من غريمه شامتا ، بينما اصططكت أسنان هذا وارتجفت قدماه تحته فأخذ يتراجع فى فزع حتى اصطدم بمنضدة فاستند اليها .. بينما صاح به الكونت دى مونت كريستو :

- فرناند ! من بين المائة اسم التى أطلقها على نفسى لست فى حاجة الى أن أذكر لك غير اسم واحد ، لعلك عرفتة الآن من هيئتي .. فأننى برغم الأحزان والعذاب الذى قاسينته أظالعك اليوم بوجه ترد اليه سعادة الانتقام والتشفى شبابه القديم ! .. وجه لا بد أنك رأيته مرارا فى أحلامك منذ زواجك من مرسيديس ، خطيبتى !

ومد الجنرال يديه مستنجدا من الرعب الشديد الذى اعتراه ، ومضى يتلمس الجدار حتى بلغ الباب فانسحب منه وهو يطلق هذه الصرخة اليائسة : « ادمون دانتيس ؟ ! » .. وما بلغ الباب الخارجى حتى ارتمى بين ذراعي حوزيه الذى عاونه على ركوب العربة ، وعاد به الى البيت !  
.. وأمام البيت كانت تقف عربة متواضعة - لم تر من قبل أمام بيت نبيل مثله - فدلغ الجنرال الى الداخل ، بينما كانت زوجته وابنه يهبطان السلم ، والفتى يخاطب والدته :

- تشجعى يا أماه ، فلم يعد هذا بيتنا !  
فاختفى الأب وراء احدى الستائر فى آخر لحظة وهو يشهق شهقة مروعة لم يصدر مثلها يوما من صدر انسان .. شهقة رجل تهجره زوجته وابنه فى يوم واحد !

وحين بلغ مخدعه أطل ليلقى نظرة أخيرة على العربة وهى تبعد حاملة أعز من له فى الوجود .. وفى اللحظة التى كانت العربة تختفى فيها عن ناظريه سمعت طلقة نارية تصاعد على أثرها الدخان من خلال ثغرة فى زجاج النافذة أحدثها الانفجار !

## سم ينقذه من سم

كان مكسمليان موريل قد عاد من مكان المباراة الى منزل أسرة فيلفور ، حيث كانت فالتين في انتظاره في غرفة جدها ٠٠ وأثناء حديثها عن اعتزام جدها الانتقال بها الى مسكن مستقل بسبب عدم ملاءمة طقس ذلك الحى لصحتها ، قالت له :

— الواقع أنى فقدت شهيتى وصرت أحس كأن معدتى تجاهد كى تألف شيئاً ما !

فسألها مكسمليان : « وأى علاج تستعملين لمداواة هذه الحالة ؟ !

— أبتلع كل صباح ملعقة صغيرة من المزيج الذى أعد من أجل جدى ٠٠ أعنى أنى بدأت بملعقة واحدة والآن أتناول أربع ملاعق ٠٠ وهو مزيج مر الطعم الى أقصى حد !

شحب وجه نوارتييه وهو يصغى الى كلام حفيدته ، كأنما أدرك خطورته ، فأشار لها كى تحضر القاموس لأنه يريد أن يتكلم ٠٠ وفى تلك اللحظة اندفع الدم الى وجنتى الفتاة ، وصاحت وهى تترنح قليلا : « أوه ، هذا غريب ! لست أدرى ، لكان الشمس تسطح فى عينى ! »

واستندت الى النافذة ، فهرع مكسمليان نحوها منزعجا ، لكنها ابتدرته مطمئنة : « لا تقلق ، انه عارض طارىء ، وقد زال ٠٠ ولكن ، أليس هذا صوت عربة تقف أمام الباب ؟ »

وفتحت الباب وأطلت ، ثم قالت : « نعم ، انها مدام دانجلر وابنتها ، جاءتا لزيارتنا ٠٠ الى اللقاء ، فانه ينبغي أن أذهب قبل أن ترسلأ فى طلبى ٠٠ ابق مع جدى يا مكسمليان ، وإلى اللقاء ! »

لبث الشاب يراقبها وهى تهبط السلم المؤدى الى جناح مدام دى فيلفور وجناحها هى ٠٠ وما كادت تنصرف حتى أشار الشيخ المشلول الى مكسمليان كى يحضر القاموس ويترجم اشاراته ، وكان الشاب قد عرف طريقة التفاهم معه هكذا من فالتين

وقال نوارتييه للشباب : « احضر الابريق والكوب اللذين فى غرفة فالتين ! »

فدق الشاب الجرس للخادم ، وأمره باحضار الاتيتين ، وكانتا فارغتين تماما ، فسأله سيده :

— كيف ذلك وفالتين قالت انها لم تشرب غير نصف محتويات الابريق؟  
وأجاب الخادم بأنه لا يدري ، ولعل الخادمة أفرغت الباقي  
وأشار اليه سيده أن يسأل الخادمة ، فأوماً مطيعاً ثم انصرف وعاد بعد  
حين يقول : « كانت الانسة دى فيلفور تعبر غرفتها الى غرفة زوجة أبيها ،  
حين أحسست بالظماً فشربت ما تبقى فى القدح ، أما الابريق فقد أفرغه  
السيد ادوارد كى يصنع بحيرة تمرح فيها بجعائه ! »

وفى أثناء ذلك كانت مدام دانجلر تنهى الى مضيفتها بشرى خطبة الأمير  
كافالكانتى لابنتها ، وأثناء الحديث التفتت الضيفة الى فالتين قائلة :  
« ماذا بك يا ابنتى ؟ لقد تعاقب الشحوب والاحمرار على وجهك أربع مرات  
فى دقيقة واحدة ؟ »

وانتهزت مدام دى فيلفور الفرصة فقالت للفتاة : « يحسن أن تذهبنى  
لتستريحى يا فالتين ، فانك لست على ما يرام ، ولتشربى قدحاً آخر من  
الماء ، فهو ينفعك ! »

وعلى أثر انصرافها قالت المرأة لمضيفتها : « ان أمر هذه الفتاة يزعجنى  
وأخشى أن تكون مصابة بمرض خطير ! »

وأثناء عودة فالتين الى حجرة جدها غامت على عينيها سحابة جعلتها  
تنزلق من السلم وتسقط على الارض ، فلحق بها مكسمليان ورفعها بين  
ذراعيه . . . وطفرت من عيني نوارتيه صرخة رعب شلت على فمه . . . ثم أقبل  
دى فيلفور فهرع نحو ابنته وأخذها بين ذراعيه وصاح قائلاً : « طيب . .  
طيب . . مسير دافرينى . . أو لعل الأفضل أن أدعوه بنفسى » . . وخرج  
على عجل ، بينما خرج مكسمليان من الباب الآخر !

وحين عاد مسيو فيلفور وبصحبه الطبيب ، كانت فالتين قد عادت الى  
وعبها ، لكنها ظلت عاجزة عن الحركة أو الكلام . . وبعد أن فحصها وكتب  
لها العلاج مضى الى غرفة نوارتيه وأغلق الباب وراءه . . ثم قال له :  
« أعتقد أن اليد التي أصابت باروا هي التي تهاجم فالتين الآن ؟ » .  
فأوماً موافقاً ، ثم ابتسم وهو ينظر الى زجاجة المزيج الذى يتناول منه كل  
صباح . . فهتف الطبيب :

— حسناً ! . . فهمت يا سيدى . . انك جعلت جسمها يألف هذا السم  
بالتدريج قبل أن تعطى الجرعة القاتلة . . ولولا هذا الاحتياط لما تم فالتين  
قبل أن تتمكن من اسعافها !

وفى الوقت الذى عاد فيه الطبيب الى مخدع فالتين ، برفقة أبيها ،  
استأجر راهب ايطالى يدعى الستيور جياكومو بوزوني المنزل الملاصق  
لبيت فيلفور !



فى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم نفسه كان البارون دانجلر

بذرع حجرة صالونه فى قلق ظاهر ، فى انتظار دخول ابنته التى طلبت أن تتحدث اليه على انفراد فى تلك الغرفة بالذات . ولم تلبث أوجيني أن دخلت مرتدية ثوبا من « الساتان » الأسود ، وقد صفقت شعرها وأمسكت قفازيها كما لو كانت ذاهبة الى دار الأوبرا !

وسألها أبوها : « ماذا تريدان أن تقرلى لى ؟ »

فأجابته فى لهجة حازمة جعلته يقفز من مقعده كالمدوغ :

— أريد أن أقول باختصار : اننى لن أتزوج الكونت أندريا كافالكانتى !  
— ماذا ؟ اصغى الى يا ابنتى؛ ولسوف أحدثك بالصراحة التى تحيينها .  
اننى حين طالبتك باتهام هذا الزواج كنت أنظر الى هدف خطير من ورائه !  
— تعنى أن مركز المالى مهدد ؟

— نعم يا بنيتى ، وأنا أريد تزويجك من الكونت كافالكانتى لأنه سوف يضع بين يدي ثروته الطائلة البالغة ثلاثة ملايين من الجنيهات

فقال الفتاة باحتقار : « هذا عظيم ! »

— انت تخشين أن أحرملك من هذه الثروة ؟ ولكن هذه الملايين الثلاثة سوف تدر ربحا قدره عشرة ملايين أو اثنا عشر مليوناً ، بفضل مشروع امتياز للسكك الحديدية حصلت عليه بالاشتراك مع زميل لى ٠٠ ومطلوب منى أن أودع خلال أسبوع أربعة ملايين ، مقدار حصتى فى المشروع ، على أن زواجك نفسه من هذا الثرى كفيف بأن يرد لى سمعتى المالية

— هل تعدنى بأن تسترد مركز المالى باستغلال هذه السمعة ، دون أن تمس مبلغ الثلاثة الملايين ذاته ؟ وأن تدفع مهرى البالغ نصف مليون فرنك عند الزواج ، وأن تترك لى حريتى الشخصية كاملة ؟

— أعدك بذلك !

— إذن سأتزوج مسيو كافالكانتى !

وحددت الساعة التاسعة من مساء اليوم نفسه موعداً لتحرير عقد الزواج ، فارتدت العروس ثوبا بسيطا أنيقا . بينما جلست أمها تثرثر مع بوشان وشاتو رينو ودبراى ٠٠ وجلس دانجلر يتحدث الى نفر من رجال المسال المدعويين عن مشروعات الضرائب التى يعتزم تنفيذها اذا عيّ وزيراً ٠٠ ثم تحدث الكونت أندريا كافالكانتى عن ألوان الترف التى قرر ادخالها على المجتمعات الرفيعة بفضل إرادته السنوى الضخم !

وفى الساعة التاسعة أعلن وصول الكونت دى مونت كريستو ، وقد دخل بينما كانت مدام دانجلر تضع توقيعها على عقد زواج ابنتها ، قائلة لصديقتها مدام دى فيلفور : « أليس من سوء الحظ أن يحول حادث سرقة دار الكونت دى مونت كريستو ، دون حضور صديقنا مسيو دى فيلفور ؟ » وهنا قال الكونت دى مونت كريستو ، الذى كان قليل الكلام بحيث كانت كل كلمة ينطق بها تلفت الاسماع :

— أخشى أن أكون أنا المتسبب بلا قصد في إعاقة مسيو فيلفور عن الحضور  
.. فلقد عثر خدمي اليوم على سترة السارق الذي قتله شريكه عند هبوطه  
من نافذة داري ، وكانت قد فقدت أثناء فحص رجال البوليس والاسعاف  
لجراحه .. وبتفتيشها وجدت فيها ورقة تتضمن خطابا موجه الى البارون  
دانجلر !

وهنا هتف دانجلر متعجبا : « لي أنا ؟ ! »  
فقال الكونت : « نعم ! ولما كانت هي والسترة هما الدليل المادي في  
الجريمة فقد أرسلتهما الى قاضى التحقيق ، خشية أن تكون هناك مؤامرة  
مدبرة ضدك ! »

فقال دانجلر : « هذا معقول .. ألم يكن السارق القتييل قاتلا من  
« خريجي » الليمان ؟ »

— نعم .. وهو يدعى « كادروس » !  
وهنا شحب وجه دانجلر قليلا ، بينما تسلسل الكونت أندريا كافالكانتى  
في سكون الى خارج الغرفة .. فقال الكونت دى مونت كريستو :  
— أرى أن قصتي قد أثارت جوا من الانزعاج ينبغي الاعتذار بسببه  
للبارونة والآنسة دانجلر .. فهل لكم أن تتابعوا اجراءات العقود ؟  
وكانت البارونة قد فرغت من التوقيع ، وردت الريشة لمسجل العقود ،  
فصاح هذا مناديا : « الامير كافالكانتى .. الامير كافالكانتى ! أين سمو  
الامير ؟ »

وفى تلك اللحظة اقتحم الصالون نفر من جنود البوليس يتقدمهم ضابط  
اقترب من البارون دانجلر في حركة مريية ، فأطلقت البارونة صرخة  
وسقطت مغشيا عليها ، بينما بدا على وجه دانجلر رعب شديد !

وتساءل ضابط البوليس : « أيكم يا سادة يدعى أندريا كافالكانتى ؟ »  
فساد المكان هرج ومرج ، وراح الكل يبحثون عن الامير المختفي ، بينما  
هتف دانجلر مستفسرا : « لماذا تبحثون عنه ؟ »

فأجاب الضابط : « انه مجرم هارب من ليمان طولون ، وهو متهم الآن  
بقتل زميله السابق في الليمان ، المدعو كادروس ، أثناء فراره من دار  
الكونت دى مونت كريستو ! »  
لكن أندريا كان قد لاذ بالفرار .. !



دقت الساعة الحادية عشرة ، وفالنتين راقدة في فراشها تغالب الحمى ،  
بعد أن انصرفت الممرضة منذ عشر دقائق .. وكانت الحمى قد هيأت  
للمريضة ألوانا من الإخيلة والهواجس والرؤى المتتابعة المختلفة .. وكان  
المصباح يرسل ضوءه الضئيل المرتعش ، الذي يرسم أشكالا وأشباحا  
تزيد في هواجس المحموعة . وفجأة خيل الى فالنتين أنها ترى باب غرفتها  
يفتح على مهل في سكون ، ويتسلل منه الى الداخل شبح يقترب من فراشها

متلصصا . وتذكرت فالنتين أن خير وسيلة لتبديد تلك الرؤى هي أن تشرب جرعة من الدواء الذى أعده لها الطبيب ، فمدت يدها لتلمسه . وفى هذه اللحظة هرع الشبح نحوها كأنما ليمنعها من أن تشرب ، فاستردت هي ذراعها مذعورة ، بينما تناول هو الكأس فسكب فيها ملعقة من دواء كان معه . . . ثم همس لها :

— الآن يمكنك أن تشربى !

كادت فالنتين تصرخ مذعورة ، لولا أن وضع الشبح يده على فمها ، فغمغمت وقد تبينت شخصيته : « الكونت دى مونت كريستو ؟ »

فأجابها : « اصغى الى ، أو بالأحرى انظرى الى شحوب وجهى واحمرار عيني . . . اننى منذ أربع ليال لم يغمض لى جفن ، كى أسهر على حمايتك ، من أجل مكسملين ! »

فغمغمت فالنتين وقد عاودها الاطمئنان : « هل حدثك بما كان ؟ » فقال الكونت لها : « نعم لقد ذكر لى كل شىء ، وأكد أن حياتك عنده أئمن من حياته ، وقد وعدته بأنك ستعيشين ! »

— تقوله أنك سهرت على حمليتى . . . لكنى لم أرك !

— قضيت معظم وقتى مختبئا خلف هذا الباب ، الذى يقود الى المنزل الملاصق ، وقد استأجرته خصيصا لهذا الغرض . . . وأثناء مراقبتى الطويلة رأيت الاشخاص الذين يزورونك ، والطعام والشراب الذى يعد لك . وكنت كلما وضع لك سم قاتل استبدلت به شرابا صحيا منعشا !

— سم قاتل . . . ما هذه الاشياء المرعبة التى تحدثنى عنها ؟

— لم تكونى أولى من تعرض لهذا الخطر هنا . . . هل نسيت ما حدث للمركيز والمركيزة دى سان ميران ، ولذلك الخادم الأمين ( باروا ) . . . لقد سقطوا جميعا صرعى بالطريقة نفسها . . . وكان المنتظر أن يلقي المسيو نوارتييه مثل هذا المصير فيموت بالسم أيضا ، لولا أن العلاج الذى يتعاطاه منذ ثلاث سنوات أعطاه مناعة ضده !

— يا للسماء . . . اذن فهذا هو السبب الذى جعل حدى يسقيني من دوائه طيلة الشهر الاخير ؟

— انه دواء مر المذاق ، أليس كذلك ؟ اذن فجذك يعلم أن قاتلا يعيش تحت سقف هذا البيت ، ولعله يرتاب فى شخصه . . . وقد حرص على أن يحضنك — وأنت محبوبته — ضد ذلك السم . . . ولكن حتى هذا التحصين لم يكن لينقذك من سلاح آخر مميت استعمل ضدك خلال هذه الايام الاربعة الأخيرة !

— ولكن من يكون هذا القاتل ؟

— ألم ترى أحدا يدخل غرفتك أثناء الليل ؟

— لقد طالما رأيت أشباحا تقترب ثم تبتعد ، لكنى حسبتها من خيالات الحمو . . . كما حسبتك أنت فى البداية !

بـ اذن تذرعى بكل شجاعتك ، وارهنفى سمعك لكل صوت ، وراقبى كل  
شئ جيدا خلال تظاهرك بالنوم .. وعندئذ ترين كل شئ !  
فأمسكت فالتين بيد الكونت وهمست : «أعتقد أنى أسمع صوتا يقترب  
.. اتركنى الآن ! »  
- الى اللقاء اذن

ومشى الكونت على أطراف أصابعه الى الباب الذى دخل منه ، فاخفى  
وراءه .. ومرت عشرون دقيقة ، بطيئة ، رهيبية ، ثم فتح باب غرفة فالتين  
دون صوت .. ولمحت شيئا يقترب من فراشها ، ثم يهمس : «فالتين ! ..  
فالتين ! » فلما لم تجب ، سمعت سائلا يصب فى الزجاجاة التى تشرب  
منها .. واذ ذاك بذلت جهدا كى تفتح أجفانها قليلا وتنظر من خلالها ..  
فأرأت امرأة تصب فى الماء سائلا من قارورة معها .. ولم تكن هذه المرأة  
سوى زوجة أبيها ، مدام دى فيلفور !

ولم تفق فالتين من ذهول المفاجأة الذى استمر دقائق بعد خروج المرأة  
الآنسة الا حين فتح الباب المقابل فى سكون ودخل منه الكونت دى مونت  
كريستو وقال لها : « تنزعجى من أى شئ يحدث لك ، حتى لو  
شعرت بأنك فقدت النظر أو السمع أو الوعي .. أو حتى لو صبحوت  
فوجدت نفسك داخل نعش مغلق ! .. وانما قولى لنفسك عندئذ : ( هناك  
صديق ، بمثابة أب ، يعيش من أجل سعادتى وسعادة مكسميليان ، وهو  
سيحمينى ) .. ذلك لاننى وحدى من يستطيع انقاذك ، وسأفعل ! »  
ثم أخرج من جيبه حبة فى حجم الحمصة وقدمها لها ، فابتلعتها ..  
واذ ذاك قال لها : « الآن يا طفلى المحبوبة ، وداعا الى حين » .. ثم اختفى !  
وفى الصباح استبطأت الممرضة يقظة المريضة فدخلت لتنوقظها .. فلما  
رأتها هامدة ، بيضاء الشفتين صرخت مذعورة .. فدخل على صوت صرختها  
الطبيب دافرينى وقال : « ماذا ؟ أهى الأخرى أيضا ؟ رباه ! »



هبط الكونت دى مونت كريستو من عربته أمام منزل البارون دانجلر ،  
واستقبله هذا بابتسامة حزينة قائلا :  
- أجئت تعزينى ؟ .. لقد تكاثرت المصائب فى بيتى ، فقد فرت ابنتى  
وهجرتنى ، بعد فضيحة كافالكاتنى !  
فقال الكونت فى هدوء : « ان أى حادث من النوع الثقيل بتحطيم من  
لا يملك كنزا غير ابنته ، يصبح محتملا فى نظر من يملك الملايين ! »  
فقال البارون دانجلر : « اذا كان الثراء يجلب التعزية فينبغى أن أعزى  
فانى ترى .. وفى اللحظة التى دخلت فيها كنت قد فرغت من توقيع صكوك  
بمبلغ خمسة ملايين من الفرنكات ! »

فسأله الكونت : « هل هي مستحقة الدفع فوراً ؟ » . واذاً أوماً موافقا  
قال له :

— اذن سأقبل المغامرة ! لقد فتحت عنديك حساباً بستة ملايين من  
الفرنكات ، لم أسحب منها حتى الآن الا تسعمائة ألف فرنك ، أى أننى  
عندك خمسة ملايين ومائة ألف ، لكننى سأأخذ هذه الصكوك التى تساوى  
خمسة ملايين وأعطيك ايضالاً بأنى تسلمت كل حسابى ! انى فى حاجة  
الى هذا المبلغ اليوم !

وسارع الكونت الى وضع الصكوك فى جيبه ، فبدأ الفزع على دانجلر  
وقال له : « ولكن .. ولكنى مدين بهذا المبلغ لجهة ما ، وقد وعدت بدفعه  
اليوم ! »

— اذن تدفع لى المبلغ بأية وسيلة أخرى غير هذه الصكوك .. ولو أننى  
كنت سافخر بأن بنك دانجلر قد دفع لى خمسة ملايين من الفرنكات فى  
اللحظة التى طلبتها فيها .. انه أمر يدعم الثقة فيك !

وظافت بذهن دانجلر فكرة مفاجئة ، فرضخ لطلب الكونت  
وفيما كان الكونت دى مونت كريستو يتأهب للانصراف دخل ممثّل  
الجهة التى تدين دانجلر بالخمسة الملايين ، فقال له البارون :

— لقد سبقك الكونت دى مونت كريستو فأخذ من حسابه مبلغ خمسة  
ملايين من الفرنكات ، ولو أننى حررت فى يوم واحد صكوكاً بعشرة ملايين  
لأحدث ذلك هزة فى السوق ، فهل لك أن تحضر ظهر غد ؟  
فوافق الرجل على ذلك وانصرف ، بينما همس دانجلر لنفسه :

— فى هذا الموعد سوف أكون فى مكان بعيد !  
أما فالتين فدفتت فى مقبرة «الاب لاشين» ، وأغرق أبوها نفسه فى العمل ،  
لكنه عجز مع ذلك عن أن ينساها .. فدخل ذات يوم جناح زوجته ، وكانت  
جالسة تقلب بعض الصحف والمجلات ، وقد ارتدت ثيابها وقفازيها تأهباً  
للخروج .. وبادر فيلفور فأحكم اغلاق الباب بالرتاج ثم وقف بين زوجته  
وبين الباب ، فسألته وهى تحاول أن تقرأ أفكاره : « ماذا هناك ؟ »

فقال لها : « سيدتى .. أين تحتفظين بالسّم الذى تستعملينه ؟ »  
فانطلقت من المرأة صرخة أو شهقة مكتومة ، وشحب وجهها شحوب  
الأموات ، وأجابته متلعثمة : « انى .. انى لا أفهم ماذا تعنى ! »  
— لقد سألتك أين تخفين السّم الذى قتلت به صهرى وحمايتى وخادم  
أبى ثم ابنتى ؟

— ما هذا الذى تقول ؟  
— ليس لك أن تسألنى بل عليك أن تجيبنى فقط !  
— هل أجيب القاضى أم الزوج ؟  
— القاضى يا سيدتى .. القاضى !



فأخفت المرأة وجهها بين يديها وغمغمت : « أواه يا سيدي !! أتوسل اليك .. لا تصدق الظواهر ! »  
- يا لك من جبانة ! لقد طالما لاحظت حين أمثالك من الذين يقتلون بالسم . ولكن فأتك وأنت تعدين سموك وتزيلين آثارها ببراعة تبلغ حد الإعجاز ، أن تقدرى النهاية التى سوف تقودك إليها آثامك . ولكن لعلك قد احتفظت ببقية من سمك العجيب الفعال كى ينجيك من العقاب الذى تستحقينه !!

فركعت الزوجة الشابة على ركبتيها ومدت اليه يدها مناشدة، فقال لها:  
« أرى أنك تعترفين بجرائمك، لكن الاعتراف للقاضي فى آخر لحظة لا يخفف من شدة العقوبة . على أن زوجة القاضي الاول فى العاصمة ينبغي ألا تموت على المشنقة فتلطح بضربة واحدة سمعة زوجها وابنها . سيديتى ، انه لتصرف حكيم منك أن تموتى بذلك السم نفسه !  
وارتمت عند قدمي زوجها وهى تطلق ضحكة هستيرية مخيفة ، فقال لها وهو يهم بمغادرة الغرفة : « فكرى فى الأمر يا سيديتى ، وسأخرج الآن فإذا وجدت عند عودتى أن العدالة لم تأخذ مجراها فسوف أبلغ ضدك بلسانى . وأقبض عليك بيدي ! »



تمكن البوليس من القاء القبض على المجرم الهارب اندريا كافالكانتى - أو « بنديتو » - ثم قدم للمحاكمة بفضل الجهود التى بذلها مسيو دى فيلفور قاضى التحقيق، وقد افتن فى صياغة تقرير الاتهام بأسلوبه القوى الصارم . وفى الجلسة نودى المتهم وتليت عليه التهمة ثم سأله القاضي :  
- اسمك ولقبك ؟

- اسمح لى يا سيدي أن أجيب عن أسئلتك بغير الترتيب التقليدى المتبع . والا فلن أجيب على الإطلاق !  
فنظر القاضى الى المحلفين فى دهشة . ونظر هؤلاء بدورهم الى فيلفور .  
بينما ظل المتهم محتفظا بهدوء عجيب !

- سنك ؟  
- سوف أبلغ الحادية والعشرين بعد أيام قلائل . فقد ولدت ليلة ٢٧ سبتمبر سنة ١٨١٧ فى صاحية أوتوى القريبة من باريس !  
وهنا رفع فيلفور رأسه عن الأوراق التى كان يكتب فيها ، وشحب وخه لدى ذكر تاريخ الميلاد ومكانه . . . بينما مسح المتهم شففيه بمنديل فأحر ! وعاد فيلفور يسأله : « مهنتك ؟ »  
فأجاب : « فى البداية كنت مريفا ، ثم صرت لصا ، وأخيرا أصبحت قاتلا ! »

وأحدثت هذه السخرية ضجة في صفوف المحلفين والنظارة ، ونظر الجميع إلى المتهم الوقح باسمئزاز ، بينما احمر وجه فيلفور وتملأ في مقعده كمن يبغى هواء يتنفسه ٠٠ فسأله المتهم وهو يتنفس : « هل تبحث عن شيء يا سيدى المحقق ؟ »

ولم يجب فيلفور ، فتابع الرئيس استجواب المتهم :

— والآن ، هل لك أن تذكر اسمك ؟

— لست أستطيع ذلك ، لأنى لا أعرفه ٠٠ لكنى أعرف اسم أبى . وفى وسعى أن أذكره لكم !

وهنا تساقطت قطرات العرق من جبين فيلفور على الأوراق التى أمسكها بيده المتقلصة ٠٠ بينما استنطرد المتهم فقال فى هدوء :

— ان أبى يشغل منصب قاضى تحقيق !

فتساءل الرئيس ذاهلا ، دون أن يلحظ الانزعاج البادى على فيلفور :

« قاضى تحقيق ٠٠؟ تقول قاضى تحقيق ؟ »

— نعم ، وإذا أردتم معرفة اسمه فساؤذكروه لكم ٠٠ انه يدعى « فيلفور » !  
واذ ذاك انفجرت بين النظارة العاصفة التى حاولوا فى البداية قمعها توقروا للمحكمة ٠٠ وشخصت العيون جميعا نحو فيلفور ، وكان كأنما حولته الصدمة إلى جثة هامدة ٠٠ بينما تابع المتهم اعترافه فى صوت قوى فقال :

— أيها السادة ٠٠ انى مدين لكم بالبراهين المثبتة لأقوالى . لقد ولدت فى المنزل رقم ٢٨ شارع « النافورة » فى حجرة مبطنة بالحرير الاحمر ٠٠ ثم أخذنى أبى بين ذراعيه ، بعد أن ذكر لأمى أنى ولدت ميتا ، ولقنى فى منشقة عليها حرفا « هـ ن » ثم حملنى إلى الحديقة حيث دفننى حيا !

وسرت بين المحلفين قشعريرة رهيبة ، بينما تابع الرئيس أسئلته :

— كيف وقفت على كل هذه التفصيلات ؟

— كان هناك شخص أخذ على نفسه أن ينتقم من أبى ، فكمن له فى الحديقة فى تلك الليلة ، حتى رآه يدفن صندوقا فى الأرض ، فطعنه بسكينه ثم أخرج الصندوق الذى حسبه يحوى كنزا ، فلما وجدنى حيا أخذنى إلى ملجأ اللقطاء فى باريس حيث بقيت به ثلاثة أشهر حتى أخرجتنى منه زوجة أخيه وعادت بى إلى بيتها فى ( كورسيكا ) ٠٠ وهناك نشأت فى رعاية أولئك القوم الطيبين . لكن الوضع المقلوب الذى صاحب مولدى طغى على الفضائل التى حاولوا بثها فى قلبى ٠٠ فنموت فى الرذيلة حتى صرت مجرما . وذات يوم كنت ألعن الاقدار التى خلقتنى شريرا فقال لى منقذى : ( لا تجدف على الاقدار أيها الفتى التعس . فالجريمة جريمة أبىك الذى نذكرك للجحيم حين دفنك حيا كى تموت خاطئا . قبل أن يدركك غفران الله )

« ومنذ ذلك اليوم كففت عن التجديف على خالقى ، وصرت ألعن أبى ! »

ولهذا نطقت الآن بهذه الأقوال التي ملأت قلوبكم اشفوا إذا ٠٠ فإذا كنت قد ارتكبت بذلك جريمة اضافية فعاقبوني، وإذا شعرتكم معي بأنى منذ يوم مولدى لاحقتنى الاقدار بالأسى والمرارة والبؤس ، فارثوا لحالى ! »  
وسأله الرئيس : « وأمك ؟ »

فأجاب : « أمى بريئة ٠٠ فقد حسبتنى ميتا ٠٠ لذلك لم أعبأ حتى بأن أعرف اسمها ، ولست أعرفه ! »

وعندئذ انطلقت من بين صفوف النظارة صرخة ثاقبة صادرة من امرأة كانت تغطي وجهها بنقاب ٠٠ فلما أجهشت بالبكاء فى نوبات هستيرية سقط النقاب عن وجهها فعرف الجميع فيها « مدام دانجلر » ٠٠! ولم يكذبصر فيلفور يقع عليها حتى هب من مقعده واقفا دون وعى منه ٠٠ وتابع الرئيس أسئلته للمتهم قائلا :

— الأدلة ٠٠ الأدلة ٠٠ تذكر يا هذا أن هذه الأقوال المروعة يجب أن تستند الى أدلة حاسمة !

فأجاب بنديتو ضاحكا : « تريدون الأدلة ؟ انظروا اذن الى وجه مسيو دى فيلفور ثم طالبونى بالأدلة ! »

وانجهت جميع الانظار الى قاضى التحقيق ، الذى عجز عن مواجهة آلاف العيون المسلطة عليه ٠٠ فنهض من مقعده وسار مترنحا مشعث الشعر وقد بدت على وجهه خدوش أطافره ، فانطلقت من الجميع غممة دهشة ٠٠ وخطبه المتهم قائلا :

— أبى ! انهم يطالبوننى بالأدلة ، فهل تريدنى أن أقدمها ؟

وهنا قال فيلفور : « كلا ٠٠! لا فائدة من ذلك ! »

فصاح به الرئيس : « ماذا تعنى ؟ »

فقال : « أعنى أنني أشعر باستحالة مقاومتي لليد الجبارة المميته التى تسحقنى ٠٠ اننى الآن بين يدي اله منتقم جبار ، ولستم فى حاجة الى أدلة ، فان كل ما ذكره هذا الشاب صحيح ٠٠! وانى منذ هذه الساعة أضع نفسى تحت تصرف ممثل الاتهام الذى سيخلفنى ! »

ثم سار نحو الباب كمن يمشى نائما ومضى الى منزله حيث دخل غرفة زوجته ، وصاح بها : « هيلويز ٠٠! هيلويز ! »

ووجدما واقفة فى وسط الغرفة شاحبة الوجه غائرة العينين ، فهتف بها : « هيلويز ، ماذا حدث ؟ »

فأجابت فى حشجة بدت كأنما تمزق حلقها .

— لقد تم لك ما أردت ٠٠ ماذا تبغى بعد ذلك ؟!

ثم سقطت بكل ثقل جسمها على الارض ٠٠! فهرع فيلفور نحوها وأمسك بيدها التى كانت متقلصة على قنينة صغيرة ثم هتف : « رباه ٠٠! لقد ماتت ! »

واندمع كالمخبول الى خارج الغرفة وهو يصرخ . « ادوارد . ادوارد ! ..  
 أين ابني ؟ يجب ابعاده عن البيت حتى لا يرى ! »  
 فأجابه الخدم : « السيد ادوارد فى غرفة والدته .. لقد اسندعته منذ  
 نصف ساعة ولم يخرج نائما ! »  
 وأسرع عائدا الى تلك الغرفة فانطلقت من صدره صرخة مروءة . وهو يلتمح  
 جثة ابنه فى ركن قصى وغمغم : « انها يد الله ! » .. ولم يستطع البقاء فى  
 رفقة حثتين ، وكانما أراد ان يجد شخصا يقص عليه أحزانه ويبكى الى  
 جواره .. فمضى الى عرمة ابنه !  
 وهناك وجد نوارتييه يصغى بانتباه الى الأب « بوزونى » ، الذى كان  
 هادئا باردا كعادته .. فقال له فيلفور « هل أنت هنا يا سيدى ؟ ..  
 أولا تظهر الا فى صحبة الموت ؟ »  
 فالتفت الأب بوزونى اليه ، واذا رأى هيئة فيلفور أدرك أن العنسة التى  
 دبر أمر اثارها فى المحكمة قد تمت طبقا لخطته المرسومة ، فأجاب : « لقد  
 جئت لأصلى على جثمان ابنتك .. ولا أقول لك انك قد دفعت ديك بما فيه  
 الكفاية ، واننى منذ هذه اللحظة سأصلى الى الله كى يغفر لك ، كما أغفر لك  
 أنا أيضا ! »  
 فهتف فيلفور وهو يتراجع الى الحلف مفرعا : « يا للسماء ! .. ليس  
 هذا صوت الأب بوزونى ! »  
 فابتسم هذا وأوما موافقا ، ثم خلع عباءته وشعره المستعار ، وأسدل  
 شعره الطبيعى على عنقه .. فصاح دى فيلفور مرتاعا : « الكونت دى مونت  
 كريستو ! »  
 — انك لست مصيبا تماما يا سيدى القاضى .. ينبغى أن ترجع بذاكرتك  
 الى الوراء أكثر من ذلك لكى تعرف مواطنك القديم ادمون دانتييس  
 وجن جنون دى فيلفور ، وانطلق يعدو حتى بلغ الحديقة ، فأخذ يحفر  
 الارض بفأس فى يده وهو يصيح :  
 — انه ليس هنا .. ليس هنا ! لكننى سوف أجده .. سوف أجده ولو  
 ظللت أحفر الى الأبد !  
 وكانما خشى الكونت أن تنطبق عليه جدران البيت المشؤوم فاندفع الى  
 الشارع وهو يسائل نفسه لأول مرة عما اذا كان قد أصاب أم أخطأ فيما  
 فعل ! .. « أوه ، كفى .. كفى .. فلأنقذ الاخيرة ! »  
 وحين بلغ منزله وجد مكسميليان فى انتظاره ، فقال له وهو يبتسم :  
 أعد نفسك للسفر يا مكسميليان .. فسوف تغادر باريس غدا ! »  
 — أليس عندك ما تفعله هنا بعد الآن ؟  
 — كلا ! .. فאלله يشهد أنى فعلت أكثر مما ينبغى !  
 وفى اليوم التالى رحلا ، يرافقهما من الخدم « بابتستان » وحده ، فقد

أخذت هايدى عليها ، وبقي « برتوشيو » مع نوارتييه !



دخل البارون دانجلر بعربته مدينة « روما » من طريق بوابة « ديل بوبولو » . ثم اتجه بها الى اليسار حتى أمر الحوذي بالوقوف أمام باب « فندق اسبانيا » . وهناك دخل فتناول وجبة شهية وسأل عن عنوان بنك « تومسون وفرنس »

وحين غادر الفندق بصحبة الدليل انسل من جمهرة المتسكعين عند الباب شخص تبع البارون ودليله بخفة رجال البوليس السري وبراعتهم . . . ولما دخلا البنك تبعهما الى الردهة الداخلية حيث كلف دانجلر أحد الكتبة بإبلاغ المدير نبأ حضوره ، ثم أدخل الى حجرة المدير بعد قليل ، بينما جلس مراقبه على أحد المقاعد بالردهة أمام الكاتب الذى انصرف عنه نحو خمس دقائق . ثم رفع رأسه عن أوراقه ، واذا اطمأن الى أن أحدا لا يسمعه غير ذلك المراقب قال يحدثه : « أهذا أنت يا بينو ؟ »

فرد عليه هذا هامسا : « لعلك وجدت فى هذا السيد صيدا دسما ؟ »

فقال الكاتب : « كيف لا ، وقد جاء ليسحب خمسة ملايين من الفرنكات بايصال من الكونت دى مونت كريستو ؟ »

وسأله المراقب : « كيف عرفت كل ذلك ؟ »

فاجاب : « لقد أخطرنا به من قبل ! »

ثم خرج دانجلر متهلل الوجه ، فودعه المدير حتى الباب . . . ثم تبعه « بينو » بعد ذلك !

وفى الصباح استيقظ دانجلر متأخرا ، فتناول افطاره ثم أمر باعداد العربة للسفر . معتزما الرحيل الى البندقية ، حيث يتسلم جانباً من ثروته التى بقيت له ، ثم يتابع السفر الى فينا ، حيث يتسلم بقيتها ويقيم هناك على أنه لم يكذب قط بعربته ثلاثة فراسخ بعد روما حتى أوقفت عربته فجأة وفتح بابها ، وأطل منه أربعة من رجال العصابات المسلحين ، أمره أحدهم بالهبوط ، ثم عصبوا عينييه وقادوه الى مغارة فى قلب الصخر ، حيث أدخلوه زنزانا خالية نظيفة تقع تحت سطح الارض بعشرات الامتار ، وفى ركن منها فراش من القش مغطى بجلد الماعز . . ثم أغلقوا عليه الباب !

ومر يوم كامل ، ذاق فيه المليونير السجين آلام الجوع ، وتذبه أخيرا على حركة بقرب الباب ، فاذا « بينو » يجلس خارج الزنزانة يعد طعاما شهيا وقد وضع الى جواره زجاجة من النبيذ وسلة من العنب . . فسأل لعاب دانجلر ، وطرق الباب بخفة ، فأقبل عليه المص يسأله : « هل فحامتك جائع ؟ »

فقال له : « عجباً ! كيف لا وأنا لم أتناول طعاماً منذ ٢٤ ساعة ؟ » .  
نعم يا سيدي ، اني جائع ٠٠ جائع جداً ! »  
فسأله ببيئو : « ماذا تحب من ألوان الطعام ٠٠ اننا هنا جميعاً رهين  
إشارة فخامتك ! »

— أريد دجاجة ، وسمكا ٠٠٠ أى شئ ٠٠ المهم ان أكل !  
وعندئذ نهض اللص وصاح كما يفعل النذل فى المطاعم : « دجاجة محمرة  
لصاحب الفخامة ! »

ولم تمض لحظات حتى أقبل شاب نصف عار يحمل على رأسه صينية  
بها الطبق المطلوب ، فوضعه اللص أمام السجين ٠ ولم يكده هذا يتناول  
السكين والشوكة ويهم بقطع الدجاجة حتى استوقفه « ببيئو » قائلاً :  
— العادة هنا أن تدفع قبل الأكل ، فقد لا يعجبك الطعام ! »

وقال دانجلر لنفسه : « لقد سمعت أن الدجاج رخيص هنا فى إيطاليا ،  
حتى ان الدجاجة لا يزيد ثمنها على ١٢ سنتيماً ، ولن أدعهم يخدعوننى ! »  
ثم أخرج من جيبه ليرة كذف بها الى اللص ، فتناولها هذا ولكنه استوقف  
السجين عن أكل مرة أخرى قائلاً فى هدوء :  
— فخامتك مدين لى الآن بمبلغ ٤٩٩٩ ليرة !

فتفتح المليونير فاه ذاهلاً ثم قال ساخراً : « كم أنت لطيف ٠٠ ! يا لها من  
دعابة ٠٠ ! اليك ليرة أخرى ودعنى أكل ! »  
فأخذ اللص الليرة الجديدة فى عدم مبالاة وقال : « يبقى لى فى ذمتك الآن  
٤٩٩٨ ليرة ٠٠ سأحصل عليها فى الوقت المناسب »  
فقال دانجلر وقد ساء أن الدعابة طالبت : « انك لن تحصل عليها على  
الاطلاق ٠ اذهب الى الشيطان أنت ودجاجتك ما دمت لا تعرف مع من  
تتعامل ! »

وهنا أشار ببيئو الى الشاب نصف العارى ، فرفع المائدة ورجع بها من  
حيث أتى ، بينما عاد اللص الى تناول طعامه خارج الباب !  
وارتمى دانجلر على جلد الماعز ، وانقضت ثلاثون دقيقة بدت له قرناً من  
الزمان ، فلما عجز عن تحمل آلام الجوع ، نهض واتجه الى الباب وهتف  
قائلاً : « تعال هنا يا سيدي ٠٠ لماذا تدعنى أموت جوعاً ؟ قل لى ماذا  
يطلبون منى ؟ »

فاجاب : « انك أنت يا سيدي الذى ينبغي أن تطلب ٠٠ مر ونحن نفقد ! »  
— اذن افتح الباب فوراً ٠٠ اسمع يا هذا ٠٠ أريد شيئاً آكله ، أتفهم ؟  
— أى لون من الطعام تفضله ؟  
— قطعة من الحبز الجاف ، ما دام الدجاج يباع فى هذا المكان اللعين بسعر  
جنونى !  
— خبز ؟ حسناً ! اذن تدفع أربعة آلاف وتسعمائة وثمانية وتسعين ليرة ،

فقد دفعت فخامتك ليرتين مقدما ! ٠٠ ان كل ألوان الطعام هنا سواء فى الثمن ! وفخامتك تملك خمسة ملايين وخمسين ألف فرنك ، أى ثمن خمس دجاجات ونصف دجاجة ٠٠ !

وهنا ارتعد دانجلر ، اذ انكشفت الحقيقة لعينييه ، وأدرك مدى الخطر الذى يهدده ، فصاح باللص :

— انكم تريدون تجريدى من كل شئ ٠٠ الا أفضل من ذلك أن تنهشوا لحمى وعظامى ! أين هو كبيركم ؟ أريد أن أراه حالا !

وفى اللحظة التالية ظهر « لويجى فامبا » أمام الباب فسأله دانجلر : « كم تطلب فدية لى ؟ »

— لا شئ غير الملايين الخمسة التى تحملها !

فازدرد دانجلر لعبه وقد شعر برعب لا مثيل له ، وقال : « ولكن ، هذا المبلغ هو كل ما بقى لى من ثروة ضخمة ، فاذا حرمتنى منه فالأولى أن تأخذ حياتى أولا ! »

— نحن ممنوعون من أن نريق دمك ! هنا رئيس أعلى منى !

واستمر تصميم دانجلر على عدم الدفع يومين ، عرض بعدهما مليون فرنك ثمنا لوجبة طعام ٠٠ فأرسلوا اليه عشاء فاخرا وأخذوا منه المليون ! ٠٠ ومنذ تلك اللحظة اعتزم السجين ألا يرضن على نفسه بشئ ، وفى نهاية اليوم الثانى عشر تناول عشاءه الشهى ثم حسب حسبته ٠٠ فاذا المبلغ الباقى معه لا يجاوز الخمسين ألف فرنك !

وهنا حدث أمر غريب ، فان الرجل الذى فرط فى الخمسة ملايين لم يتحمل التفريط فى الخمسين ألفا ٠٠ بل اعتزم أن يحتفظ بها ولو مات جوعا !

وانقضت ثلاثة أيام على هذا المنوال ، وفى اليوم الرابع كان قد أصبح حطام انسان ، هيكلا باليا ٠٠ حتى لقد راح يقتات من فتات الجير والحصير الذى يكسو بلاط الحجر ! ٠٠ وأحيانا كان يهدى ٠٠ ثم عرض على ببينو ألف فرنك ثمنا للقمعة واحدة من الخبز ، لكن اللص لم يجب !

وفى اليوم الخامس جر جسمه جرا الى الباب ، وركع على ركبتيه مناشدا اللص قائلا : « ألسنتم مسيحيين ؟ أتريدون قتل شخص هو فى نظر السماء أخ لكم ؟ » . وهنا سمع دانجلر صوتا عميقا رزينا يسأله : « هل شعرت بحاجة الى التوبة والتكفير عن ذنبك ؟ »

فجعل الصوت شعر رأسه يقف ! ٠٠ وحاولت عيناه الضعيفتان أن تميزا الأشياء ، فرأى وراء اللص شخصا ملتفعا بعباءة ، تكاد تحجبه الظلال ، فسأله وهو يرتعد فرقا :

— اكفر عن أى ذنب ؟ ٠٠ ماذا تعنى يا سيدى ؟

— عن الشر الذى ارتكبته !

— انى أكفر عن كل شرورى يا سيدى لعل أنال الغفران !

- اذن فأنا أصفح عنك !  
ثم خلع الرجل الغريب عباءته ، وتقدم نحو النور .. فهتف دانجلر  
- الكونت دى مونت كريستو ؟ !  
فقال له : « انت مخطيء ، اننى لست الكونت دى مونت كريستو. ؟ »  
- اذن من أنت ؟

- أنا الرجل الذى بعته وانتزعت منه خطيبته وسحقته ، كى تصل على  
جثمانه الى المجد والثراء ! أنا الرجل الذى قتلت أباه جوعا ، وعرضته  
هو للموت جوعا .. ومع ذلك فهو يغفر لك ، لأنه يطمع فى أن يغفر الله  
له ! أنا ادمون دانتيس !

وعندئذ أطلق دانجلر صرخة مروعة وخر على ركبتيه .. فصاح به  
الكونت : « انهض .. فحياتك فى أمان ، الأمر الذى لم يتح لشركائك ..  
فأحدهم جن . والثاني مات .. احتفظ بالخمسين ألف فرنك لك .. انى  
أمنحك أياها .. أما الملايين الخمسة التى سرقتها من المستشفيات فقد ردتها  
ليها يد أمينة ! »  
ثم التفت الى فامبا قائلا : « حين يفرغ من طعامه .. أطلق سراحه ! »



كانت الساعة السادسة مساء ، حين انزلق اليخت الفاخر على صفحة  
البحيرة الكبرى الممتدة بين جبل طارق والدردنيل ، وبين تونس والبندقية ،  
حاملا على ظهره مكسمليان موريل ، فى طريقه الى جزيرة الكونت دى مونت  
كريستو حيث واعدته الكونت على اللقاء هناك

وحين هبط الشاب وجد الكونت فى انتظاره ، وأخذه هذا الى كهوفه  
المفروشة بالدمقس والحرير وأفخر الطنافس والرياش ، ثم قال له :

- اصغ الى يا صديقى .. أنت تعلم أنه ليس لى أهل ، وأننى قد اتخذتك  
بمثابة ابن لى ، وسوف أورك المائة مليون فرنك التى أملكها .. فاستمتع  
بها . انها تفتح لك أبواب المجد والسعادة وكل شيء !

فأجابه الشاب فى لهجة التصميم : « كلا ، لن يعوضنى ذلك عن فقد  
ملاكى الجميل .. أريد أن أموت كى ألحق بفالنتين .. لقد وعدتنى بأن  
تمنحنى الموت ، بطريقتك السهلة المريحة .. فأنجز وعدك ! »

واذ رأى الكونت تصميم الشاب ، سقاه جرعة من مادة كان يحتفظ بها  
فى زجاجة صغيرة محلاة بالأحجار الكريمة .. فبدأ مكسمليان يفقد حواسه  
بالتدريج ، حتى خيل اليه أنه يرى أبواب السماء تفتح لاستقباله ، وفالنتين  
تخبط للاقائه .. ثم غاب كل شيء عن ناظره .. ورفد بلا حراك !

وبعد قليل أحس أنه يفيق ، فتمللم فى رقدته حتى استرد شيئا من



وعيه ، ثم هتف : « آه . لقد خدعنى الكونت ! ما زلت على قيد الحياة !! »  
ومد يده ليختطف سكيناً كانت على منضدة قريبة ، كى ينهى بها حياته  
.. واذا ذلك سمع صوت فالتين يهتف به : « أفق يا حبيبى ، وأنظر الى ! »  
كان الكونت دى مونت كريستو قد سقى فالتين ليلة زارها فى مخدعها  
مخدراً يجعلها تبدو فى هيئة الميتة ، فلما دفنت وانصرف المشيعون أخرجها  
من نعشها الذى كان قد ترك به ثقباً يمر فيه الهواء ، ثم سقاها سائلاً  
أعادها الى وعيها .. ونقلها الى جزيرته كى يمهد الطريق الى لقاءها مع  
حبيبها مكسميليان

وأثناء اغفائة الشاب أدخلها الى حيث يرقد ، ولبت الاثنان يرقبان يقظة  
النائم . وقال الكونت يحدث الفتاة : « فالتين .. لا شئ سوف يفصلكما  
على الارض ، بعد أن دفع مكسميليان نفسه الى أحضان الموت كى يلقاك !! »  
يكفينى سعادة انى جمعت بينكما .. فليسعدكما الله ! »  
وبعد لحظات أفاق الشاب من تأثير المخدر ، فلم يكده يصدق عينيه ..  
وركم جاثياً على ركبتيه أمام حبيبته التى ردت اليه !  
وفى الصباح التالى كان الحبيبان يتنزهان على شاطئ البحر ، حين اقترب  
منهما قبطان اليخت وسلم الى الشاب رسالة من الكونت دى مونت كريستو  
هذا نصها :

« عزيزى مكسميليان .. سوف يحملكما اليخت الى حيث ينتظر نوارتيه  
حفيدته الغالية ، كى يباركها قبل الزواج .. أما كهوفى التى فى الجزيرة ،  
وقصرى فى الشانزليزيه وقصرى الآخر فى « تريبور » فهى هدايا الزواج  
التي يهبها ادمون دانتيس لابن سيده القديم موريل ، ورجائى أن تشاركك  
زوجتك اياها .. أما ثروتها التى ورثتها عن أبيها الذى جن ، وأخيها الذى  
مات بين أحضان أمه ، فانى أطمع فى أن تتنازل عنها للفقراء ! »

« وقل للملاك التى ستشاركك حياتك أن تصلى بين حين وآخر من أجل  
رجل حسب نفسه - كما فعل ابليس من قبل - فى مرتبة الله ، لكنه يعترف  
الآن فى خشوع ومذلة أن الله وحده هو الذى يملك الإرادة العليا والحكمة  
اللانهاية .. فلعل هذه الصلوات تهفب من وخر الضمير الذى يشوب  
حياته ! .. أما أنت يا موريل فالتين .. تصرفى معك : ليس فى الدنيا  
سعادة مطلقة وشقاء مطلق ، وإنما هناك مقارنة بين حالة وأخرى .. ومن  
ذاق الألم والعذاب كان أقدر الناس على أن يحس السعادة الحقيقية .. »

وينبغى أن نعرف الموت كى نقدر متبهاً الحياة ..  
« فلنعش يا عزيزى ولنشعر .. مع فالتين .. واياك أن تنسى يوماً  
أن حكمة البشرية جمعاء تتلخص فى هاتين الكلمتين : « انتظر ، وتذرع  
بالأمل ! »  
صديقك

ادمون دانتيس

أو

الكونت دى مونت كريستو

## القصر العالمية للجميع

اسكندر ديماس

مارغريت ميتشل

چون شتاينبك

سومرست موم

مارسيل موديت

جورج سيمنون

بيرل باك

سير والتر سكوت

شارل ديكنز

فيكتور هيغو

يوهان جوته

ارنست همنغواي

اجاتا كريستي

جيمس هيلتون

الفرسان الثلاثة "بزوين"

الكونت دي مونت كريستو

زحلب مع الريح "بزوين"

رجال ونساء .. وحب

ليلة غرام

كنت هاسوريا

غادة الكامليا

جريمة في الريفييرا

الأرض الطيبة

عذراء المعبد

ايفان هو "أو الفارس الأسود"

رافيد كوبر فيلد

أهدب فوتريام

الام قمر

العمرز والجم

سوف تشرق الشمس

الكأس الذهبية

عذالة السماء

القاتل الفضي

الرجل الفاضل

غادة طيبة

عذراء وثلاثة رجال

